علی بن موسی الرضا

علیهما السلام

والقرآن الحکیم

آیة الله جوادی آملی

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY

This book is due on the latest date stamped below. Please return or renew by this date.

Javādī Āmulī

علی بن موسی الرضا علیهما السلام

و

القرآن الحکیم

الجزء الأول

آیة الله جوادی آملی

۱۷

آستان قدس

2264
.1055
.745
j v2 1

الكتاب:	علي بن موسى الرّضا عليهما السلام والقرآن الحكيم (الجزء الاوّل)
المؤلف:	آية الله جوادي آملي
الناشر:	المؤتمر العالمي للإمام الرّضا عليه السلام
عدد المطبوع:	٣٠٠٠ نسخة
سنة الطبع:	١٤٠٨ هـ.ق
المطبعة:	مؤسّسة طبع و نشر الآستانة الرّضوية المقدّسة

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY DUPL>
32101 022191645

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدلله رب العالمين والصّلاة والسّلام على سيّدنا محمد وآله الطّاهرين، بعدان منّ الله تعالى على المسلمين بانتصار الثورة الاسلامية الميمونة على ارض ايران الاسلامية، نشطت الحركة الثّقافية والعلمية، واصطبغت الاجواء بصبغة البحث والتّحقيق، وشعر العلماء والباحثون بمكانتهم الحقيقية و منزلتهم السامية، حيث اعيدالحق الى نصابه والعدل الى محرابه، اذ تهيأت الفرصة الرّائعة لهم لإعمال جهودهم المحمودة فى التحرى والتّدقيق والبحث والتّحقيق، و دلك ارضاءً لله تعالى و تطييباً للضّمير، واستثماراً للفرصة، و خدمةً للدين وتنويراً للافكار المسلمين، و قلعاً للأفكار الضالة والمستوردة من الجذور، والتى عشعشت زمناً طويلاً حتى نخرت كيان المسلمين.

ودأبوافى احياءِ المعارف والعلوم الاسلامية السامقة، و تراث ائمة اهل البيت عليه السلام، ذالک التّراث الغنى المغنى، الذى سعى حكّام الجور من اجل دفنه الى الأبد حتى لايرى النّور فى حياته لينير الطريق لهوائه.

و ان من بين من قيّض الله لهم الفرصة لتحظى بهذه النعمة هى الآستانة الرضوية حيث قامت بتأسيس مجامع علمية متخصصة فى البحث والتّحقيق، واقامت عدة مؤتمرات وندوات اسلامية و علمية هادفة، و ان من بين من انبثق عنها هو المؤتمر العالمى للإمام الرضا عليه السلام، و قد قام هذا المؤتمر عبر عقده للاجتماعات العلمية بخدمات جليلة فى حقل العلم والمعرفة... حيث طبع كتباً و كراريس ومقالات و بحوث علمية كثيرة، و ظهرت هذه الى الوجود لتسعد الوجود...

ومن بين ما طبع المؤتمر، هذا الكتاب القيّم الذى ألّفه سماحة آية الله عبدالله جوادى آملى- دامت بركاته- والّذى يحمل عنوان «على بن موسى الرضا عليهما السلام والقرآن الحكيم» وفاءً بالعهد الذى قطعه المؤتمر على نفسه.

نسأل الله تعالى ان ينتفع المسلمون بهذا الكتاب، و ان يساهم الكتاب نفسه فى رفد الحركة العلمية وتطوير العمل الثّقافى والفكرى ان شاءالله، و ارجو منه سبحانه و تعالى ان يتقبّل منّا هذا المجهود، ويوفّقنا لما يحبّه و يرضاه انّه سميع الدعاء.

المؤتمر العالمي للإمام الرّضا عليه السلام

مقدمة

الحمد لله الذى حمد في الكتاب نفسه وافتتح بالحمد كتابه وجعل الحمد آخر دعوى اهل جنته وصلى الله على من جعل لواء الحمد بيده وبعثه مقاما محمودا وعلى عترته الذين بهم يبين القرآن اذ عطفوا الهوىٰ على الهدى حين عطف الناس الهدى على الهوى. واللعن على اعدائهم اجمعين من الآن الى يوم الدين.

وبعد: فيقول العبد المفتاق الى مولاه الجواد عبدالله الجوادى الطبرى الاملى: هذه وجيزة حول القرآن الحكيم من وجهة نظر مولينا ثامن الحجج على ابن موسى الرضا عليهما السلام رحبنا بالمشروع مهدفا استبانة مقامه السامى بها فى ضوء القرآن الكريم وان يبين معارفه الراقية ببيان القرآن الناطق، حيث ان مستقاهما واحد، كما و ان مسيرتهما و منتهما هما ومعيتهما بالحق فارده فلن يفترقا ابدا ونهائيا. حررتها للموتمر العالمى الثانى المنعقد بمناسبة ذكرى ميلاده (ع) ١١ ذى القعده الحرام عام ١٤٠٦ فى جوار روضته المغروسة بطوبى المعرفة التى «توتى اكلها كل حين باذن ربها». ونظمتها فى روضة وجنان:

اما الروضة: فلبيان مايتصل الى القرآن الكريم بالذات.

واما الجنان: فهى لبيان شرائط معرفة القرآن والموانع عنها وكذا بيان

المعارف المستفادة من القرآن، مقتصرا فى ذلك كله على ماصدر عن مولينا الرضا(ع) عدا مواضع خاصه. وقد حان الآن الغوص فى هذا البحر اللجى معتمدا عليه سبحانه وثقةً به تعالى ومساندا اليه ومسلما له راجيا ان يكون فيضه سبحانه قلبي الذى به اعقل ولسانى الذى به انطق وبصرى التى بها أبْصُرُ وسمعى التى بها اسمع ويدى التى بها اكتب، نائباً فى ذلك كله عن بقية الله -ارواح من سواه فداه- مهديا ثواب هذه النيابة الى اهل بيت الوحى والعصمة(ع) الذين هم اولى بحسناتنا منا اذ بولايتهم إكتمل نصاب ديننا وتمت نعمة ربنا ورضى الله الاسلام لنا دينا فهولاء السادة القادة(ع) اولى بنا من انفسنا فضلا عن حسناتنا، لان الاحسن من الحسنة هو فاعلها حيث انها اثر منه والمؤثر افضل وجودا من الاثر، كما اوعزاليه اميرالمومنين(ع) بكلمته:

خير من الخير فاعله[1]

---

١ - نهج البلاغة، كلمات القصار.

الفصل الاوّل

روضة:فى العلوم التى تحوم حول القرآن نفسه

ان القرآن له وجود علمى ووجود عينى لم يفترقا قط ولن يفترقا بعد وكانا لدى الله سبحانه نورا واحدا صدرا من عنده تعالى، بان ارسل وجوده العينى وانزل معه وجوده العلمى لا «ليقوم النـــاس بالقسط»[1] فقط وليس الا، بل ليخرجوا «من الظلمات الى النور»[2] ذاتا وصفةً وفعلا.

فتحقيق المقال فى مقامين: احدهما حول القرآن العلمى والاخر حول القرآن العينى، فنقول:

المقام الاول: حول القرآن العلمى

ان القرآن كلام الله سبحانه وكتابه الذى تجلى لعباده فيه من غير ان يكونوا رأوه[3] وحبل الله المتصل به تعالى الذى امرالناس بالاعتصام به[4] فله طرفان احدهما بيدالله سبحانه والطرف الآخر بايدى الناس وله مراتب بعضها فوق بعض يتنزل من عال الى دان بالحق نزولا[5] ويترقى من دان الى عال

---

١ ـ الحديد /٢٥.

٢ ـ ابراهيم /٥.

٣ ـ نهج البلاغة.

٤ ـ واعتصموا بحبل الله جميعا ـ آل عمران /١٠٣.

٥ ـ بالحق انزلناه وبالحق نزل ـ بنى اسرائيل (الاسراء)/١٠٥.

كذلك صعودا كما قال سبحانه:

انا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون وانه فى ام الكتاب لعلىّ حكيم[١].

والمراتب الوسطى التى هى بين عالم الطبيعية وكسوة اللفظ وبين عالم العقل والتجرد التام المعبر عنه بقوله تعالى =امّ الكتاب=:

صحف مكرمة، مرفوعة مطهرة، بايدى سفرة، كرام بررة[٢].

وحيث انه من مبتدأ ظهوره وصدوره حتى منتهى نزوله وهبوطه مصاحب الحق ومحفوف به فطبيعى ان لا يتطرّقه الضلال من بين يديه و لامن خلفه ولايتسرب اليه البطلان من يمينه ولا شماله، كما قال قائله ـ سبحانه ـ:

عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا. الا من ارتضى من رسول فانه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا. ليعلم ان قد ابلغوا رسالات ربهم واحاط بما لديهم واحصى كل شئ عددا[٣].

اذاً فهو معصوم عن الجهل والخطا حدوثا ومصون عن الضلال والبطلان بقاءً، وهو الحق لاغير، وما ذا بعد الحق الا الضلال فالتقدم عليه كالتأخر عنه ضلالة والإنحراف عنه الى اليمين كالانحراف عنه الى الشمال مضلة،اذ الجادة هى الوسطى لا جانباها والصراط هو سبيل القصد لا حاشيتاها.

واليك بعض ماعن مولانا الرضا (ع) فى ذلك كمايلى:

قال الريان بن الصلت للرضا (ع):ماتقول فى القرآن؟ فقال (ع): كلام

١- الزخرف / ٤ - ٣.

٢- عبس /١٢ - ١٦.

٣- الجن / ٢٨ - ٢٦.

الله لا تتجاوزوه ولا تطلبوا الهدى في غيره فتضلوا[١].

يعني الامام (ع): ان القرآن كلام الله وظهور فعله، فهو دون الذات المتكلم به وآية له فلا يصح التجاوز عن حده الوجودي كما انه هدى للناس وبصائر من الله فلا يجوز التعدي عنه وطلب الهدى والبصيرة في غيره، ولذا قال (ع) في شانه:

هو حبل الله المتين وعروته الوثقى وطريقته المثلى المودي الى الجنة والمنجي من النار لايخلق على الازمنة ولايغث على الالسنة لانه لم يجعل لزمان دون زمان بل جعل دليل البرهان والحجة على كل انسان لاياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد[٢].

فالقرآن حيّ لايطرئه الموت والبوار كماوانه حق لايقتربه البطلان، لانه المظهر التام لله سبحانه الذي هوحياة لاموتة فيها وحق لايحوم حوله البطلان لانه تعالى لم ينزله لزمان دون زمان ولا لاناس دون اناس فهوفي كل زمن جديد عند كل قوم، غَضّ الى يوم القيمة[٣].

والعامل الأساسي في خلود حياته عدا ماتقدّم من كونه مظهراً ومجلّى للحي الذي لايموت من ناحية مبدئه الفاعلي، هوكونه موافقا لصميم الفطرة الانسانية و هاديا لها مزكيا اياها من حيث مبدئه القابلي كماوان الفطرة طالبة ومسوقة اياه مشتاقة له بلا تبديل ولا تغيير، كما قال فاطرها تعالى:

.... فاقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التي فطرالناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم[٤]

---

١ ـ مسند الامام الرضا(ع) ١/٣٠٧، عن التوحيد ٢٢٣ والامالي ٢٢٦.

٢ ـ مسند الامام الرضا(ع) ١/٣٠٩، عن عيون الاخبار ٢/١٣٠.

٣ـ مسند الامام الرضا(ع) ١/٣٠٩، عن عيون الاخبار ٢/٨٧.

٤ ـ الروم / ٣٠.

وحيث إنّ الرسالة العامة ضرورية لامحيص عنها، كماقال سبحانه:

ماكنا معذبين حتى نبعث رسولا[١].

وقال سبحانه:

رسلا مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما[٢].

وقال تعالى:

انما انت منذر ولكل قوم هاد[٣].

وقال سبحانه:

ولو انا اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع آياتك من قبل ان نذل ونخزى[٤].

وقال تعالى:

لم يكن الذين كفروا من اهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تاتيهم البينة، رسول من الله يتلوا صحفا مطهرة فيها كتب قيمة[٥].

الى غير ذلك من الآيات الدالة على ضرورة النبوة وتداومها، وان ذلك سنة الهية لا تجد لها تحويلا ولا تبديلا و انه ليس لشيء من الاستكبار والاستهزاء وقتل الانبياء واضطهادهم ونحو ذلك ان يمسك فيضه سبحانه ويمانع عن ارسال الرسل ويذر الناس على حالهم بلاحجة، كما قال سبحانه:

افنضرب عنكم الذكر صفحا ان كنتم قوما مسرفين وكم ارسلنا من نبي

---

١ - الاسراء/١٥.
٢ - النساء/١٦٥.
٣ - الرعد/٧.
٤ - طه /١٣٤.
٥ - البينة/ ٣ - ١.

فی الاوّلین ومایاتیهم من نبی الا کانوا به یستهزؤن[1].

وقد ثبت بالنص القطعی انه لانبی بعد رسول الله (ص)، ولاکتاب بعد القرآن، وقد ارتحل الرسول العظیم (ص) بشخصه، حیث انه میت ونحن میتون وماجعل الله لبشر من قبله الخلد بل جعل کل نفس ذائقه الموت فلوجاز ـ والحال هذه ـ تطرّق البطلان الی القرآن وتسرب الضلال الی محتواه ونفوذ التحریف الی شیء من معارفه لزم انقراض النبوة من رأس، وانقطاع الرسالة من اصل، مع انها ضروریة التحقق دائما کما مرمسبقا. وهذا هوالبرهان العقلی علی صیانة القرآن الکریم عن التحریف. ویمکن استنباطه ایضا من بیان مولینا الرضا (ع) فی کلمته:

... لانه لم یجعل لزمان دون زمان بل جعل دلیل البرهان والحجة علی کل انسان لایاتیه الباطل من بین یدیه ولا من خلفه...[2]

فلو امکن زواله بنفسه من ناحیة فقدان المقتضی للبقاء بأن لایکون صالحا له ورافعا لمشاکل الحیوة الانسانیة ومجیبا للشبهات العلمیة وهادیا الی ماهوالمقصد الأسنی الا لهی، او أمکن زواله من ناحیة وجود المانع عن البقاء بالدس والتصحیف والتحریف ومالی ذلک لماکان حبلا متینا وعروة وثقی سما افاده (ع) بل کان حبلا موهونا وعروة مفصومة لامتانة ولا وثاقة لها اما لسبب فی دخیلته هی فقد اقتضاء البقاء او لسبب خارج هو وجود المانع عن التخلید. کما و انه لوکان القرآن کذلک ـ ای لم یکن صالحا للبقاء الابدی، اما لفقد اقتضاء الخلود واما لوجود المانع عن التأبید ـ لما کان نورا ظاهرا علی

١ـ الزخرف /٥.

٢ـ فصلت /٤٢.

الأديان كلها ولو كره المشركون، بل كان نورا ضعيفا منطمساً بنفسه او مطموسا بعاصفة الشرك وزوبعة الكفر ولو كره المؤمنون والتلازم بيّن و بطلان التالى كامتناع المقدم واضح حسبما افاده الله المتكلم بهذا الكلام سبحانه حيث قال -عزمن قائل- فى غيرمورد:

يريدون ان يطفئوا نور الله بافواههم ويأبى الله الا ان يتم نوره ولو كره الكافرون. هوالذى ارسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون[١].

يعنى تعالى ان النور الإلهى الذى من اجلى مصاديقه القرآن الكريم كماقال سبحانه:

ياايهاالناس قد جائكم برهان من ربكم وانزلنا اليكم نورا مبينا[٢].

ابدى البقاء ببقاء الله، وذلك لوجود اقتضاء الخلود لأن الله الذى انزله يتمه و يمده ويمسكه ويفيض عليه فيض وجوده ويسلب المنع عنه، لأن أفواه الشرك والنفاق والكفر و العناد غير قادرة على اطفائه نهائيا لابالقاء الشبهات واطراح المتشابهات ولا بإتيان المثيل وايجاد النظير، لعجزهم عن كل ذلك بتاتا كماقال سبحانه:

قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذاالقرآن لاياتون بمثله ولوكان بعضهم لبعض ظهيراً[٣].

فاية شبهة او اىّ شبيه اطرحها المشركون او اتى به كفرة الانس والجن

---

١ - التوبة /٣٣ - ٣٢.

٢ - النساء /١٧٤.

٣ - الاسراء /٨٨.

يلقفه القرآن الكريم ويحطمه ويبقى وحده لاشريك له وبما أن العلة التامة لبقائه متحققة فان بقائه يكون ضروريا وزواله ممتنعا، كماقال سبحانه:

..... وانه لكتاب عزيز لاياتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه تنزيل من حكيم حميد[١].

و حيث انه موجود ممكن وكل ممكن فهوصلة و ربط محض وفقر صرف الى قيومه المستقل المحض الغنى -باكمل معنى كلمته- اذاً فلايكون خلوده بل شأن من شئونه ذاتيا بل تبعيا فيكون دوامه بادامة متكلمه المتجلى للناس فيه وبقائه بابقاء الله الذى انزله فلذا قال سبحانه:

إنا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون[٢]

اى يكون احتفاظه فى عالم الطبيعية بايدى الناس مسانداً اليه سبحانه لابالذات، كما و أنه محتفظ ايضا فى اللوح المحفوظ عن اىّ تغير طبيعى بحفظ الله الذى هوالحفيظ بالذات.

والسر فيه هو ان مقتضى التوحيد ان يكون وجود اىّ شىء وظهوره مسانداً إلى الهوية البحتة المطلقة بمعنى كلمتها حتى عن قيد الاطلاق الذى يقابل التقييد، ولذلك قال مولينا الرضا(ع) فى جواب سؤال ابن الصلت عن رأيه فى القرآن: «كلام الله لا تتجاوزوه...» اى لا تتجاوزوا عن حدّه الوجودى ولا تعدوا عنه إذا الكلام قائم بمتكلمه باق ببقائه فالقرآن قائم بمتكلمه ودائم بدوامه لابذاته.

١- فصلت /٤٢ - ٤١.

٢- الحجر/٩.

تنبيه:

ان الذى اسلفناه لايثبت ازيد من ضرورة بقاء القرآن وخلوده واما ازدياد غضاضته ومزيد نضارته فى كل عصر وعند كل جيل بالنشر والدراسة والمراس فهذا مما لايدلل به ماقدمناه. والذى يدل عليه هو ان رقّى العلم وحاجة الناس الى المعارف العميقة يوجب استعدادا خاصا راقيا لاقتراح مسائل غضه لم تكن مسبوقة فى الاعصار الغابرة، وبما أن السؤال بلسان الاستعداد يلازم الجواب، ضرورة ان المبدء الجواد «دائم الفضل على البرية» كما افاد سبحانه

وآتاكم من كل ما سألتموه[١].

فلابد و ان يكون القرآن الذى هوالمرجع الفريد لكافة الناس ابديا دون غيره من الكتب كافلا لجميع مايحوج اليه الانسان من المسائل و المشاكل. ولما كانت الاسئلة حادثة كانت الاجوبة -بطبيعتها- جديدة ناضرة طرية فالقرآن وان شبّه فى بعض النصوص بالشمس والقمر الا انه من الجانب المبحوث عنه كالعين النضاخة والكوثر الفوار الذى ينبع منه كل يوم ماء طرى يظهر بعد ابطانه فكما ان اصل نظام الكون من السموات والارض كذلك بالنسبة اليه سبحانه بمعنى انه يسئله كل موجود فى كل لحظة و آونه ويجيبه تعالى بافاضة بعدافاضةٍ فى كل حين وقد جمع بين هذين الامرين اى السوال المستمر والجواب المواصل الدائم قوله تعالى:

يسئله من فى السموات والارض كل يوم هو فى شأن[٢].

---

١ - ابراهيم /٣٤.

٢ - الرحمن /٢٩.

هکذا -بالذات- المجتمع البشری فی ساحة القرآن الکریم، ای ان کل مدارسة وحوار فانها تواجه سؤالا جدیدا ویستوجب -بطبعته- جوابا طریا یانعا لم یعهدمن سابق فینبع ویثیرمن کوثر القرآن مطلب غض غیرمستبق.

وهذا اصل عقلی یؤیده النقل فی غیرمورد کما نقرئه فی مثل:

...یا من لا تزیده کثرة العطاء الاجودا وکرما[١].

فان فضلک لایفیض وان خزائنک لا تنقص بل تفیض[٢].

لانه یعنی ازدیاد الجود بکل عطیة وسخاء لانه لاینفذ فقط، والفارق بین عدم النفاد بالاعطاء وبین ازدیاد الجود والکرم بکل عطاء وافاضة جلی بیّن وهذا المعنی المعقول المؤید بالمنقول هوالمستفاد مما نقله مولینا الرضا(ع) عن ابیه موسی بن جعفر(ع) والحدیث کالتالی:

ان رجلا سال اباعبدالله(ع) مابال القرآن لایزداد عندالنشر والدراسة الا غضاضة ؟فقال:لان الله لم ینزله لزمان دون زمان ولا لناس دون ناس فهوفی کل زمان جدید وعند کل قوم غضّ الی یوم القیمة[٣].

لدلالته علی انه غض فی کل عصر لانه باق فحسب کالحجر المتکتل المترکد بل نابع کالکوثر النضّاخ فهو کل یوم فی شأن جدید ولایشغله شأن عن شأن لانه مظهر تام للمتکلم الذی بصفته کذلک بالذات فلابد وان یکون مثالا للظّاهر فیه وآیة تامة له تعالی فی هذه الجهة.

ثم انّ فضیلة هذا الکلام السامی توجب ان تکون ظروفه الزمانیّة والمکانیة التی تحقق فیها هی ایضا افضل الظروف. ولذلک نقرءعنه انه نزل فی

١- دعاء الافتتاح. ٢- الصحیفة السجادیة،دعاء وداع شهر رمضان.

٣- مسند الامام الرضا(ع) ٣٠٩/١، عن عیون الاخبار ٨٧/٢.

ليلة مباركة هي خير من الف شهر[١] وفي جوار «اوّل بيت وضع للناس» وكفى في شرف ذلك البيت انتسابه الى الله المنزه عن المكانية المبرّاء عن التزمّن وماإليهما حيث قال تعالى:

...طهرابيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود[٢]

وبنفس العلة توجب ان يكون مهبط نزوله قلبا هوخيرالقلوب لكونه صادقا امينا لايكذب مايرى ولايخون ماأوئتمن، كما قال سبحانه: «ماكذب الفؤاد ما رأى»[٣]، بلا خصيصة له بما شاهده في المعراج، كما و ان لسان غيرواحد من الانبياء هو:

... انى لكم رسول امين فاتقوا الله واطيعون[٤]

فلا مجال لكذبه (ص) فيمانزل به الروح الامين على قلبه، كما لامورد لخيانته، اذًا، فجميع ماينزل في قلبه غيب الهي انبائه الله به وليس هو(ص) على شيء من الغيب بضنين حتى يكتم ماأوحى اليه، كما ان جميع ما ينطق ـ مما يرجع الى الدين ـ وحي الهي، فهو (ص) لايكتم شيئا مما امر بابلاغه كما لاينطق بشيئي لم يوح اليه، وعليه يكون القرآن وحيا محضا لايحوم حوله الريب اصلا، لذلك فلا تصح لمماراة فيما رأى فواده ونطق لسانه كماقال سبحانه:

افتمارونه على مايرى[٥]،

اذا لشاهد يرى مالايراه الغائب، والرسول يسمع مالايسمعه غيره فلايجوز المراء فيما شاهده معاينة وأخبرالناس به وهذاهوالذي يفيدنا كلمة مولينا الرضا(ع):

---

١ ـ القدر/٣ ـ ١.
٢ ـ البقرة/١٢٥.
٣ ـ النجم /١١.
٤ ـ الشعراء /١٠٧.
٥ ـ النجم /١٢.

المراء فی کتاب الله کفر[١].

لان الجدال فی الحق المحض بعدما تبیّن رشده عن غیّ مقابله کفر له والحاد عنه، اذ ماذا بعد الحق الا الضلال، فلذا قال(ع): ولا تطلبوا الهدی فی غیره فتضلوا.

تذکرة- ان للقرآن من حیث نفسه علوما جمة لامجال للبحث عنها هنا، لأن هدفنا لیس الا التعرض لخصوص ما وصل الینا من النصوص الرّضویة- علی من صدع بها وافاضها آلاف السلام والتحیة -مع انّ لنا رسالة اخری حول تلك العلوم القرآنیة قمنابها حسب الطاقة الضعیفة والبضاعة المزجاة وعلیه فلا وجه للتکرار، ولذلك نعطف المقال عن هذا المقام الباحث حول القرآن العلمی الی المقام الباحث حول القرآن العینی بمایلی.

المقام الثانی: فیمایتصل بالقرآن العینی

ان للشیء وجودا اعتباریا و وجودا حقیقیا (اما الاول) فکالوجود اللفظی والکتبی للاشیاء حیث انه یختلف باختلاف اللغات والامم ونحو ذلك. (واما الثانی) فکالوجود الخارجی الاعم من الطبیعی والمثالی والعقلی لأنه لایختلف باختلاف الألسن والألوان والملل وما الی ذلك ولکل واحد من الوجودین -الاعتباری والحقیقی- حکم یخصّه کما ان لکل قسم من اقسام النوعین ایضا حکما یختص به و اثرا یترتب علیه والقرآن -ایضا- له وجود لفظی یتلی بالالسن ووجود کتبی یضبط فی المصاحف، ولکل منهما حکم فقهی وغیر فقهی یخصه. کما وان له ایضا وجودا خارجیا، من فضاء الطبیعة الی عنان عالم العقل یتحقق

١- مسند الامام الرضا(ع) ٣٠٧/١، عن تفسیرالعیاشی ٨/١.

كل من ذلك فى موطنه وله حكم يخصه.

وحيث ان المراد من الوجود الخارجى هوالوجود الحقيق المترتب عليه الآثار سواء أكان فى موطن النفس الانسانية كالعلوم والاوصاف النفسانية او فى موطن آخر فلابد وان يكون الوجود الخارجى لكل شيى بحسبه، مثلا ان للشجر وجودا خارجيا وللعلم ايضا وجودا خارجياً والمايز بينهما هو أن العلم أمر خارجى يتحقق فى موطن النفس الانسانية وراء الوجود الذهنى المقابل للوجود الخارجى الفاقد لأىّ اثر عينى، وان الشجر امر خارجى متحقق فى الخارج عن النفس.

وبما أن القرآن مشتمل على العقائد والاخلاق والاعمال وكل ذلك متعلق بالانسان بحيث لولا الانسان لماكان للعقيدة وجود ولاللخلق تحقق ولاللعمل بالقرآن حصول ومعنًى، وعليه فالوجود الخارجى لمضامين القرآن انما يتحصل فى موطن النفس الانسانية التى هى فى وحدتها كل القوى المدركة والمحركة فمن علم بظاهر القرآن وباطنه وعرف تفسيره وتاويله واطلع على متشابهه ومحكمه ورَدّ المتشابه منه الى محكمه وعمل بعزائمه وفرائضه وبسُننه ورُخَصه وكان مؤمنا بجميع حِكَمه واحكامه معتقدا بأن كله من عندالله فهو القرآن الناطق، اى القرآن التكوينى المتحقق خارجا كالعتره الطاهرة (سلام الله عليهم اجمعين) لأن علوم القرآن ومعارفه قد تحققت فى نفوسهم الشريفة اذالايمان قد خالطهم من القَرْنِ حتى القدم، فالانسان الكامل ـ اى الامام المعصوم (ع) ـ قرآن ممثل، كماوانه صراط مستقيم وميزان قسط، كل ذلك على منهج الحق لاالمجاز.

ويشهد لذلك ماروا ه مولينا الرضا (ع) عن آبائه (ع) عن الحسين بن على (ع) انه قال:

اتفق فى بعض سنى امير المومنين (صلوات الله عليه) الجمعة والغدير

فصعد المنبر... فحمد الله واثنى عليه حمدا لم يسمع بمثله واثنى عليه ثناء لم يتوجه اليه غيره فكان مما حفظ من ذلك قوله، الحمدلله الذى جعل الحمد من غير حاجة منه الى حامديه طريقا من طرق الاعتراف بلاهويته وصمدانيته وربانيته... هذا يوم النصوص على اهل الخصوص هذا يوم شيث هذا يوم ادريس هذا يوم يوشع هذا يوم الأمن المأمون هذا يوم اظهار المصون من المكنون هذا يوم ابلاء السرائر- الى ان قال (ع)-: أفتدرون الاستكبار ماهو هوترك الطاعة لمن امروا بطاعته والترفع على من ندبوا الى متابعته والقرآن ينطق من هذاعن كثير إن تدبّره متدبر. واعلموا ايها المؤمنون ان الله عزوجل قال: «ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص». أتدرون ماسبيل الله ومن سبيله ومن صراط الله ومن طريقه. انا صراط الله الذى من لم يسلكه بطاعة الله فيه هوى به الى النار، وانا سبيله الذى نصبنى للاتباع بعد نبيه، انا قسيم الجنة والنار، وانا حجة الله عزوجل على الفجار والابرار، وانا نور الانوار، فانتبهوا من رقدة الغفلة وبادروا بالعمل قبل حلول الاجل... الحديث[1].

نلاحظ انه (ع) عرّف نفسه النفيس بالصراط والسبيل، يعنى (ع) ان الصراط العلمى هوالدين الالهى والصراط العينى هوالامام المعصوم (ع)، وهكذا في غيره من المعارف كالميزان القسط، حسبما ورد فى نصوص اخر. والسر فى ذلك هوان الحركة والمسافة والمتحرك فى الحركة الجوهرية متحدة فى العين وان كانت حسب تحليل الذهن متغايرة، والانسان وان كان نوعا اخيرا عندالجمهور لكنه نوع متوسط تحته انواع حقيقية كثيرة عند اصحاب الحكمة المتعالية، فالنفس فى بادى الامر بمنزلة المادة للكمالات الوجودية فاذا رسخت تلك الكمالات فيها وصارت ملكة تصورت تلك النفس بها وصارت اياها حقيقة بعد ماكانت مستعدة لها واجدة اياها بالقوة.

---

١ - مسند الامام الرضا (ع) ٢/٥-٢١

والانسان سالك بكل وجوده وذاته الى الله سبحانه وكادح اليه فيلاقيه كما قال سبحانه:

يا ايها الانسان انك كادح الى ربك كدحا فملاقيه[1].

فان سار على الصراط المستقيم وانتحاه وصار صراطا مستقيما فهو يلاقى جمال رحمة ربه، كماقال تعالى:

وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة[2]،

وان انحرف عنه وبناه عوجا وصار بنفسه سبيلا غيّا ووقودا للنار او حطباً لها فطبيعى ان يلاقى جلال قهرربه، كما قال سبحانه: حاكيا عن هولاء الذين ينادون من مكان بعيد[3]. ربنا ابصرنا وسمعنا[4].

مع انهم يحشرون عُمياً كما قال تعالى:

ونحشرهم يوم القيمة اعمى[5].

لانهم اعمى عن مشاهدة الجمال والرحمة لاعن شهود الجلال والقهر (تدبر).

وحيث إنّ القرآن صراط مستقيم يسير عليه السالك فاذا تلاه حق تلاوته وآمن بجميع مافيه وعرف ذلك كله وعمل به ولم يبخس منه شئياً يصير هو بذاته صراطا مستقيما وميزانا قسطا يوزن بعقيدته عقائد الناس وبخلقه العظيم اخلاق الناس وباعماله الصالحة اعمال الناس، فهو القرآن الممثل بجميع مافيه من المعارف فيصير قرانا عينيا تجاه القرآن العلمى ولاينفك عنه، كمالم يفترق القرآن العلمى عنه ابدا. فالمعية ـ المتسالم عليها بين القرآن والعترة ـ تكون حقيقة

١ـ الانشقاق /٦.

٢ ـ القيامة /٢٣ ـ ٢٢.

٣ـ السجدة /١٢.

٤ ـ فصلت /٤٤.

٥ ـ طه /١٢٤.

ذات مراتب حذاء مراتب الوجود الخارجى، فى عالم الطبيعة بنحو تقضيه الكثرة العينية ويستلزمها. وفى عالم المثال ايضا على كيفية مقتضاها، لكن بلا تزاحم مادى وتطارد عينى وفى عالم العقل والتجرد التام على نحو يقتضى الوحدة العينية و يلازمها وان كان التغاير التحليلى منحفظا مادام هناك ذهن ومفهوم وتحليل مفهومى اوماهوى.

ولعله الى ذلك يوعز الامام الصادق (ع) حين سئله المفضل بن عمر عن الصراط فقال (ع):

هوالطريق الى معرفة الله - عزوجل - وهما صراطان صراط فى الدنيا وصراط فى الاخرة واماالصراط الذى فى الدنيا فهو الامام المفترض الطاعة من عرفه فى الدنيا واقتدى بهداه مرّ على الصراط الذى هو جسرجهنم فى الآخرة ومن لم يعرفه في الدنيا زلت قدمه عن الصراط فى الاخرة فتردّى فى نار جهنم[1].

وبما ان القرآن كلام الهى مصون عن تعرض الشيطان فى شيئ منه بالزيادة اوالنقص او التصحيف او التحريف على مامر مسبقا، وعليه فاذا تكلم السالك الى الله به وباشره بروحه وجسمه قلبا وقالبا ولم ينفك عن هداه ولم يعطف هداه على هوى نفسه بل عاكسه وعطف هواه على هداه يصير هو بنفسه قرآنا ممثلا مصونا عن وسوسة الشيطان وترادده فلايطمع فيه بالضلالة ولا بالغواية ولا باتباع الهوى ولا بالزيغ والطغى، وهذا هوالمستفاد مما رواه مولينا الرضا (ع) عن آبائه المعصومين (ع) انه قال النبى (ص) لعلى (ع):

ما سلكت طريقا ولافجّا الا سلك الشيطان غير طريقك وفجّك[2].

وحيث ان اهتداء الله سبحانه بذاته وهدايته لغيره من اوصافه الفعلية

---

١ - معانى الاخبار، باب معنى الصراط.

٢ - عيون اخبارالرضا(ع) ٦٤/١.

وكل صفة فعلية فإنما ينتزع من مقام الفعل المستند الى الذات لامن نفس الذات فلابد للهداية ـ اذاً ـ من مظهر خارجي، فكما ان القرآن الكريم مظهر لله سبحانه في هذين الاسمين ـ اى كونه مهتديا بنفسه وهاديا لغيره ـ كذلك الانسان الكامل المعصوم (ع) العالم به والعامل بمقتضاه مظهر لله سبحانه في ذينك الاسمين وهذا هو المفاد من حديث مولينا الرضا (ع) في الامامة حيث قال (ع):

ان الانبياء والائمة (صلوات الله عليهم) يوفقهم الله ويؤتيهم من مخزون علمه وحكمه مالايؤتيه غيرهم فيكون علمهم فوق علم اهل الزمان في قوله تعالى: أفمن يهدي الى الحق احقّ ان يتبع أمّن لايهدّي الا ان يهدى فمالكم كيف تحكمون.[1]

يعني ان الانسان المتكامل المعصوم (ع) مهتد بنفسه لاحاجة له الى هداية غيره من اىّ موجود إمكاني آخر، وذلك لانه مظهر تام لله الذى فعله هونفس الصراط المستقيم، كما قال:

... انّ ربّي على صراط مستقيم[2].

فلا ينتزع الاهتداء الا من متن فعله الخارجي بلا حاجة الى هداية غيره فهو الحَريّ بان يكون هاديا لغيره، فمن عدا المعصوم (ع) بحاجة في هداه اليه كماو ان جميع الكتب التي دونتها ايدى الناس للهداية الى الحق بحاجة ماسة الى كتاب الله سبحانه لانه المظهر لله، المهتدى بالذات، الهادى لماسواه. فالقرآن العيني كالقرآن العلمي ـ ذاتاً ـ مظهر له تعالى في هذين الاسمين. والسر هو مامرّ مسبقا من أنّ الانسان الكامل قرآن ممثل، كما ان القرآن انسان كامل

---

١ ـ يونس /٣٥.

٢ ـ هود/٥٦.

مدون.

وبما انّ الشفاء ومقابله من الاوصاف الفعلية لله سبحانه و ينتزع من مقام فعله لامن الذات لتعاليه عن ذلك فمن الممكن ان يكون فعل واحد خارجي نورا لقوم وعمى لآخرين او شفاء لطائفة وسقما لأُخرى، بلامحذور في الجمع بينهما، لتعدد الاضافة. لذلك فقد ورد في حقّ القرآن العلمي انه نور لبعض وعمى لبعض آخر وشفاء لقوم ومرض وبوار لآخرين، كماقال سبحانه:

وننزل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمومنين ولايزيد الظالمين الاخسارا[1].

وقال تعالى:

... قل هوللذين آمنوا هدى وشفاء والذين لايؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم عمى اولئك ينادون من مكان بعيد[2].

وهكذا ورد في حق القرآن العيني ـ اى الانسان الكامل المعصوم ـ أنه مظهر جمال الله لقوم ومظهر جلاله لقوم آخرين، كماقال مولينا الرضا (ع):

... الامام المطهر من الذنوب والمبرأ عن العيوب المخصوص بالعلم الموسوم بالحلم نظام الدين وعزالمسلمين وغيظ الكافرين و بوار الكافرين[3].

وقد سبق البرهنة على ذلك و هو: ان الانسان الكامل هو الوجود الخارجي للقرآن حقيقتاً فجميع مايترتب على القرآن العلمي يترتب على القرآن العيني بلاارتياب وقد مضى نبذة من ذلك، وسياتي جانب منه.

فمن تلك الاثار المشتركة بين القرآن العلمي والعيني هو: ان القرآن العلمي مظهر علمي لله الذي لاشريك له وليس كمثله شيئي. لذلك فانه

١ـ الاسراء /٨٢.

٢ـ فصلت /٤٤.

٣ـ مسند الإمام الرضا (ع) ١/٩٨

لايعادله شيئ ولايتمكن من الاتيان بمثيله حتى وان اجتمع الانس والجن وكان بعضهم مظاهراً لبعض ولاينال كنهه لباب الناس كما هوالمستفاد من غير موضع من القرآن فى شان نفسه، كذلك القرآن العينى، اى الانسان الكامل المعصوم(ع) فانه مظهر عينى لله الذى ليس كمثله شيئ ولاشريك له فى ملكه ولاشبيه له فى خلقه، فلذا لايشاركه احد ولايكون له كفو فى صعيد الموجودات الامكانية من آحاد الناس. كما افاده مولينا الرضا(ع) بقوله:

...الامام واحد دهره لايدانيه احد ولايعادله عالم ولايوجد منه بدل ولاله مثل ولانظير مخصوص بالفضل كله من غير طلب منه له ولااكتساب بل اختصاص من المفضل الوهاب فمن ذاالذى يبلغ معرفة الامام اويمكنه اختياره هيهات هيهات ضلت العقول وتاهت الحلوم وحارت الالباب وخسئت العيون وتصاغرت العظماء وتحيرت الحكماء وتقاصرت الحلماء وحصرت الخطباء وجهلت الالباء وكلت الشعراء وعجزت الادباء وعيّيت البلغاء عن وصف شأن من شأنه او فضيلة من فضائله واقرت بالعجز والتقصير وكيف يوصف بكله او ينعت بكنهه اويفهم شيئ من أمره اويوجد من يقوم مقامه ويغنى غناه =لا= كيف وانى وهو بحيث النجم من ايدى المتناولين ووصف الواصفين فاين الاختيار من هذا واين العقول عن هذا واين يوجد مثل هذا[1].

فالذى يفيدنا هذا البيان الجامع عجز الناس بكافتهم عن معرفة مكتنة الانسان الكامل المعصوم(ع) وعجزهم نهائيا عن اختياره ونصبه وانتخابه وتوكيله حتى تكون الامامة بالوكالة دون الولاية. بل الامام المعصوم(ع) بمنزلة النجم الفائق الذى لا تناوشه ايدى المتناولين لكى يرشحوه و ينصبوه لهم سراجا منيرا. بل الله سبحانه هوالذى ينصب بالذات الامام المعصوم(ع) لهم سراجا منيرا وهذه الميزات والمؤهلات كما مرمسبقا مشتركة بين القرآنين

---

١ ـ مسند الامام الرضا(ع) ٩٩/١، عن الكافى ١٩٨/١.

العلمی والعینی المعبّر عنهما بالثقلین.

ومنها ـ ای من تلك الآثار المشترکة بینهما ـ: أن انکار القرآن العلمی والاعراض عنه والتعرض له جاهلیة جَهْلاء مبتعد عن نطاق العقل والعدل کما اوعزالیه سبحانه:

أفحکم الجاهلیة یبغون ومن احسن من الله حکما لقوم یوقنون[1].

وقال تعالی:

اذجعل الذین کفروا فی قلوبهم الحمیة حمیة الجاهلیة فانزل الله سکینة علی رسوله وعلی المومنین والزمهم کلمة التقوی وکانوا احق بها واهلها وکان الله بکل شیئ علیما[2].

اذ العقل هو مایعبد به الرحمن ویکتسب به الجنان فما لایعبد به الرحمن فلیس بعقل بل جهل وسفاهة کماقال ـ عزمن قائل ـ: ومن یرغب عن ملة ابراهیم الا من سفه نفسه. فالحیوة المفتقدة لرشد العقل جهالة وسفالة سواء اصطحبها الرقیّ الصناعی کماهو المشهود المألوف فی الملل الراقیة فی الصناعة الطغاة الظّلامة دولةً اولم یکونوا کذلك کما فی الملل التابعة لهم القائلة یوم القیمة:

انا اطعنا سادتنا وکبرائنا فاضلونا السبیلا[3].

فالمنکر للقرآن والمعرض عنه والمتعرض له جاهل سفیه سافل وحیوته جاهلیة، یحمل فی قلبه تعصباً باطلا جاهلیا ولامجال لانزال السکینة والطمأنینة فیه کما لامجال لاعطاء التقوی مع الطغوی اذالتقوی عبودیة حقة وتذلّل فی

---

۱ ـ المائدة /۵۰.

۲ ـ الفتح /۲۶.

۳ ـ الاحزاب /۶۷.

ساحة قدس الله سبحانه والطغوى ربوبية باطلة وتمرد واستكبار فى قبال الله تعالى كماتقدم نقله عن مولينا علىّ الرضا (ع) عن جده الامام المرتضى (ع) فانه قال:

أفتدرون الاستكبار ماهو؟هوترک الطاعة لمن امروا بطاعته والترفع على من ندبوا الى متابعته[١].

فحيوة منكر القرآن العلمى والمعرض عنه جاهلية جهلاء كذلك حيوة منكر القرآن العينى والمعرض عنه جاهلية. كمانقل محمدبن اسماعيل عن مولينا الرضا (ع) انه قال:

من مات وليس له امام مات ميتة جاهلية، فقلت له: كل من مات وليس له امام مات ميتة جاهلية؟ قال، قال: نعم، والواقف كافر والناصب مشرك[٢].

فان هذا البيان وان كان يفيدنا ويتحفنا بأن ذلك الموت هوالموت الجاهلى، بيد ان الموت لماكان على وزان الحيوة اذالناس كما يعيشون يموتون فاذا كان الموت جاهلية يكشف عن كون الحيوة كانت جاهلية تطورت بالميتة الجاهلية، اذ الحيوة العقلية تتعقب موتا عقليا لان الذى ينتقل من الدنيا الى روضة من رياض الجنة فهو عاقل قطعا لأنه عبد ربه واكتسب جنته وكل من كان كذلك فهو عاقل اذ العقل مايعبد به الرحمن ويكتسب به الجنان. وزبدة المخض: ان الموت الجاهلى انما هوبظهور الحياة الجاهلية، فاذا كان موت منكر الامام المعصوم (ع) ميتة جاهلية يلازمه ان تكون حياته ايضا كذلك ليس الا. والسّبب فيه ان القرآن بوجوده العلمى او العينى حيوة طوبى عقلية كما افاده

---

١ ـ مسندالامام الرضا(ع) ٢٥/٢.

٢ ـ مسند الامام الرضا(ع) ٩١/١، عن كمال الدين ٦٦٨ .

سبحانه بقوله:

... يا ايها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول اذا دعاكم لما يحييكم[١] ...

و بقوله:

لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين[٢].

... والقرآن العينى لاينفك عن القرآن العلمى فى اىّ وصف من الاوصاف الكمالية الوجودية اصلا، لان دعوة القرآن العينى هو دعوة القرآن العلمى بالذات، لذلك افرد الضمير فى قوله تعالى: ... لله وللرسول اذا دعاكم... ولم يثّن، اذ الرسول الذى هو من اظهر مصاديق القرآن العينى لايدعو الّا بما دعا الله الناس اليه فاذا كان القرآن بوجوده العلمى او العينى ممثلا للحيوة الطّيبة العقلية فمن فقد ـ اىّ واحدٍ منهما ـ فقد فقدها وصار ميتا جاهليا يوخذ بما عمل فى الجاهلية والاسلام اى لايغفر شىء من ذنبه، سواء ما تقدم منه وماتأخر. كما هو المستفاد مما رواه مولينا الرضا (ع) عن آبائه (ع) عن اميرالمومنين (ع) انه قال:

قال رسول الله (ص): من مات وليس له امام من ولدى مات ميتة الجاهلية يؤخذ بما عمل فى الجاهلية والاسلام[٣].

حيث انه لم يَعْقِل ولم يَتُب ولم يسلم حتى يَجُبَّ الاسلام ماقبله ويعفوالله عما سلف منه، بل اذا بعثرت القبور علمت نفس هولاء الجهلاء ماقدمت من

١ـ الانفال /٢٤.

٢ـ يس/٧٠.

٣ـ مسندالإمام الرضا(ع) ١/٩١، عن كنزالفوائد ١٥١.

ذنب وماأخرت، ومن اعظم تلك الذنوب انكار الامام (ع) ومن تلك الا ثار المشتركة بين القرآن العلمى والعينى هو: ان القرآن العلمى مظهر تام للاسم المهيمن، لأن المهيمن من الاسماء الحسنى لله سبحانه ومن الاوصاف الكمالية للقرآن الكريم. قال سبحانه:

... الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن[1]

وقال تعالى:

وانزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لمابين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه[2].

والهيمنة الوجودية انما هوبكون المهيمن واجدا لجميع الكمالات التى هى لما فى حوزة هيمنته وسيطرته ونفوذه، كما ان الله سبحانه كذلك بالذات، مقيساً الى جميع ماسواه. والقرآن الكريم ايضا مسيطر بالقياس الى جميع الكتب السماوية، اذ له عدى التصديق والتاييد هيمنة على تلك الكتب وحيطة على المعارف السامية التى لم يحتو تلك الكتب عليها، بحيث ليس فى وسع الانسان المتكامل النيل الى مرتبة وجودية بالعلم الّا وقد اشتمل عليها القرآن، والا لماكان خاتم الكتب ولماكان خالدا بحياله ابديا، اذ فرض ان هناك مقاما وجوديا لايهدى اليه القرآن لعدم احتوائه فيلزم اتيان كتاب آخر وهو محال بعد افتراض ختم الكتب بالقرآن، اذاً فالقرآن العلمى مظهر تام لله سبحانه من حيث كونه مهيمنا على غيره من الكتب، كما وان للاسم المهيمن ايضا هيمنة على غيره من الاسماء الجزئية المحاطة به لان بعض الاسماء الحسنى محيط ببعض

---

١ ـ الحشر/٢٣.

٢ ـ المائدة /٤٨.

حتى ينتهى الى ام الاسماء المحيط بها وهو الاسم الله جل جلاله وان احتمل بعض اصحاب المعرفة ان الاسم الرحمن ايضا كذلك لقوله تعالى:

قل ادعوا الله او ادعوا الرحمن ايّاما تدعوا فله الاسماء الحسنى[1].

يعني فلكل واحد من هذين الاسمين اللذين احدهما هوالله والآخر هوالرحمن سائر الاسماء الحسنى الجزئية مقيسا اليهما وان كان بعضها بالنسبة الى بعضها الاخر كليا محيطا. ولعله لذلك قال الفاضل الهندى (ره) فى تقدمته على كشف اللثام: «... فالمحققون على ان الرحمن ايضا اسم للذات كالله وان لفظه هنا (بسم الله الرحمن الرحيم) بدل من الله ولذا قدم على الرحيم لكونه صفة فاندفع السوال عن جهة تقديمه مع انه ابلغ» (انتهى)[2].

ولبعض اهل التحقيق مقال آخر، فأنه بعد نقل كون الرحمن جامعا كالله، قال: هذا وان كان حقا من وجه، لكن كون الرحمن تحت حيطة الاسم الله يقضى بتغائر المرتبتين ولولا وجه المغايرة بينهما ما كان تابعا للاسم الله فى «بسم الله الرحمن الرحيم». ومهما كان الامر فان الاسم المهيمن له احاطة وجودية على غيرواحد من الاسماء الكائنة تحت حيطته والقرآن العلمى ايضا لكونه مظهراً لذلك الاسم فله احاطة علمية بغيره من الكتب السماوية فضلا عن غيرها، وهكذا القرآن العينى المحاذى له، فأن له هيمنة على غيره من الكتب العينية، كالانبياء والاوصياء الماضين (ع) كماوان له سيطرة وحيطة علمية بمعارف جميع تلك الكتب السماوية، حيث قال مولينا الرضا (ع):

يانوفلى تحب ان تعلم متى يندم المامون؟ قلت: نعم، قال: اذا سمع

١- الاسراء/ ١١٠.

٢- كشف اللثام، ١/ ٥.

احتجاجي على اهل التوراة بتوراتهم وعلى اهل الانجيل بانجيلهم وعلى اهل الزبور بزبورهم وعلى الصابئين بعبرانيتهم وعلى الهرابذة بفارسيتهم وعلى اهل الروم برروميتهم وعلى اصحاب المقالات بلغاتهم فاذا قطعت كل صنف ودحضت حجته وترك مقالته ورجع الى قولي علم المامون انّ الموضع الذي هو بسبيله ليس هو بمستحق له فعند ذلك تكون الندامة منه ولاحول ولا قوة الا بالله العلي العظيم[1].

ومما يؤيد ذلك اقتداء الانبياء (ع) بخاتمهم (ص) ليلة الاسراء في المسجد الاقصى وكذا اقتداء الاولياء بخاتمهم (ع) بقية الله ـ ارواحنا فداه ـ عند ظهوره حيث ان ذلك يشعر بكون رتبة كل قرآن وكتاب عيني على وزان رتبة كل قرآن وكتاب علمي، فكما انهما في اصل الوجود متكافئان لاينفك احدهما عن الاخر كذلك في رتبة الوجود ايضا لايفترق احدهما عن الاخر فعند ثبوت وصف كمالي لاحدهما تطابقيا يحكم بثبوت ذلك الوصف للاخر التزاميا. مثلا عند ثبوت تعدد انحاء الدعوة للقرآن العلمي وانه يدعوالناس الى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة ويجادلهم بالتي هي احسن يحرز بان انحاء دعوة القرآن العيني ايضا كذلك، وكما ان القرآن العلمي يهدي للتي هي اقوم هكذا القرآن العيني، ـ اي الامام المعصوم (ع) ـ فانه يهدي للطريقة المثلى التي هي اقوم الطرق وللعروة الوثقى التي هي اوثق العرى وهذا هوالذي يعطيه كلمة مولينا الرضا (ع):

... ان الامامة زمام الدين ونظام المسلمين وصلاح الدنيا وعزالمومنين ان الامامة اسّ الاسلام النامي وفرعه السامي... الامام يحل حلال الله ويحرم حرامه ويقيم حدود الله ويذب عن دين الله ويدعوالى سبيل ربه بالحكمة

---

١ ـ مسند الامام الرضا(ع) ١/٧٥ (المقدمه) عن التوحيد ٤١٧ ـ ٤٤١ والعيون ١/١٥٤.

والموعظة الحسنة والحجة البالغة[١].

وحیث ان حقیقة القرآن العینی ـ ای الانسان الکامل المعصوم (ع) ـ هی حقیقة القرآن العلمی بلا انفکاك احدهما عن الآخر فلذا تفسر الامانة المعروضة علی السموات والارض والجبال فابین ان یحملنها واشفقن منها... (تارة) بالولایة (واخری) بالقرآن، وکما ورد فی شان القرآن العلمی بانه:

لو انزلنا هذا القرآن علی جبل لرأیته خاشعا متصدعا من خشیة الله[٢].

کذلك قال مولینا علی المرتضی (علیه افضل صلوات المصلین) عند بلوغ خبر ارتحال سهل بن حنیف الانصاری الیه:

لواحبنی جبل لتهافت[٣].

یعنی کما ان الجبل لایطیق لحمل القرآن العلمی کذلك لایقتدر علی احتمال الولایة للقرآن العینی، وکم له من اشباه ونظائر فی النصوص الدالة علی ان الانسان الکامل المعصوم (ع) ـ ای الامام ـ قرآن عینی کماوان القرآن امام علمی، فلذلك یهتف کل واحد منهما الناس الی صاحبه. یعنی ان القرآن یدعوهم الی امامة الامام واطاعته کماقال سبحانه:

اطیعوا الله و اطیعوا الرسول واولی الامر منکم[٤].

وما آتاکم الرسول فخذوه ومانهاکم عنه فانتهوا[٥]

---

١ ـ مسند الامام الرضا (ع) ٩٨/١، عن الکافی ١٩٨/١.

٢ ـ الحشر/٢١.

٣ ـ الغرر والدرر لآمدی ١١٤/٥، ذان شرحه الشریف الرضی قدّه وکذا المحقق الخونساری ره بوجه آخر، نهج البلاغة، قصارالحکم ١١١.

٤ ـ النساء/٥٩.

٥ ـ الحشر/٧.

وانما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلاة ويوتون الزكوة وهم راكعون[١].

والامام ايضا ـ بالذات ـ يدعوهم الى القرآن كما اوعزاليه مولينا الرضا (ع) بقوله:

... لا تطلبوا الهدى فى غيره فتضلوا[٢].

وبما ان الامام (ع) قرآن ممثل يوجد فى بين كلماته محكمات ومتشابهات كما قال مولينا الرضا (ع):

من ردّ متشابه القرآن الى محكمه هدى الى طريق مستقيم، ثم قال (ع): إن فى اخبارنا متشابها كمتشابه القرآن ومحكما كمحكم القرآن فردوا متشابها الى محكمها ولا تتبعوا متشابها دون محكمها فتضلوا[٣].

وحيث ان المحكمات هى ام الكتاب وبها ترتضع المتشابهات وتنمو وتخرج عن حدالتشابه وتندرج فى حوزة المحكمات فعلى المتدبر فى القرآن والحديث عرفان المحكم من كل منهما و عرفان المتشابه حتى يعرف كيفية واسلوب رفع التشابه فى ضوء المحكم.

ومن تلك الآثار المشتركة بين القرآن العلمى والقرآن العينى هو: ان كل واحد منهما نور الهى متنزل من لدى الله الى عالم الطبيعة لم يتخلله الظلام اصلا لافى حدوثه ولافى بقائه ولم تظلم مرتبة من مراتب نزوله فلم يتطرق الجهل او الابهام او التعميه او الغفله اوالنسيان وما الى ذلك مما ينافى نورانية القرآن العلمى اوالعينى فى حريم شيئ منهما فى ايّة درجة من درجاتهما.

١ـ المائدة /٥٥.

٢ـ مسندالامام الرضا(ع) ١/٣٠٧، عن التوحيد ٢٢٣ والامالى ٢٢٦.

٣ـ مسند الامام الرضا(ع) ٣٠٨، عن عيون الاخبار ١/٢٩٠.

(اما) فی القرآن العلمی فلما مرمسبقا من قوله تعالی:

یاایها الناس قد جائکم برهان من ربکم وانزلنا الیکم نورامبینا[1].

لأنه یدلّ علی ان الذی نزل من عندالله هوبرهان لاخفاء فیه ونور لاظلام له اصلا، ولامجال لتطرق شیی من ذلك الیه فی مرتبة من مراتب تنزلا ته لقوله تعالی:

... فی صحف مکرمة مرفوعة مطهرة بایدی سفرة کرام برزة[2]

لدلالته علی کرامة القرآن العلمی فی جمیع مراتب تنزلا ته عن ایّ نقص وطهارته عن ایّ رجس و نزاهته عن ای رجز و...

(واما) فی القرآن العینی- ای الانسان الکامل المعصوم(ع)- فلقول مولینا الرضا(ع) وقد اجتمع الفقهاء واهل الکلام من الفرق المختلفة فسأله بعضهم فقال له:

یابن رسول الله بأی شیئ تصح الامامة لمدعیها؟- قال(ع)-: بالنص والدلیل.قال له: فدلالة الامام فیماهی؟ قال: فی العلم واستجابة الدعوة، قال: فما وجه اخبارکم بمایکون؟ قال(ع): ذلك بعهد معهود الینا من رسول الله(ص)، قال فماوجه اخبارکم بمافی قلوب الناس؟ قال(ع) له: اما بلغك قول الرسول(ص) اتقوا فراسة المؤمن فانه ینظر بنور الله. قال: بلی قال(ع): ومامن مؤمن الاوله فراسة بنور الله علی قدر ایمانه ومبلغ استبصاره وعلمه وقد جمع الله للائمة منا مافرقه فی جمیع المؤمنین. وقال عزوجل فی محکم کتابه:ان فی ذلك لآیات للمتوسمین، فاول المتوسمین رسول الله(ص) ثم امیرالمومنین(ع) من بعده ثم الحسن والحسین والائمة من ولد الحسین(ع) الی یوم القیمة. قال: فنظر الیه المامون فقال له:یا اباالحسن زدنا مما جعل الله لکم

---

۱ - النساء /۱۷٤.

۲ - عبس /۱٦ - ۱۳.

اهل البيت. فقال الرضا(ع): ان الله عزوجل قد ايدنا بروح منه مقدسة مطهرة ليست بملك لم تكن مع احد ممن مضى الا مع رسول الله (ص)، وهى مع الائمة منا تسددهم وتوفقهم وهو عمود من نور بيننا وبين الله عزوجل[1].

حيث يدلنا على أن الامامة محفوفة بعمود من نور دائم فائض متصل من الله سبحانه إلى عالم الطبيعة الذى يعيش فيه الامام(ع) بوجوده العنصرى، فجميع مايظهر اويصدر من الله ويتنزل إلى عالم الطبيعة فى قوس النزول معلوم للامام(ع)، وهكذا جميع مايصعد اليه من الكلم الطيب، وجميع مايرفعه اليه من العمل الصالح من اىّ معتقدٍ واىّ عامل فى قوس الصعود مشهود له (ع) اذ العمود النورى عبارة عن وصف كمالى وجودى مقدس عن شوب المادة منزه عن مزج الحجاب والغيبة ومالى ذلك، والامام(ع) متصف بذلك الوصف الوجودى من لدى الله سبحانه الى الطبيعة نزولا ومنها اليه تعالى صعودا فلا يختفى عليه شيى فى الارض ولافى السماء كل ذلك فى اطار العالم الامكانى وباذن الله الذى ليس كمثله شيى.

وحيث ان حلقات النظام الفاعلى نزولا وكذا حلقات النظام الغائى صعوداً مترتبة وان بعضها فوق بعض فالتالى يستفيض من المتلو وهو مفيض عليه فلاغرو فى حاجة بعض مراتب وجود الامام(ع) الى بعضها الآخر، كما وان الأمر فى نفس العمود النورى ايضاً كذلك فلولم يعلم الامام(ع) بوجوده العنصرى امراً فان بامكانه ان يستفيده من باطن وجوده كما فى غيره(ع) من المجردات المستكفية بباطن ذاتها، وليس الامام(ع) منحصرا فى اطار وجوده العنصرى حتى يوجب جهله بوجوده العنصرى جهله باطلاقه، لان العمود

١ـ مسند الامام الرضا(ع) ١٣٣/٢، عن عيون الأخبار ٨٧/٢.

النورى ايضا كذلك لانه رغم كونه نورا بتمام مراتبه لكنه ـ فى ذات الوقت ـ غيرخلى عن شوب الجهل اذ مراتبه النازلة جاهلة بمافى مراتبه العالية، وان كان ذلك العمود النورى فى متنه معصوما عن الخطاء ومصونا عن الجهل والغيبة وماالى ذلك. وليس ذلك التسديد والتوفيق على صفة تزول حيناً وتعود حينا آخر، بل على نحوالملكة الحاضرة دائما، فلا حجاب بين الامام(ع) وبين الله سبحانه، اذلاحجاب بين ذلك العمود النورى وبين منوره الذى هوالله سبحانه، فلا حجاب ـ ايضاً ـ بين الامام(ع) وبين العالم الخارج، لان ذلك العمود النورى قد ابان له كل شئ، وبه يضيئى له كل شيئ باذن الله، وبهذا العمود النورى يكون الغيب مشهوداً له (ع).

ومما يشهد لذلك انه لما قال مولينا الرضا(ع) لابن هذّاب:

ان انا اخبرتك انك ستبتلى فى هذه الايام بذى رحم لك لكنت مصدقا لى؟ قال: لا،فان الغيب لايعلمه الا الله تعالى. قال(ع): أوليس انه تعالى يقول: «عالم الغيب فلايظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول»، فرسول الله مرتضى ونحن ورثة ذلك الرسول الذى اخلفه الله على مايشاء من غيبه فعل ماكان ومايكون الى يوم القيمة[1].

لان انقسام الموجود الى الغيب والشهادة انقسام نسبى لانفسى لان الموجود المجرد الغائب عن عالم الطبيعة فهو مشهود لنفسه ولعلله العالية.

ومعنى كون الله تعالى عالما بالغيب والشهادة هوالارشاد الى نفى الغيب مقيسا اليه تعالى اذالعلم عبارة عن الشهود وهو يباين الغيب فليس معناه ان هناك غيبا وهو مع انه غيب معلوم لله سبحانه، فاذا كان العمود النورى المرتبط بالله العالم بالغيب والشهادة، مع الامام المعصوم(ع) يسدده ويوفقه فهو ايضاً

---

١ ـ مسند الامام الرضا(ع) ٢/٩٧.

يعلم الغيب لكن لابالذات والاصالة بل بالعرض والتبع فى خصوص ما ظهرمن الله فى العالم دون مااستاثره الله لنفسه من الغيب المحض الذى لم يظهر ولن يظهر، لخروجه عن العالم كخروجه عن موضوع البحث. والى هذاالعمود النورى اشار مولينا الرضا(ع) فى قوله:

الائمة علماء حُلماء صادقون مفهّمون محدّثون[1]

وقوله(ع):

لنا اعين لا تشبه اعين الناس وفيها نورليس للشيطان فيها نصيب[2].

وليس المراد من الاعين هناهى التى ترى الاجسام وتحس الالوان، بل هى الاعين التى فى الصدور والتى ترى الآيات الالهية ومافوقها. كماقال اميرالمومنين(ع):

لا تدركه العيون بمشاهدة العيان ولكن تدركه القلوب بحقائق الايمان[3].

وهذه الأعين مختصة للمومنين على مالهم من الدرجات دون غيرهم، لانهم عمى لايبصرون، كما قال سبحانه:

فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور[4].

والسر فى قداسة تلك الأعين عن الشيطان هو اخلاصها، لان تلك الاعين هى القلوب الواهة المخبتة اليه المخلصة له، وقد اعترف الشيطان بعجزه النهائى عن اغواء المخلصين واضلالهم واحتناكهم ومالى ذلك من شروره ووساوسه

---

١ ـ مسند الامام الرضا(ع) ١/١٠٢، عن امالى الطوسى ٢٥٠.

٢ ـ مسند الامام الرضا(ع) ١/١٠٣، عن امالى الطوسى ٢٥٠.

٣ ـ نهج البلاغه، الخطبة ١٧٩. ٤ ـ الحج/٤٦.

ودسائسه وحبائله واشراكه، لان اقصى مقامه هوالتجرد الخيالى والوهمى ولامجال له فى التجرد العقلى التام، اذا فهو يعلم مايريده المخلص حتى يسول له ويدس فيمايرومه كما و ان جميع ذخائره وزخارفه معرض عنها للعبد الذى استخلصه الله لنفسه فلا نصيب للشيطان فى علمه وعمله. وبهذا العمود النورى المسدد والموفق يعلم الامام المعصوم(ع) مافى الصدور من الايمان والنفاق لان الباطن قد اضاءله بذلك النور واصبح كالظاهره لاحجاب له، فلذاكتب مولينا الرضا(ع) رسالة الى بعض اصحابه. جاءفيها:

انالنعرف الرجل اذا رأيناه بحقيقة الايمان وبحقيقة النفاق[1].

لان قلوب العباد كقوالبهم مكشوفة لمن له عمود نورى من تخوم عالم الطبيعة الى عنان عالم الغيب فلا استتار هناك ... ويشهد له مارواه حمزة بن عبدالمطلب بن عبدالله الجعفى قال:

دخلت على الرضا(ع) ومعى صحيفة اوقرطاس فيه عن جعفر(ع) ان الدنيا مثلت لصاحب هذا الامر فى مثل فلقة الجوزة فقالذياحمزة ذاوالله حق فانقلوه الى اديم[2].

والذى يفيدنا هذا الحديث الشريف هوان الدنيا وان كانت بالنسبة الى غير الامام كالجوزالذى لم يفلق فلا يعلم مافى جوفه وباطنته، الا انها بالنسبة اليه(ع) كالجوز المفلوق الذى فلقه فالق الحب والنوى فيعلم مافى جوفه كمايعلم قشره ومافى ظاهرته من الخطوط والنقوش وما الى ذلك. فلذا لايمكن للدنيا ان تغر الامام(ع) رغم كونها غُرورا للناس. كماو ان المستفاد من هذا

١ـ عيون اخبار الرضا(ع) ٢/٢٢٧.

٢ـ مسندالامام الرضا(ع) ١/١٠٩، عن بصائر الدرجات ٤٠٨.

البيان النورى هو الاهتمام بالتعلم (اولا) و كتابة العلم (ثانيا) وضبط خصوص مايتصل الى الامامة وعلم الامام وحيطة علمه (ع) بجميع الدنيا وعدم احتجاب شيى منها عن علمه (ع) (ثالثا) وهذا من غرر الاحاديث الباعثة على التعلم وتدوين الحديث ومعرفة شأن الامام (ع)، لظهوره فى اهتمام مولينا الرضا (ع) بضبط الحديث فى اديم حتى يصان عن الخرق والاندراس، لان الاديم احفظ من القرطاس الذى يسارع اليه البلى ويبادر اليه الدروس ويستبق اليه العفا ويقترب منه الانمحاء.

فاذاتبين لنا ان بين الامام المعصوم (ع) وبين الله سبحانه عمودا من نور يتضح بجلاء ماروى عن مولينا ابى جعفر الباقر (ع):

... ما احد اكذب على الله وعلى رسوله ممن كذبنا اهل البيت وكذب علينا لانه اذا كذبنا او كذب علينا فقد كذب الله ورسوله لانا انما نحدث عن الله تبارك وتعالى وعن رسوله...[1]

فكما ان الامام (ع) لاحاجة له فى نقل شيئ عن رسول الله (ص) الى راوٍ وناقل، بل يكون مرسله خيرا من مسند غيره للارتباط النورى بينهما، كذلك لاحاجة للامام المعصوم (ع) فى نقل شيئ عن الله سبحانه فيما لايتصل الى التشريع وبيان الاحكام العملية الى رواية راو او نقل حاك.

ويشهد له مارواه المفيد (ره) عن سالم بن ابى حفصة، قال:

لما هلك ابوجعفر محمد بن على الباقر (ع) قلت لأصحابى: انتظرونى حتى ادخل على ابى عبدالله جعفربن محمد (ع) فاعزّيه فدخلت عليه فعزيته ثم قلت انا لله وانا اليه راجعون ذهب والله من كان يقول: قال رسول الله (ص): فلا يسال عمن بينه وبين رسول الله (ص) لاوالله لايرى مثله ابدا قال: فسكت

---

١ ـ مسند الامام الرضا (ع) ١/١٦٠.

ابوعبدالله (ع) ساعة ثم قال: قال الله عزوجل: ان من عبادی من یتصدق بشق تمرة فاربیها له فیها کما یربی احدکم فلوة حتی اجعلها له مثل احد[۱].

والسبب فی ذلك هو ان الامام المعصوم یسمع مایسمعه رسول الله (ص) ویری مایراه الا انه لیس بنبی کماقاله رسول الله (ص) لعلی (ع) حین قال (ع):

ولقد سمعت رنّة الشیطان حین نزل الوحی علیه (ص) فقلت: یا رسول الله (ص) ماهذه الرنة فقال (ص) هذا الشیطان قدایس من عبادته انك تسمع مااسمع وتری ما اری الا انك لست بنبی ولکنك لوزیر وانك لعلی خیر...[۲]

و حصیلة الکلام: ان القرآن العینی ـ ای الانسان الکامل المعصوم (ع) ـ کالقرآن العلمی متنور بعمود نوری بینه وبین الله سبحانه وتعالی فهو یری مالایراه غیره، بعین لا تشبه عین غیره لیس للشیطان فیها نصیب ولا تغفل تلك العین ولاتجهل ولا تاخذها سنة ولا نوم، لابالذات والاصالة بل بالعرض والتبع، لکون تلك العین النوریة مظهراً لله الذی لا تاخذه سنة ولانوم بالذات. ولذلك یکون منام الامام المعصوم (ع) ویقظته واحدة. وهذا مایعطیه کلمة مولینا الرضا (ع) لحسن بن علی بن بنت الیاس ابتداء:

ان ابی کان عندی البارحة قلت: ابوك ؟ قال (ع): ابی، قلت: ابوك ؟ قال (ع) ابی، قلت ابوك ؟ قال: فی المنام ان جعفرا (ع) کان یجیئ الی ابی فیقول یابنی إفعل کذا یابنی افعل کذا، قال: فدخلت علیه بعد ذلك فقال (ع): یاحسن ان منامنا و یقظتنا واحدة[۳].

والسر فی ذلك هوکون ذلك العمود النوری قائما بمن هونور السموات والارض وعلی صلة بمن لایعزب عن علمه مثقال ذرة فی الارض ولافی السماء

---

۱ ـ امالی المفید، المجلس الثانی والاربعون.

۲ ـ نهج البلاغة، الخطبة القاصعة ۱۹۲. ۳ـ قرب الاسناد ۲۰۲ ـ ۱۹۸.

وعلى رباط بمن لايكون نسيا، وعلى سنادٍ بمن لا تاخذه سنة ولانوم. كماو أن القرآن العلمى ايضا لايخرج عن هذه الحال رغم كونه موجودا ممكناً فائضا من لدنه تعالى فاذا كان ذلك العمود النورى المطهر عن رجس الجهل ورجز الغفلة ومااليه موفقا للامام ومسددا له(ع) فطبيعى ان لايكون بين نوم ذلك الانسان الكامل المعصوم(ع) ويقظته فرق اذتنام عينه الظاهرة ولا تنام عينه البطينة التى لا تشبه اعين الناس. وهذا هوالاصل الذى يترتب عليه غيرواحد من الفروع التى مر بعضها مسبقا، ومن ذلك قول مولينا الرضا(ع) لمن حضر عنده من علماء الكوفة ومتكلميها:

انى اريد ان اجعل لكم حظّا من نفسى كما جعلت لاهل البصرة وان الله قد اعلمنى بكل كتاب انزله[1]...

وللكلام تتمة سياتى بيانها.

تبصرة: فى بطلان الفرق بين القرآن العلمى والعينى كامتناع افتراق احدهما عن الآخر

واذ تبين ان الامام(ع) قرآن عينى وانه لايفترق عن القرآن العلمى كما لايفترق القرآن العلمى عنه لكون كل واحد منهما داعيا الى صاحبه[2] فلايسوغ الفرق بان يتمسك باحدهمادون الآخر اذ ان اخذكل واحد منهما بدون صاحبه ليس الابمثابة ترك كليهما معا، فلايجوز الاكتفاء باحدهما وحده لابالتفريط ولا بالافراط فلا مجال للغلو فى القرآن العلمى بالتفريط فى القرآن العينى بان يقال حسبنا كتاب الله، كماو لامجال ايضا -بذات الدليل- للتغالى فى القرآن العينى

١- الخرائج ٤٠٦.

٢- معانى الاخبار، باب معنى عصمة الامام.

بالتفريط في القرآن العلمي بان يقال حسبنا ماجاء عن العترة الطاهرة، اذ كل واحد من جانبي الافراط والتفريط جاهلية جهلاء، لما مرمسبقا: ان انكار القرآن العلمي جاهلية والاعراض عن الامام المعصوم (ع) ايضا جاهلية كذلك، فالحياة العقلية لا تقضي سوى الاتّباع لمارواه الفريقان عن العقل الاول خاتم الرسل (ص):

انى تارك فيكم الثقلين احدهما اكبر من الآخر كتاب الله حبل ممدود من السماء الى الارض وعترتى اهل بيتى فانظروني كيف تخلفوني فيهما[1]

ومنشاء الاكتفاء باحدهما رافضا للآخر هو توهم عدم صيانة ذلك الاخر، مثلا: ان القول بكفاية القرآن العلمي نابع عن توهم عدم عصمة العترة الطاهرة عن الخطاء في العلم وعن الخطيئة في العمل وان القول بكفاية القرآن العيني ـ اى العترة الطاهرة ـ ناش عن حسبان عدم عصمة القرآن العلمي عن لوث التحريف ورجس التصحيف و... وكما ان القول بعدم عصمة العترة الطاهرة يورث الثلمة المفجعة في الاسلام لايسدها شيئ كذلك القول بعدم عصمة القرآن العلمي عن التحريف يلازم ثلمةفيه يالها من خسارة كبيرة غير متداركة. ومحققوا الامامية بُراء من ذلك، لان الله الذى قال في حق القرآن العلمي:

انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون[2]

وقال في شأن القرآن العيني:

انما يريدالله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا[3]

---

١ ـ العيون ٢/٣٠.

٢ ـ الحجر/٩.

٣ ـ الاحزاب /٣٣.

منه برئ وكذا رسوله الاعظم الذى قال فى القرآنين ـ العلمى والعينى ـ «انى تارك فيكم الثقلين».

فالإمامية ـ اى الفرقة الناجية ـ تعتقد وتذعن بأن القرآن والعترة من عند ربنا نؤمن بهما ولانفرق بينهما لانهما لن يفترقا حتى يردا على رسول الله الذى خلفهما فى امته عند الحوض، والافراط فى حق العترة بعينه تفريط فى حق القرآن وموجب لحرمان المجتمعات بل الحوزات العلمية عن علومه، اذالقول بعدم حجية ظواهره لكونه ـ معاذالله ـ محرفا يوجب ان لايجعل القرآن مدارا للمدارسة والبحث والحوار فى المدارس والاوساط العلمية المعتبرة ويلازم خروجه عن قطب التحليل والتفسير، كماو ان الافراط فى حقه ـ بالذات ـ تفريط فى حق العترة الطاهرة وموجب لحرمان الامة الاسلامية عن زعامتهم وهدايتهم و حكومتهم وقيادتهم لأن المصير بعدم عصمتهم ـ معاذالله ـ يلازم ان لا تكون سيرتهم و سنتهم التى هى سيرة النبى (ص) وسنته (ص) اسوة للامة الاسلامية ويوجب الحكم بسواسيتهم مع سائرالناس، بينما الامام الرضا (ع) يصارح و يقول: «نحن سادة فى الدنيا وملوك فى الارض»[1].

كما و كتب مولينا اميرالمؤمنين (ع) الى معاوية:

... ولولا مانهى الله عنه من تزكية المرء نفسه لذكر ذاكر فضائل جمة... فانا صنائع ربنا والناس بعد صنائع لنا...[2]

فاين الثرى من الثريا، لانهم (ع) مجارى فيض الله ووسائط لطفه وان كان الكل مخلوقالله الخالق كل شيئ، الا ان قبول بعض الاشياء للفيض يتوقف على سبق فيض آخر. وهذالايعنى ان افاضته تعالى تكون كذلك

١ـ العيون ٢/٥٧.

٢ـ نهج البلاغة، الكتاب ٢٨.

اذالقبول و الاستفاضة هى المقيدة دون الفعل والإفاضة، فلذاتكون الائمة(ع) صنائع الله بلا وساطة والناس صنائع الله تعالى مع الوساطة، وعليه: فلايتمكن لهم ان يستفيضوا من الله سبحانه الا بوساطة الائمة(ع)، لانه تعالى لايقتدر على الافاضة الا بوساطتهم، وكم فرق بين الامرين، وحيث انهم(ع) وسائط الفيض للناس فيجب عليهم ـ لزاما ـ طاعة الائمة(ع)، كما اوعزاليه مولينا الرضا(ع) ـ فى جواب من سئله:

«طاعتكم مفترضة»ـ: نعم، فقال: مثل طاعة على بن ابيطالب؟ قال (ع) نعم[1] وقال(ع) عند التطبيق لقوله تعالى:... «والى الجبال كيف خلقت»[2] انها الاوصياء[3]

يعنى (ع)انهم جبال دين الله ورواسيه المنيعة له عن المَيَدان والاضطراب.

كما قال اميرالمومنين(ع) فى حقهم(ع):

هم(ع) موضع سره... وكهوف كتبه وجبال دينه بهم اقام انحناء ظهره و اذهب ارتعاد فرائصه[4].

ولولا عصمتهم عن الخطاء وصيانتهم عن الخطيئة لما كانوا جبالاً ورواسى و لما كانوا قديرين على اقامة انحناء ظهر الدين و إذهاب ارتعاد فرائصه وماالى ذلك من الشئون المتوقفة على العصمة. وعلي الجملة فلوضل الامام فى مجال علمى اوزل فى شأن عملى اوسهى فى حكم الهى او نسى وحياً سماويا اوفسّره بها جس نفسانى ـ والعياذ بالله ـ لافترق فى ذلك عن القرآن المصون عن ذلك

---

١ ـ الاختصاص، ٢٧٨.
٢ ـ الغاشية/١٩.
٣ـ مناقب ابن شهرآشوب ١/ ٢٢٠.
٤ ـ نهج البلاغة، الخطبة ٢.

كله، مع ان الصادق المصدق الامين على وحى الله اعلن وصارح بانهما لن يفترقا...

كما و ان الزعم الزائف فى تحريف القرآن ـ معاذالله ـ ليس الا حكما بافتراقه عن العترة المعصومة المصونة من حيث لايحتسب، رزقنا الله التمسك التام بهما ولايفرق بيننا وبينهما ابدا ووفقنا لان لانفرق بين احد من هولاء السادة لانهم من نور واحد.

كما قال مولينا الرضا(ع) لابن ابى سعيدالمكارى لماقال له (ع):

أبلغ من قدرك ان تدعى ما ادعى ابوك ـ قال له: مالك اطفاء الله نورك وادخل الفقر بيتك ـ اما علمت ان الله اوحى الى عمران انى واهب لك ذكرا فوهب له مريم ووهب لمريم عيسى فعيسى من مريم ومريم وعيسى شيئٌ واحد وانا من ابى وابى منى وانا وابى شيئٌ واحد[1].

والسر فى ذلك ان حقيقة الولاية والامامة والخلافة وماالى ذلك من الحقايق الانسانية امر نورى واحد لا تعدّدفيه هناك رغم جلائه بصور متعددة فى موطن الكثرة، فلذا يكون الاولياء الكُملّ بعضهم من بعضهم لا تفاوت بينهم فى ذلك الافى مقام الظهور والبروز لافى اصل التحقق والحصول. ومن اظهرمصاديقه ماشتهر نقله عن رسول الله (ص) انه قال (ص): «حسين منى وانا من حسين»، وبما أن ملاك الاتحاد هو اخلاصهم لله الواحد القهار وفَنائهم فى فِنائه سبحانه، لذلك فان بعضهم من بعض، وكلام كل واحد منهم كلام الآخر ـ بالذات ـ وكلام الكل هو كلام خالقهم وبارئهم ومعلمهم وهو الله تعالى.

كمانقل هشام وحماد وغيرهما عن ابى عبدالله (ع) انه قال:

١ـ تفسير على بن ابراهيم ٥٥١.

حدثني حديث ابي وحديث ابي حديث جدي وحديث جدي حديث الحسين وحديث الحسين حديث الحسن وحديث الحسن حديث اميرالمؤمنين وحديث اميرالمؤمنين (ع) حديث رسول الله (ص) وحديث رسول الله (ص) قول الله عزوجل[1].

فوزان الاولياء هو وزان الانبياء (ع) فمن غلب عليه حكم الوحدة قال لانفرّق بين احد منهم، ومن تغلب عليه حكم الكثرة قال: «تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض» ـ هكذا قيل ـ وعليه تكون الوحدة باعتبار والكثرة باعتبار آخر بلا تناف بينهما، والفارق انما هو في سلوك السائر الى الله وان كان هذا الفرق امرا حقيقيا لان شهود السالك الذي يسير على الصراط السوي يطابق الخارج من حيثٍ، وان لايخرج من حيطة نفسه ودرجات سيره من حيثٍ آخر وليس الفرق المذكور فارقا اعتباريا كما في العلوم الاعتبارية.

---

١ ـ الميزان ١٩/١٣٣.

الفصل الثانى

الجنة الاولى: فى بيان ماهوطريق معرفة القرآن

قد تقدم فى الروضة ان القرآن نور وبيان الهى وحيث إن النور لاظلامة له وان البيان لاابهام فيه، اذاً فهو بريئٌ عن أية ظلمة وخليص عن شوب ايّ ابهام فهو فى تبيين جميع مايتصل اليه، نور وضياء، فلايمكن ان يسكت في تحديد طريق الوصول اليه، لان من اظهر خواص النور هوتوضيح السبيل المنتهية اليه وتعرفة المانع عن التطرق اليه، فالقرآن نور فى بيان شرائط معرفته ونور فى بيان الموانع عنها. فلنأت بشطر من ذلك ولنمهد قبله تقدمة وجيزة هى مايلى:

ان المعرفة والمعروف من سنخ واحد فإن كان المعروف محسوسا يكفيه المعرفة الحسية وان كان متخيلا او موهوما كفته المعرفة الخيالية والوهمية، وان كان معقولا لايكفيه سوى المعرفة العقلية مع الانتفاع المقدمى من المعرفة الحسية والخيالية والوهمية، واما ان كان المعروف فوق ذلك فلا يكفيه شيئ منه اصلا بل لابد من الشهود القلبى والخروج عن اطار الحس ومحبس الخيال وقيد الوهم وحجاب العلم الحصولى العقلى وما الى ذلك من الحجب الظلمانية والنورانية حتى اذا خرقت ابصار القلوب حجب النور تصل الى معدن العظمة وتصير الارواح العتيقة عن عبودية ايّ مولى من الموالى الباطلة الداخلة والخارجة معلقة بعز قدس الله سبحانه ملحقة بنور عزه الابهج من كل بهيج فتكون له سبحانه عارفة وعن سواه منحرفة ومنه تعالى خائفة مراقبة خوفا عن التلوث بالنظر الى

الغير وعن التلطّخ برجس من سواه.

(والمحصّل) ان معرفة كل شيء فانما هي من سنخه ليس الا... وحيث ان القرآن حبل متصل من تخوم عالم الحس الى عنان عالم العقل ثم من عرش العقل الى قاب قوسين اوادنى فلايمكن الاعتصام باىّ حدٍ من حدوده الا بيد المعرفة المسانخة لذلك الحد من ادنى انحائها وهو الحسى حتى اعلاها وهوالشهود المحض الايمانى لمن كان له قلب لايكذب مارأى وبصر لايزيغ ولا يطغى و ذاك هو رسول الله (ص) و عترته الطاهرة الذين هم من نور واحد ولامايز بينه (ص) وبينهم (ع) الا فى النبوة و الرسالة دون الولاية التى هى الباطنة لاىّ مقام وهى المشتركة بينه (ص) وبينهم (ع) كما مر.

اضف الى كل ذلك: ان القرآن الكريم له الفاظ دالة على المعانى، فلامحالة يشتمل على حقول كيثرة وسيعة من العلوم الادبية كالنحو والصرف واللغة والمعانى والبيان والبديع وماأليها من العلوم الاعتبارية التى وضعتها يدالاعتبار وان كانت لتلك العلوم ايضا صلات رقيقة الى الحالات النفسانية من البعث والزجر والبسط والقبض والتهييج والتسكين والفرح والهم والنزوع والانعزال والشهرة والخمول ونحوذلك من الامور الحقيقية ـ على الجملة ـ الا ان اس تلك العلوم الادبية انما هى الاعتبارات العقلائية الدائرة مدارها وجودا وعدما وهكذا سعة وضيقا ودرجات تلك القواعد الاعتبارية ـ ايضا ـ تختلف ـ فى نفس الوقت ـ باختلاف اعتبارها فى مرتبة الحس والخيال والوهم حتى ينتهى الى موقف منزه عن الاعتبار مجرد عن قيدالوضع. ومهمايكن من امر فإن المعروف الحقيقى لاينالـه الا المعرفة الحقيقية وان المعروف الاعتبارى تكفيه المعرفة الاعتبارية فكلّ بحياله.

وبعد تمهيد هذه التقدمة نقول: إن القرآن قدبين شرائط معرفة نفسه من

ادناها الى اعلاها واهمها وحث الناس لتحصيلها و ابان عن موانع معرفته من ارقها الى اغلظها واكثفها وحذرهم عنها. فتمام المقال فى مقامين: احدهما فيما يرجع الى شرائط المعرفة وثانيهما فيما يرجع الى موانعها:

المقام الاول: فى شرائط معرفة القرآن

وحيث ان القرآن كلام بلسان خاص وكتاب بلغة مخصوصة فلابد لسامعه وقارئه من الاطلاع على كلماته وحروفه ومفرداته وتراكيبه حتى يتيسر له قرائته اواستماعه وانصاته له. فغير العارف بالعربى والذى لايميزه عن غيره ولايعرف هذاالسان المخصوص لايقتدر على تلاوته التى هى اقل درجات الصلة به، وقد امر الناس بذلك فى غير مورد، كما قال سبحانه:

... فاقرءوا ماتيسر من القرآن[1].

وقد كان مولينا الرضا (ع) يكثر بالليل فى فراشه من تلاوة القرآن فاذا مربآية فيها ذكر جنة اونار بكى وسئل الله الجنة وتعوذ به من النار...[2].

كما و ان الشرط البدئى للتدبر فيه هو معرفة قواعد هذاالسان وعلومه الخاصه به، حيث قال سبحانه:

انا انزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون[3].

كتاب فصلت آياته قرآنا عربيا لقوم يعلمون[4].

قرآنا عربيا غيرذى عوج لعلهم يتقون[5].

ومعنى كونه غير ذى عوج هو ان القرآن بلفظه ومعناه صراط سوىّ

---

١ ـ المزمل /٢٠.

٢ ـ عيون الاخبار، ٢/١٨٠.

٣ ـ يوسف /٢.

٤ ـ فصلت /٢٨.

٥ ـ الزمر /٢٨.

لااعوجاج له ولايمكن تعويجه بالعلاج، لان التعبير بغير ذى عوج انما هو كالتعبير بغير ذى زرع فى الدلالة على انه لايتمكن من تغييره بالعلاج الصناعى، لانه ليس بمزروع بالفعل وبما ان القرآن بلسان عربى غيرذى عوج فانه يلازم الاطلاع التام على قواعده لكى ينال لفظه بادئا ومعناه ثانيا. وقدوصف الله سبحانه هذاللسان مرة بانه غير ذى عوج وتارة اخرى بانه عربى مبين اى يبين الالسنة و لا تبينه الالسنة. فلهذا اللسان خصيصة لا توجد فى غيره كما اوعزاليه سبحانه بقوله:

لسان الذى يلحدون اليه اعجمى وهذالسان عربى مبين[1].

فكما ان معانى القرآن معارف عالية الرفوف لا تناوشها الّا العقول الراقية الرفيعة عن صعيد الحس والخيال والوهم حيث ان تلك المعارف كتب مرفوعة شأنا وصحف مطهرة ذاتا، كذلك الفاظه فانها جعلت بلسان عربى مبين لا تنال قواعده الا الادباء والفصحاء والبلغاء فيما يتصل الى علومها الادبية التى هى فى بادى الامر فاذا تحصل الشرط البدئى- اى التطلع على قواعد العربى المبين -تصل النوبة الى معرفة معانى القرآن وشرائط تلك المعرفة، فكما ان الله سبحانه امر بتلاوته ورغب الناس اليها وبين لها آدابا من الاستعاذة عند القرائة حدوثا وبقاء حيث قال تعالى:

فاذا قرات القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم[2]

اى استعذ بالله الذى لاملجأ إلّااليه. ولن تجد من دونه ملتحدا[3] لكى

---

١ - النحل /١٠٣.

٢ - النحل /٩٨.

٣- الكهف /٢٧.

لايسلّط عليك الشيطان:

انه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكّلون انما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون[١].

فادب التلاوة هوالالتجاء بالله حال القرائة لافى خصوص حدوثها بل فى تمام مدتها حدوثا وبقاء، ومن تلك الاداب الترتيل حيث قال سبحانه:

ورتل القرآن ترتيلا[٢]

ونحو ذلك من السنن التى تذكر للتلاوة، كذلك قدامر بالتدبر فيه وحث الناس اليه وبين له آدابا وسننا وجعل ذلك هوالتكليف الهام الالهى حيث قال تعالى:

كتاب انزلناه اليك مبارك ليدبروا آياته وليتذكر اولو الالباب[٣]
افلم يدبروا القول ام جائهم مالم يات آبائهم الاولين[٤].
افلا يتدبرون القرآن ولوكان من عند غيرالله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً[٥].

وقال سبحانه:

افلايتدبرون القرآن ام على قلوب اقفالها[٦].

الى غير ذلك من الآيات الحاثة للتفكر والتعقل والتعلم لمعارف القرآن وبما انها ليست محسوسة ولا متخيلة ولاموهومة كما و انها ليست امورا اعتبارية اسّستها يدالاعتبار، بل امور وجودية حقيقية فلذا لا تدركها الحواس ولا تناوشها

١- النحل /١٠٠.
٢- المزمل/٤.
٣- ص /٢٩.
٤- المؤمنون /٦٨.
٥- النساء/٨٢.
٦- محمد(ص) ٢٤.

المخيلات والاوهام، لان الله سبحانه ووحدته وعلمه المحيط بكل شيئ و قدرته المسيطرة على كل شيئ وحياته المطلقة التى لاينالـه الموت... ومالى ذلك من الاوصاف الحقيقية التى بيّنها القرآن فى حقل الالهيات... منزهة عن منال الوهم والخيال فضلا عن الحس وهكذا الوحى والنبوة والرسالة والامامة والخلافة والعصمة والملائكة واليوم الاخر بماله من المواقف.

فان كل هذه مما لا امكان لنيلها باطار الحس الظاهرى وان أمكن تخيل بعضها وتوهم بعضها الآخر،بيد ان معرفتها الصحيحة انما هى بالعقل المحض اوالشهود التام ليس الا... ولذلك لا تكون علوم القرآن كالعلوم الطبيعية اوالتعليمية اوالادبية مما يمكن ان ينال بالحس والتجربة او الاعتبار،وان كان معيار جميع العلوم والادراكات هوالعقل عندالتحليل لاستناد جميعها اليه، الا ان لتلك العلوم مبادى محسوسة ينالها الحس او مبادى اعتبارية تنالها بدالاعتبار. اما العلوم الالهية المشار اليها فهى فوق الحس والاعتبار فلا تكون متحدة المساق مع العلوم التجريبية وغيرها مماله مساس بالمادة ذهنا وخارجا اوخارجا فقط، وذلك لان تلك العلوم الإلهية منزهة عنها مطلقا وبمعنى الكلمة بحيث يكون التعلق بها مانعا عن ادراك تلك العلوم حسبما ياتى بيانه عندالتعرض لذكر الموانع عن معرفة القرآن.

وانما الكلام ـ الآن ـ فى شرائطها: فمنها الطهارة عن اىّ رجس والنزاهة عن اىّ رجز. قال سبحانه:

انه لقرآن كريم فى كتاب مكنون لايمسّه الا المطهرون[1].

اى الذى ينال مافى الكتاب المكنون عن الاجنبى المستورعن الغيرانما هو

١ـ الواقعة ٧٧-٧٩.

الانسان المطهر عما ينجسه وذلك الكتاب المكنون هو وعاء لهذا القرآن الكريم ومحيط به وبباطنته ومعناه ومقصده ولا تدركه الحواس.

(ثم) انه تعالى بعد عرض هذا الشرط الهامّ بين واجديه ومايتّصل بهم وعرفهم للناس حيث قال:

انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا[١].

ولما كان التطهير انما هو لازالة الآثار الباقية بعد زوال العين، فقد ذكره الله بعد الاذهاب فمعناه انه لامجال لعين الرجس ولا لاثره نهائيا فى اهل البيت(ع) وهذا فى مقام دفع الرجس رأساً لا فى مقام رفعه بعد الوجود ومقتضى الحصر فى قوله تعالى لايمسّه الا المطهرون هو ان النيل بكنه القرآن الذى هو الكتاب المكنون مختص باهل البيت(ع) وهذا هو المعية المتحققة بين الثقلين التى افادها وتفوه بها الرسول الأعظم(ص).

فالقرآن ينادى بانه لايدركه حق الادراك ولا يناول مكتنهه الا اهل بيت الوحى والعصمة(ع)، كما و انهم(ع) يدعون حق الدعوى بانه لايناوش كنه القرآن ولايعلم تاويله الا الراسخون فى العلم وان العترة الطاهرة هم الراسخون فيه، وقد عقد له باب فى الجوامع الروائية كمافى بصائر الدرجات وغيرها[٢] وانهم عالمون بظاهرة القرآن وباطنه وانه ماجمع القرآن كله غير الاوصياء[٣] فمن كان طاهرا بانحاء الطهارة التى اصفاها هى الطهارة عن رؤية الاخلاص كماقيل: «فمن رزق الطهارة حتى عن الاخلاص فقدمُنِحَ الخلاص»، فهو الحرىّ بالعلم بالكتاب المكنون ومن لم يطهر بجميع انحائها بل تطهر ببعضها فقط فهو العالم

١ ـ الاحزاب /٣٣.

٢ ـ البصائر، ٤ ـ ٢٢٠.

٣ ـ البصائر، ٤ ـ ١٩٣.

بالقرآن على قدر طهارته، وحيث ان النيل بكنه القرآن مشروط بالطهارة التامة المعبر عنها بالعصمة وان العترة الطاهرة هم المعصومون بعصمةٍ الهية، فلذا جعل الله سبحانه رسوله مبينا لكتابه ومفسرا له كماقال تعالى:

وانزلنا اليك الذكر لتبين للناس مانزل اليهم[1]

وقد مرمسبقا ان الائمة(ع) والرسول(ص)نور واحد لااختلاف بينهم فى الولاية وان امتاز الرسول(ص) عنهم(ع) بالنبوة والرسالة، فهم العالمون بتفسير القرآن وتأويله وظاهرته وباطنته كماهو قضية اطلاق المعية وعدم انفكاك احد الثقلين عن الآخر فى مرتبة من المراتب الوجودية أصلا، ولايمكن النيل الى جميع الحدود الالهية الا بالمراجعة الى العترة الطاهرة، كما لاامكان للاعتماد على مانقل عنهم الا بعد عرضه على القرآن سواء فى ذلك الاخبار المتعارضة وغيرها حسبما تواتر نقله عنهم(ع). وهذا ـ ايضا ـ مقتضى اطلاق المعية بينهما والعارف باسلوب الثقلين يعلم انه كيف يتوقف فهم كل منهما على الآخر كى لايلزم محذور الدور، بل انما يترتب عليه اثر التلازم وامتناع افتراق احدهما عن صاحبه.

والى ماذكرنا من ان العلم ببطن القرآن وكذا تاويله عندالعترة الطاهرة اشار مولينا الرضا(ع) لما قاله(ع) على بن محمدبن الجهم:

يابن رسول الله(ص) أتقول بعصمة الانبياء؟ قال(ع): بلى، قال: فماتعمل فى قول الله عزّوجل وعصى آدم ربه فغوى و... حيث قال(ع): ويحك ياعلى اتق الله ولا تنسب الى انبياء الله الفواحش ولا تأول كتاب الله عزوجل برأيك فانّ الله عزوجل يقول ومايعلم تاويله الاالله والراسخون فى العلم...[2]

١ـ النحل /٤٤.

٢ـ امالى الصدوق، المجلس العشرون.

فالمحصل: ان القرآن من الصحف المطهرة كماقال سبحانه:

... فى صحف مكرمة مرفوعة مطهرة[١]

وقال ايضا:

رسول من الله يتلو صحفا مطهرة[٢].

وقد او عرنا مسبقا الى ان معرفة كل شيء فانها مساوقة مع ذلك الشيء، اذاً فمعرفة الصحيفة المطهرة لابد وان تكون مطهرة عن رهن الوهم وربن الخيال وصداء الغفله. و من البيّن ان المتوهم والخَيّال وذلك المبتلى بصداء الغفلة لاينال المعرفة المطهرة ولاتجعل هى نصيباله وقد عرف الله سبحانه المطهرين وهم العترة المعصومة(ع). ثم انه تعالى حث الناس فى تحصيل الطهارة فقال:

ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين[٣]
والله يحب المتطهرين[٤]

لان الحكم بمحبوبية الانسان المتطهر لله سبحانه ترغيب لهم فى تحصيل ملاك المحبة وقد بين سبحانه طرق التطهير. فمنها بالانفاق فى سبيل الله كماقال تعالى

خذ من اموالهم صَدَقة تطهرهم وتزكيهم بها[٥]

ومن ذلك رعاية الحجاب والعفاف كماقال تعالى:

... واذا سألتموهن متاعا فسئلوهن من وراء حجاب ذلكم اطهر لقلوبكم وقلوبهن[٦].

---

١ ـ عبس /١٤.
٢ ـ البينة/٢.
٣ ـ البقرة /٢٢٢.
٤ ـ التوبة /١٠٨.
٥ ـ التوبة /١٠٣.
٦ ـ الاحزاب /٥٣.

ومنها الطهارة المائية و الترابية لما يشترط بها كالصلوة، قال تعالى:

... وان كنتم مرضى اوعلى سفر اوجاء احد منكم من الغائط اولامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا... ولكن يريد ليطهر كم وليتم نعمته عليكم...[١].

اذالمراد من الطهارة فى هذه الاية ليس هومجرد النظافة والا لما اعتبر فيها القربة (اولا) ولما كانت حاصلة بالتراب كمافى التيمم (ثانيا) اذ ليس تتريب الوجه واليدين تطهيرا لصاحبه، بل المراد منها الطهارة عن دنس الهوى و النزاهة عن رجس الغرور وماالى ذلك وان يصحبها النظافة الظاهرية فى الجملة ايضا ومن طرقه: التردد الى المساجد المؤسسة على التقوى لاقامة الصلاة ونحوها كقوله تعالى:

... فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المطّهّرين[٢]

وما اليها من الشواهد التى يدلنا على ان اساس الطهارة هوالعبادة لله سبحانه فيما امر به اونهى عنه فمن كان اعبدواطوع له تعالى فهو اطهر وازكى ويحظى من الصحف المطهرة باكثر و اوفر واما المستنكف والمستكبر عن عبادته فهو عنصر متدنس برجس الطغيان وبرجز العَمَة فى سكرة الطبيعة فلانصيب له من تلك الصحف المطهرة لفقدان شريطة المعرفة وهى الطهارة، كماقال تعالى:

... ومن يرد الله فتنة فلن تملك له من الله شيئاً اولئك الذين لم يرد الله ان يُطهر قلوبهم لهم فى الدنيا خزى ولهم فى الاخرة عذاب عظيم[٣].

والمرادمن الارادة فى هذه الاية هى التكوينية منها دون التشريعية

١- المائدة /٦.

٢- التوبة /١٠٨.

٣- المائدة /٤١.

لاطلاقها و سعتها بالنسبة الى جميع المكلفين، حيث انه تعالى اراد بارادة تشريعيّة عامّة ان يطهر جميع العباد ويزكيهم، ولذلك جعلهم تجاه التكاليف المطهرة لهم المزكية اياهم سواسيه، ولكن قد اعرض طائفة منهم عنها وغرتهم الحيوة الدنيا واشتروها بالحيوة الآخرة فاولئك الذين لم يرد الله تكوينا ان يطهر قلوبهم كماو ان الارادة فى آية التطهير هى التكوينية منها لانها هى المختصة بالعترة الطاهرة. واما ارادة التطهير بارادة تشريعيّة فهى عامة لغيرهم ايضا. و من الشواهد على ان الطهارة فى هذه الآيات هى الطهارة المعنوية قوله تعالى: ...لم يرد الله ان يطهر قلوبهم... حيث انه جعل متعلق التطهير قلوب هولاء وبواطنهم لاابدانهم والظواهر منهم، وهذا -بالذات- كما ان الله سبحانه قداراد بارادة تشريعية عامة ان يرتفع جميع العباد من حضيض عالم الطبيعة لكى يرتقوا الى ماوراها لذلك كلفهم بامور عبادية يتقربون بها الى الله الذى هوالكمال المحض اى يرتفعون اليه ولم يخص بعضهم دون بعض بما يوجب الرفعة بل اذن لهم جميعا ان يتكاملوا وجعل جميع الامكنة والازمنة فى ذلك سواء بالاذن التشريعى العام.بيد انه تعالى جعل المساجد والمشاهد المشرفة بيوتاخاصة واراد واذن تكوينا ان ترتفع تلك الاماكن بحيث لايمكن ان يمانعه شيئ. حيث قال تعالى:

... فى بيوت اذن الله ان ترفع[1]

فالاتيان الى المساجد والترادد الى المشاهد المشرفة يوجب الترفع الممدوح كماقال تعالى:

... يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات[2].

١- النور/٣٦. ٢- المجادلة/١١.

فاذا اصبح الانسان المتعبد بما امره الثقلان رفيعا باذن الله تنال يدعقله صحفا مرفوعة عن نشأة الحس والخيال والوهم وعن موطن الطبيعة.

ومما ذكروبان يظهرلنا: ان هنا شرطا آخر لمعرفة القرآن هوالرفعة عن حضيض الطبيعة وان العترة الطاهرة(ع) واوليائهم وتابعيهم هم المرفوعون من عندالله. وان طريق تحصيل تلك الرفعة اتيان المساجد والمشاهد الرفيعة والتعبد بما امره الكتاب والعترة وان المعرضين عن تلك البيوت الرفيعة والذين لم يتعبدوا بما فى الكتاب والسنة، اولئك لم يرد الله ان يرفعهم عن حضيض الطبيعة تكوينيا وان اراد رفعتهم عنها تشريعيا، كماقال تعالى:

... ولوشئنا لرفعناه بها ولكنه اخلد الى الارض واتبع هواه[1]

حيث إنه تعالى اراد رفعه تشريعيا وآتاه من آياته، الا انه بالذات انسلخ منها ومال الى الارض ولم يحصل شريطة ارادته التكوينية لرفعته،فلذالم يرد الله ان يرفعه تكوينا، وقد انصرح ان استنباط هذا الشرط انما هو من توصيف الله سبحانه تلك الصحف الالهية بالرفعة ومرمسبقا ان معرفة كل شيى فانما هى من سنخه وعليه فلابد فى معرفة الصحيفة الرفيعة من رفعه عارفها، حسبما تقرر فى شرطية الطهارة للمعرفة اذتوصيف الصحيفة بالرفعة بمثابة ان يقال... لايمسها الاالذين رفعهم الله مكانا عليا.

ومن هنا يظهر -ايضا- ان من شرائط معرفة القرآن الكرامة عن كل دنيئة لان من اوصاف الصحف الالهية التى يكون القرآن من اشرفها هوالتكرم الالهى، كماقال تعالى:

فى صحف مكرمة... بايدى سفرة كرام برزة[2]

---

١ - الاعراف /٧

٢ - الواقعة /٧٧.

كما وانه تعالى وصف القرآن ـ ذاتيا ـ بالكرامة، حيث قال: «إنه لقرآن كريم[١]» فالمستفاد منه ان القرآن مظهر للاسم الكريم حيث انه من الاسماء الحسنى الالهية لقوله تعالى:

... قال هذا من فضل ربي ليبلوني ءاشكر ام اكفر ومن شكر فانما يشكر لنفسه ومن كفر فان ربي غني كريم[٢].

وغير خفي للقارئ الكريم ان توصيف كتاب بوصف خاص يرشدنا بطبيعته الى لزوم تحصيل مايرتبط منه الى من يباشره ويزاوله في معرفة ذلك الكتاب. خذ مثالاً ان توصيف القرآن بانه عربي مبين يدلنا على ان العارف بالقواعد العربية هوالذي يقتدر على عرفانه، فكذلك توصيفه بالكرامة يدلنا على ان الانسان الكريم هوالذي يتيسر له معرفته، لان الرسول الكريم وكذلك القرآن الكريم لاينطقان الا بالكرامة فمن لاحظّ له منها كيف يقتدر على عرفانها.

وقد بين الله سبحانه مدار الكرامة وانها هي التقوى ليس الا. اذ بحدوثه تحدث الكرامة وببقائه تبقى وبشدته وقوته تشتد الكرامة وتقوى حيث قال تعالى:

... ان اكرمكم عند الله اتقيكم[٣].

وبزواله تزول وتنتفي رأسا اذ لوزال التقوى بالطغوى لزالت الكرامة بالإهانة كماقال تعالى:

١ـ الواقعة/٧٧.

٢ـ النمل/٤٠.

٣ـ الحجرات/١٣.

... ومن يهن الله فماله من مكرم[١]

لان الله تعالى لايكرم الا المتقين فمن انسلخ عن التقوى بالطغيان فقد تبدل كرامته بالهوان بسوء اختياره فلانصيب له من كتاب يحوم حول الكرامه وتحوم حوله الكرامة، فعليه تكون الكرامة عن الدنائة الدنياوية شرطا هامّا لمعرفة القرآن الكريم لان توصيفه بالكرامة فى قوة القول يانه لايمسها الا من اكرمه الله عن عَرَض هذا الادنى فالنتيجة المنطقية والطبيعية هى ان من غرته الدنيا وباع حظه بالارذل الادنى وشرى آخرته بالثمن الاوكس وتغطرس وتردى فى هواه لايرث من الكتاب الكريم شيئا وان تلاه و قبّله وجعله على راسه احيانا والسر هو ما اوعزنا اليه مسبقاً.

ومن تلك الشرائط: معرفة الغيب والايمان به فى الجملة، اذالقرآن كماتقدم يخبر عن الغيب وباطن العالم فالذى يرى ان الوجود يساوق ويساوى للمادة وان كل موجود فهو مادى ليس الا. وان مالا مادة له فهو غير موجود حقيق بل خرافى ابدعه الوهم ونسجته يدالخيال فلا حظّ له عن كتاب يقسم الموجود الى الغيب والشهادة وان بعض الموجودات ليس بمادى وان معيار المعرفة ليس هوالحس وحده بل له وللتجربة عون لماهو المعيار الاصيل فى المعرفة الذى هوالعقل اوالشهود وان منشاء اعتبار الحس والشهادة هوالعقل المجرد الذى هو بنفسه غيب عن عالم الطبيعة. ولقد بين الله سبحانه سرّ عدم انتفاع من حصر الوجود فى المادة بقوله تعالى:

... ولكن اكثر الناس لايعلمون، يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون[٢].

١- الحج /١٨.

٢- الروم/٧.

يعنى انهم لايعلمون باطنة الحيوة الدنيا وهى الآخرة وهى مع انها موجودة لا تكون مورداً لالتفاتهم بل هم عنها غافلون ولذا امر رسوله (ص) بالاعراض عنهم لعدم بلوغ علمهم النصاب اللازم لمعرفة القرآن، كماقال تعالى:

فاعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحيوة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم ان ربك هو اعلم بمن ضل سبيله وهو اعلم بمن اهتدى[1].

والذى يصحح هذا الإعراض ويوجب الهجر الجميل هو ان القرآن وان انزل هدى للناس فى اىّ مصر و عصر الا ان معارفه المبتنية على الغيب لا تثمر لمن ينادى بانه لايؤمن بشئ حتى يحسه ويراه جهرة، فلذا قال تعالى:

... هدى للمتقين الذين يومنون بالغيب[2]

وهذا الشرط ايضا كغيره من الشرايط القادمة والغابرة يحمل درجات فمن كان واجدا لها جميعا فانتفاعه بالقرآن اكثر و اكثر... ومن كان واجداً لبعض درجاته فانتفاعه منه بذلك المقدار ايضا، كما وان القرآن العينى -وهو الرسول (ص)- قد ارسل للناس اجمع، كماقال تعالى:

وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا[3].

لكن الذى ينتفع منه هو خصوص المؤمن بالغيب، فلذا قال تعالى:

لقد منّ الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا[4]

والمطالع الخبير الفطن يقف على اهمية هذه الشريطة مقيسا الى غيرها من الشرائط، ولوقيل بانه اهمها لم يجزف فى القول، وذلك لان الشرائط التى تتصل

١- النجم ٣٠ - ٢٩.
٢- البقرة/٣ - ٢.
٣- سبأ/٢٨.
٤- آل عمران/١٦٤.

الى العقل العملى ليست فى رتبة الشرائط الراجعة الى العقل النظرى، كماو ان العقل العملى ـ ايضا ـ ليس فى مرتبة العقل النظرى، مثلا ان الطهارة عن دنس التعلق بالعرض الادنى وكذا الكرامة عن هذه الدنيا الدنيئة والرفعة عن حضيض التعلق بالمادة وزخرفها وزبرجها وزهرتها وماإليها من الاوصاف النفسانية الراجعة الى العقل الذى يعبد به الرحمن ويكتسب به الجنان من شئون العقل العلمى، واما اساس المعرفة ومعيارها العقلى المذعن بان الموجود على قسمين احدهما غيب والاخر شهادة وان الله و وحدانيته وسائر اوصافه الذاتية غيب عن موطن الطبيعة ومنزه عن رجسها ومطهر عن رجزها، وكذا الملائكة والوحى والنبوة والرسالة والخلافة الالهية والعصمة والعلم بالمغيبات والاخبار عنها وماالى ذلك من المعارف القرآنية، ترجع ـ كل ذلك ـ الى عالم الغيب الذى لا تدركه الحواس ولا تناوش فى اطار التجربة، ولا تناله يد الاعتبار الاجتماعى، ولايمس كرامته نسيج الخيال والوهم الشعرى فاساس العلوم القرآنية على المجردات الغائبة عن الاوهام فضلا عن الحواس فاهم الشرايط اللازمة لمعرفة القرآن انما هو جعل معيار المعرفة العقل المنزه عن الطبيعة و تسلّم انّ الوجود باطلاق كلمته ليس منحصرا فيها بل هو ينقسم اليها والى ماورائها وعندئذ: يتمكن من التدبر فى القرآن والاستنباط منه والاعتماد عليه والسناد اليه والاستدلال به والانتفاع بهداه وذلك بعد احراز سائر الشرائط ايضا.

ولنأت ـ الآن ـ بنماذج من المعارف الغيبية التى افادها القرآن الكريم وانه كيف انكرها الملاحدة متعجبين ومشمئزين منها وكيف عبروا عنها بالاساطير... وذلك لانهم لماتغلب على اوهامهم ان الموجود هوالمحسوس ليس الا، وان مالايناله الحس بجوهره فان فرض وجوده محال، وان مالا يتخصص بمكان ولايتحيز ولايوضع بذاته كالجسم او بسبب ماهو فيه كاحوال الجسم...

فلا حظ له من الوجود نهائيا[١]. فكانوا يقولون:

... وما يهلكنا الا الدهر[٢]

وكذا يقولون:

لن نؤمن لك... او تاتي بالله والملائكة قبيلا[٣]

اى: تاتي بالله حتى نراه مقابلا وكفاحا ماديا وكذا تأتي بالملائكة حتى نراهم مقابلين لنا ومن البيّن ان من يحمل من العلم هذا القدر الزهيد التافه كيف يتيسر له ان يدرك الله الذى لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير ومن اين يتمكن من عرفان النشاة الغائبة التى لا ترى الملائكة الا فى تلك النشأة او فى تلك الحالة لمن لم ينتقل بعد الى تلك النشأة، كما قال تعالى:

يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ ويقولون حجرا محجورا[٤]

وكذا كانوا يقولون:

لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم[٥].

لانهم قد اخلدوا الى الارض وظنوا ان الاصالة للمادة وان الواجد لزخارفها وزبارجها هو العظيم وأن النبوة شأن مادى له عظمة فلابد وان يختص لمن يكون عظيما. ومن الواضح ان من حظى بهذا العلم الأتفه الايسر كيف يتيسر له ادراك ان النبوة شان الهى هام يحمل قداسة معنوية عظيمة لاينالها الا

---

١ ـ الاشارات، النمط الرابع، الفصل الاول.

٢ ـ الجاثية /٢٤.

٣ ـ الاسراء/٩٢.

٤ ـ الفرقان/٢٢.

٥ ـ الزخرف/ ٣١.

صحيب الخلق العظيم والملكات النفسانية المعظمة كالعصمة وماإليها، و لذلك نراه يتهوس ويبدى بانه. «لن يؤمن حتى يوتى مثل ماأوتى رسل الله». على حدما حكاه عنهم

قوله تعالى:

بل يريد كل امرئ منهم ان يؤتى صحفا منشّرة[١].

وكذلك كانوا يقولون:

ان هى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وماغن بمبعوثين[٢]

و يقولون:

أاذامتنا وكنّاترابا ذلك رجع بعيد[٣]

اى بعيد عن الامكان و مستبعد عن الدليل العقلى المزعوم. فكان من الطبيعى لهم ان يستوحشوا من المعاد ويتعجبوا منه بقولهم:

هل ندلكم على رجل ينبئكم اذا مزقتم كل ممزق انكم لفى خلق جديد[٤]

ومن اللائح ان الذى نطاق علمه بهذا الضيق كيف يتمكن ان يدرك ان الانسان لايفوت بالموت بل يتوفى وانه لايضل فى الارض بل ينتقل من دار الى اخرى.

فهذه نماذج مما يرجع الى المبدء والمعاد والوحى والنبوة المبتنية -بكلها- على ان الحس ليس هوالمعيار الوحيد فى المعرفة وانّ الموجود ليس منحصراً فى

١- المدثر / ٥٢.
٢- المؤمنون /٣٧.
٣- ق / ٣.
٤- سبأ / ٧.

المحسوس. لذلك نرى الملحدين المتغلب على اوهامهم ان مالايناله الحس فهو ممتنع الوجود يتفوهون حول المعارف الغيبيّة بانها ليست:

الا اساطير الاولين[1].

وحيث ان تلك المعارف الغيبية من مشتركات النبوة بلااختصاص لها بنبي دون نبي كذلك هذه الاقاويل ايضا من مشتركات الجاهلية المادية من دون خصيصة لها بملحد دون آخر، فلذا نرى هذا القول الباطل فى غيرمورد من القرآن الكريم ناقلا له عن ملاحدة كل قوم وعصر قبال كل نبي ورسول. ولايبلغ اقصى شبهات الماديين اليوم رغما لرقيّ الصنائع والحِرَف ولايتعدى اعضل مشاكلهم الاعتقادية عما ابداه اسلافهم الملاحدة، لأن قلوبهم متشابهة متسانخة وان اختلفت السنتهم والوانهم وساير خصيصاتهم. فكما ان السلف الصادّ عن سبيل الله كان يقول بمثل:

يا شعيب مانفقه كثيرا مما تقول[2]

كذلك الخلف الطالح يعبر عن ماوراء الطبيعة بالتّحجر والارتجاع ومااالى ذلك من الافك كالقول بان الدين مخدر وافيون للشعوب و ....

الى هنا انتهى الكلام فى المقام الاول الباحث عن شرائط معرفة القرآن، ويمكن ان نتعرض لمالم يبحث عنه هنا فى المقام الثانى المعقودحول موانع معرفته كما وانه قد تعرضنا لبعض تلك الموانع فى ثنايا البحث عن الشرائط لان كل مايكون شرطالها ينتزع من مقابله المنع عنها، لذلك فقد يذكر وصف كمالى شرطالها وقديذكر مقابله مانعا عنها حسبما يظهر من الآى المبحوث عنها فى

١ـ الانعام / ٢٥.

٢ـ هود / ٩١.

المقامين، وعليه: فلنعطف المقال الى المقام الثانى.

المقام الثانى: فى موانع معرفة القرآن

كما ان للعين شرائط خاصة يقتضيها ويصححها وموانع يمنعها ويبطلها كذلك للعلم شرائط يوجبه وموانع يمنعه، وذلك لان النظام العلى لااختصاص له بالعين بل يعم كل موجود لايكون وجوده عين ذاته حسبما افاده مولينا الرضا (ع):

كل قائم فى سواه معلول[1].

وقد مرمسبقا بيان الشرائط الهامة لمعرفة القرآن واستفيد فى ضوئها الموانع عنها بنحوالاجمال، بيد ان القرآن الكريم لم يكتف فى عرض تلك الموانع بالبيان الاجمالى والضمنى بل تعرض لها بالتفصيل وحذّر عنها بصراح، وكما ان الشرائط كانت على قسمين: احدهما مايتصل الى العقل النظرى والاخر الى العقل العملى، كذلك الموانع على صنفين: احدهما يتصل الى الجهل المقابل للعلم والاخر الى الجهل المقابل للعقل المستعمل فى لسان الثقلين بمعنى مايعبد به الرحمن ويكتسب به الجنان اى العقل العملى الموجب لعقال الغرائز الجموحه والاهواء الطاغية. فلنأت بتلك الموانع بلااستيعاب الفرق بين الصنفين منها وان امكن الاشارة الى ذلك اجمالا على وزان ماتقدم فى الشرائط.

فمن تلك الموانع بل اهمها هوالجهل بان الموجود على قسمين احدهما غيب والاخر شهادة بزعم انحصاره فى الطبيعة المشهودة بالحواس كان هذا هوالسبب فى انّهم لما سمعوا المعارف الغيبية سيما المعاد زعموا انها امور طبيعية تدرك

---

١ ـ التوحيد، ص٣٥، عيون الاخبار الرضا(ع)١/١٥١.

بالحواس، فلمالم يجدوها فى نشأة الدنيا المحسوسة انكروها، كما اوعزاليه سبحانه بقوله:

واذا تتلى عليهم آياتنا بينات ماكان حجتهم الا ان قالوا ائتوا بآبائنا ان كنتم صادقين قل الله يحييكم ثم يميتكم ثم يجمعكم الى يوم القيمة لاريب فيه ولكن اكثر الناس لايعلمون[1]

اذ الجهل بان القيامة غيب لا تنال بالحس الدنياوى وانها انما تظهر بعد تبدل النشأة الدنياوية هوالذى حداهم لذلك الاحتجاج الداحض عند ربهم وهذا هوالجهل المقابل للعلم حسبما ذيلت الآية به وهو قوله تعالى:

...ولكن اكثر الناس لايعلمون.

وهذا المانع هوالداء العَضَال الموجب للإلحاد سيما عند رقّى الصنائع ومشاهدة آثارها الطبيعية فى الفضاء والبرارى وفى البحار و... حيث ان وليد التفكر المادى وناتجه الحاصر للوجود فى المحسوس هوان الشيئ اذاوسم بالموجود فلابد وان يتطلع عليه بالحاسة سواء فى الارض ام فى السماء، فاذالم يحس به فى الموضعين يحكم جزميا بانه معدوم ليس الا... و ان الاعتقاد به اسطورة، كماقال فرعون:

ياهامان ابن لى صرحا لعلى ابلغ الاسباب، اسباب السموات فاطلع الى اله موسى وانى لاظنه كاذبا...[2].

غافلا عن كون وجود الله سبحانه غيبا لا تدركه الاوهام فضلا عن الحواس و جاهلاعن كونه تعالى:

١ـ الجاثية / ٦ ـ ٢٥.

٢ـ الغافر/٣٦.

هوالذى فى السماء اله وفى الارض اله[١]

فكما انه سبحانه اله فى الارض لايرى بالحس كذلك هواله فى السماء لايرى بالحاسة فلايجدى ولايعالجه الصرح الرفيع، كمالا تنفع المراصد وما اليها من الادوات وجهازات العلوم المادية لان الذى فيضه تعالى داخل فى كل شيئ حتى الصرح لابالممازجة وخارج عنه لابالمزايلة كيف يمكن ان يحيط به الحس المسلح اوغيره....!

وحصيلة الكلام: ان الجهل بأن الله سبحانه غيب عن الحواس هوالموجب لتفوه فرعون بمقالته التافهة وهو المانع عن معرفة القرآن المنادى بانه تعالى لا تدركه الابصار فشريطة المعرفة عندالمنكر المادى الملحد هو - بالذات - رادع عن عرفان الله واسمائه الحسنى الغيبية، كما افاد مولينا الرضا (ع) فى جواب من سئله...

«كيف هو واين هو؟» فقال (ع): ويلك ان الذى ذهبت اليه غلط هو أيّن الاين بلااين وكيف الكيف بلاكيف فلا يعرف بالكيفوفية ولا باينونية ولايدرك بحاسة ولايقاس بشئ.فقال الرجل:فاذا انه لاشيئ اذالم يدرك بحاسة من الحواس،فقال ابوالحسن (ع):ويلك لما عجزت حواسك عن ادراكه انكرت ربوبيته ونحن اذا عجزت حواسنا عن ادراكه ايقنا انه ربنا بخلاف شيئ من الاشياء[٢]....

نرى الامام (ع) يصارح بان عجز الحواس عن ادراك الله الذى هوغيب منزه عن اطار الطبيعة هوالذى اوجب انكار القائل باصالته وان معيار المعرفة هوالحس،ولكن العقل المحض لما تبين له ضرورة وجود الحق سبحانه وضرورة

١- زخرف /٨٤.

٢- الكافى، باب حدوث العالم.

تنزهه عن المادة ولواحقها ولوازمها و ضرورة تجرده عن الطبيعة واحكامها ايقن انه تعالى لا يماثله شيئ، واكثر معارف القرآن يحوم حول وجود الرب تعالى واسمائه الحسنى وجميع ذلك مما تعجز الحاسة عن ادراكها، اذًا فمن اين يتيسر لذلك المتفكر المادى الذى اقتطب معرفته على الحس القاصر عن عرفانها ان يعرفها ويعترف بها، ومن اين يتمكن ادراك ماقال فى شأنه مولينا الرضا (ع):

...عجزت دونه العبارة وكلت دونه الابصار وضل فيه تصاريف الصفات. احتجب بغير حجاب محجوب واستر بغير ستر مستور عرف بغير رؤية ووصف بغير صورة ونعت بغير جسم لااله الا الله الكبير المتعال[1].

فتبين بذلك ان الفكرة المادية والجهل بان مقتطب المعرفة ليس هوالحس وحده وان الموجود لاينحصر فى المحسوس وان الغيب ليس اسطورة نسيجة يد الخيال، هوالمانع له عن استماع هتاف النبوة وشهود جمال الوحى واستنشاق رائحة الرسالة وذوق طعم الدين.

ومنها ـ اى من تلك الموانع ـ الذنب الملازم لا تباع الهوى وطول الامل، المعبر عنه بالرجس تارة وبالرجز اخرى، الموجب لضيق القلب وختمه ولرين الصدر وطبعه ولزيغ الروح وقفله، وذلك لان الذنب حجاب بين الانسان المبتلى به وبين الحق الذى من اظهر مصاديقه القرآن، الذى بالحق انزله الله وبالحق نزل، ولانه مقابل للطهارة ومناف للكرامة ومباين للتقوى ومضاد للرفعة ومخالف لاى وصف كمالى قدمرمسبقا فى المقام الاول كونه شريطة معرفة القرآن، فيكون الذنب رادعا عنها، اذالرجس لامساس له بالطاهر، وكذا اللئامة لاتحوم حول الكرامة، والطغوى لايصاحب التقوى والضعة لا تلائم

---

١ ـ الكافى، باب النهى عن الجسم والصور.

الرفعة... وبالجملة: الناقص لايمس كرامة الكامل مادام ناقصاً، فلذا قال سبحانه:

افلا يتدبرون القرآن ام على قلوب اقفالها[١]

والذى تفيدنا وتتحفنا هذه الاية الكريمة، عدا حجية ظواهر القرآن وامكان استنباط المعارف منه وعدا التحريض والترغيب الى التدبر والتامل فيه-، هو ان المتدبر فيه انما هوالقلب الخليص المجرد دون القالب وهوالحس المادى وان له بابا يتفتح تارة ويقفل ويغلق اخرى، وان للقلب قفلا خاصا به يقفل، وان الكفر والنفاق وماالى ذلك من الحجب الظلمانية اقفال للقلب مانعة له عن التدبر فى القرآن، وان الايمان والخلوص ومايناظره من الاوصاف الوجودية الكمالية مفاتيح للقلب شارحة له ومصححة لان يتدبر فى القرآن ومااليه من الامور المستنبطه منها لولاالذنب الحاجب المعدود قفلا للقلب، ولكن المذنب اذالم يتبل بالجهل المتقدم المقابل للعلم ولم يعتقد بان المعيار الفريد للمعرفة هوالحس وان الوجود ينحصر فى المحسوس وان الغيب اسطورة و خرافة لاوجود وحقيقة له وتدبر-هذا المذنب- فى القرآن... يعرف المقدار اللازم من المعارف القرآنية، وتتم عليه الحجة وان لايوفق لنيل المعارف العالية منه ولا يتفتح له باب الغيب لكى يشاهده كفاحا بالقلب، وذلك لان الذنب بماهو ذنب لوكان مانعا عن ادراك النصاب اللازم لماقامت الحجة على الكفار والمنافقين اذالمفروض انهم لذنبهم لم يعرفوا مودى مايحتج به القرآن على التوحيد ونفى الشرك وماالیها. ولوفرض توقف العلم بالحق على الايمان به وترك الذنب لدار الامر.

---

١ - محمد (ص) /٢٤.

وعليه فالمراد من مانعية الذنب هوان المذنب لما ولى وجهه شطر الباطل واشتاق اليه واغتر به لايميل طبعا الى التدبر فى القرآن الهادى له الى الحق والابتهاج به والا تقاء عن الباطل والغرور به، ولعل ذلك هوالموجب لبعض المذنبين ان يجعل اصبعه فى اذنه ويستغشى ثوبه حتى لايسمع دعوة نبيه، كما حكاه الله عن قوم نوح فى قوله تعالى:

...وانى كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا اصابعهم فى آذانهم واستغشوا ثيابهم واصروا استكبارا[١].

ومن هذا القبيل قوله تعالى:

الاانهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه الاحين يستغشون ثيابهم يعلم مايسرون ومايعلنون انه عليم بذات الصدور[٢].

لان منشأ هذا الاختفاء (تارة) الجهل بان الموجود ليس منحصرا فى المحسوس وان الغيب ليس باسطورة (وتارة) اخرى الاشمئزازو الانزجار عن استماع الحق كانقباض المزكوم من رائحة المسك. والى بعض ماذكر يوعزكلمة الامام الرضا(ع) فى الذين رغبوا عن اختيار الله و اختيار رسول الله(ص) واهل بيته الى اختيارهم: والقرآن يناديهم:

وربک يخلق مايشاء ويختار ماكان لهم الخيرة سبحان الله وتعالى عمايشركون[٣].

وقال تعالى:

افلا يتدبرون القرآن ام على قلوب اقفالها[٤]

---

١ - نوح/٧.

٢ - هود/ ٥. ٣-قصص/٦٨

٤- الكافى، باب نادر جامع فى فضل الامام وصفاته ٢٠١/١.

حیث انه (ع) استدل بان اقفال القلوب وذنوبها هی التی منعتهم عن التدبر فی الایات الدالة علی ان تعیین الامام ونصبه لیس بایدیهم واختیارهم ولو انهم تدبروا فیها لعلموا ان تعیینه (ع) انما هو بخیرة الله سبحانه. وکما ان الذنب والرجس والرجز والدنس وما الی ذلك من العناوین الدارجة فی لسان الثقلین تمنع عن التأمل فی نظام الکیان والتفکر فی الایات التکوینیة، کذلك تحجب عن التدبر فی فحاوی الایات التدوینیة والاستنباط منها، کماقال مولینا الرضا (ع) فی جواب من قال:

... فلم احتجب ؟ ـ ای الله سبحانه ـ: ان الاحتجاب عن الخلق لکثرة ذنوبهم فاما هو فلایخفی علیه خافیة فی آناء اللیل والنهار[1].

یعنی (ع) ان الذنب حجاب عن المشاهدة الفکریة لقوم والمشاهدة القلبیة لقوم آخرین اذالفطرة التی فطرالله الناس علیها شاهدة للحق حاکیة ایاه، والذنب غبار علی هذه المرآة الصافیة فهو ـ ای الذنب ـ حجاب مانع عن المعرفة الفطریة من جهة وعن المعرفة الفکریة من جهة اخری وعن المعرفة الشهودیة الکاملة من جهة ثالثة، فلذا یصح استناد الحَجْب الیه فی مباحث شتّی. ویمکن الفرق بین الجهل والذنب بان الجهل مانع عن المعرفة والذنب مانع عن الاعتراف. والجهل حاجب عن التعلیم والذنب حاجب عن التزکیة. والجهل مغلاق القلب عن الحکمة والذنب قفل له عن العظة و داع الی الغفلة... وما الی ذلك، مما یرجع احدهما الی العقل النظری والاخر الی العقل العملی مع مالهما من المساس التام والتلازم فی غیر مورد، و بما ان القرآن: یدعوا الی سبیل الله بالحکمة والموعظة الحسنة ویجادل الناس بالتی هی احسن مع الصلة الانیق بین هذه الطرق، فلکل منها شریطة تصحح تحققه و مانع

١ـ التوحید، ص ٢٥٠.

يصد عنه ويمنعه فالجهل اشد منعا عن العلم والحكمة النظرية،والذنب اغلظ حجابا عن العظة والحكمة العملية، كماو ان الحمية الجاهلية هى الحالقة للدين المانعة عن الجدال الاحسن اشدمنع، وكما أن الصمم مانع عن استماع الهاتف والاصوات وان العمى حاجب عن النظر فى المصحف وان الخرس مانع عن القرائة، كذلك صمم الصدر وعمى القلب وخرس النفس مانع عن الادراك حاجب عن الاذعان وصاد عن الا تعاظ والتزكية ومالى ذلك من الاهداف العالية للرسالة.

والى ذلك يشير كلمة مولينا الرضا(ع):

...ولكن القوم تاهوا وعموا وصمواعن الحق من حيث لايعلمون وذلك قوله عزوجل «ومن كان فى هذه اعمى فهو فى الآخرة اعمى واضل سبيلا» يعنى اعمى عن الحقائق الموجودة الى ان قال(ع) وانما اختلف الناس فى هذالباب حتى تاهوا وتحيروا وطلبوا الخلاص من الظلمة بالظلمة فى وصفهم الله بصفة انفسهم فازدادوا من الحق بعدا ولو وصفوا الله عزوجل بصفاته ووصفوا المخلوقين بصفاتهم لقالوا بالفهم واليقين ولما اختلفوا فما طلبوا من ذلك ماتحيروافيه ارتبكوا والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم[١].

لأن الذى يفيدنا ويتحفنا بيانه الانيق هو: ان التيه والعمى والصمم كما يعترض السمع والبصر وغيرهما من الحواس الظاهرة كذلك يعترض للقلب والبصيرة ونحوهما من المشاعر الباطنية وأن الجهل بما هو معيار المعرفة موجب للتحير والتبعد من الحق فى معرفة ان الله تعالى موجود مطلق محيط بالدنيا والاخرة، وانه ليس كمثله شيئ وانه واحد لاشريك له ولا ثانى

---

١ - التوحيد، ص ٩ - ٤٣٨.

له حتى يقيمه او يعضده ويمسكه اذالخلق يحتاج الى من يقيمه ويمسكه دون الخالق الغنى المحض. والغرض هوان لمعرفة القرآن الباحث عن الغيب شرطا يصححه ومانعا يصدعنه وهؤلاء الجهال لما اخلّوا بالشرط تاهوا وعموا وصموا ولوانهم لم يخلوا به لوصلوا الى الفهم واليقين. ولبيانه(ع) فوائد جمة نشير اليها فى المباحث المقبلة انشاء الله تعالى.

وكل ماافاده(ع) يستفاد من القرآن الدال على ان نزول البركات العينية والعلمية مشروط بالتقوى واخلاص العمل لله،وممنوع بالذنب والاعراض عن ذكر الله ونحو ذلك، فكما أن التقوى شريطة انفتاح ابواب الرزق العينى، حيث قال سبحانه:

ولوان اهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض ولكن كذبوا فاخذناهم بما كانوا يكسبون[1]

كذلك شريطة لانفتاح ابواب الرزق العلمى كما قال تعالى:

ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا[2]....

وكما ان التكذيب والطغيان يمانع عن انفتاح ابواب الرزق الغينى، حيث قال تعالى:

.... ولكن كذبوا فاخذناهم بما كانوا يكسبون .

كذلك يمانع عن تفتح ابواب الرزق العلمى التى من اهمها وانفعها هومعرفة القرآن، كما قال تعالى:

سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الارض بغيرالحق وان يروا كل

---

١ ـ الاعراف /٩٦.
٢ ـ الانفال/٢٩.

آية لايومنوا بها وان يروا سبيل الرشد لايتخذوه سبيلا وان يروا سبيل الغى يتخذوه سبيلا ذلك بانهم كذبوا باياتنا وكانوا عنها غافلين[1].

وقال ايضا:

.... صرف الله قلوبهم بانهم قوم لايفقهون[2]

وهذا هو قفل القلب الرادع عن التدبر فى القرآن على حد استدلال مولينا الرضا(ع): لبيان كون الامامة بالنصب والتعيين لا الاختيار والتوكيل بقوله تعالى:

افلا يتدبرون القرآن ام على قلوب اقفالها[3].

لظهوره فى ان للقلب قفلا يمنعه عن إدراك الحق و عرفان القرآن، ومن الممكن ان يستفاد من هذه الكريمة ان الحرمان عن الرزق العلمى مساند الى قفل القلب و انغلاقه لاالى غلق باب الرحمة الالهية لانه مفتوح على الدوام ومنه نزول الفيض العلمى كالعينى دائما ابدا، وانما التفاوت من ناحية القابل دون الفاعل، فهو سبحانه دائم الفيض على البريّة وان كان المذنب مقفول القلب محروما منه، فهو وان فرح بما عنده من العلم وحسب انه يحسن صنعا، بيد انه فى حجاب وكنان لايشعر هو به وهذا الكنان من القابل بسوء اختياره ونوافى بيانه فيمايلى:

تبصرة: فى بيان كيفية استناد ختم القلوب الى الله سبحانه

ان لكل موجود لايكون وجوده عين ذاته سببا به يتحقق ويمتنع دونه وان كل سبب فهو مفتاح مسببه، به ينفتح وبدونه لاانفتاح له بل لايزال على غلقه

١- الاعراف / ١٤٦.

٢- التوبه / ١٢٧.

٣- محمد(ص) / ٢٤.

وان سلسلة الاسباب تنتهي الى مسببها الذى هوالله سبحانه وان بيده تعالى مفاتيح المسموات والارض ومقاليدها فاذاراد امرا اجراه بسببه الذى هومفتاحه الخاص واذا لم يرد شيئا لايفتح باب سببه المخصوص و لامَردّ لارادته بالفتح ولا راد لعدم ارادته به، كماقال سبحانه:

وعنده مفاتح الغيب لايعلمها الاهو[1].

يعني تعالى ان المخازن وكذا مفاتيحها الغيبية مشهودة عنده ومقدورة له لانه:

هوالفتاح العليم[2].

فيهدف تعالى انه عالم بالمخزون وبمفتاحه وبمورد لزوم فتحه وموارد عدم اللزّام لفتحه، كماقال تعالى:

له مقاليد السموات والارض يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر انه بكل شيى عليم[3].

وقال تعالى:

مايفتح الله للناس من رحمة فلاممسك لها ومايمسك فلامرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم[4].

لظهوره فى ان ارادته تعالى نافذة باطلاقها بلا مَردّ لها اصلا وان الفتح امر وجودى يوجب ارسال الرحمة الخاصة وان الذى يقابله امر سلبي يعبر عنه بالامساك ، اى عدم الارسال لاارسال العدم ومااليه وهذه الامور مستفادة من

١- الانعام /٥٩.
٢- سبأ / ٢٦.
٣- الشورى / ١٢.
٤- فاطر / ٢.

نطاق القرآن الكريم فى غير محل، كما ويمكن ان نتعرض لها فى المواضيع المقبلة.

والغرض هيهنا هوان القلب بماله من الاوصاف الخاصة امر ممكن مسبب فله سبب خاص به ينفتح ويستفيض من الخيرات وبدونه لاينفتح وينحرم منها، وذلك السبب الذى هومفتاح القلب ومفتاح اوصافه الكمالية انما هو بيده سبحانه، فلواراد ان يفتحه فتحه وشرحه وقذف فيه العلم و الايمان ومالى ذلك وان لم يردان يفتحه اغلقه وختم عليه واقفله وصرفه عن معرفه الآيات... ونحوها، كل ذلك بمشيته التى هى عين الحكمة والصواب بلاجزاف وظلم اصلا.

فالمذنب رغم حجبه والكنان فى قلبه... باعتراف منهم ـ كمانقرئه فى الآية:

وقالوا قلوبنا فى اكنة مما تدعونا اليه وفى آذاننا وقر[1] .

لكن ذلك الكنان بجعل الهى، كما قال تعالى:

وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفى آذانهم وقرا[2]

وكذا قلبه، فانه رغم ختمه، انما هو مختوم بختمٍ الهى، كماقال تعالى:

افرأيت من اتخذالهه هواه واضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه[3]

لانه ينختم بذاته اويكون العامل فى الختم هوالمذنب بنفسه اوغيره من سائر الموجودات الامكانية اذالفرض الاول ـ اى كون الانختام قد حصل بنفسه من دون سبب اصلا ـ يصادمه النظام العلى الحاكم بان كل شيى لايكون وجوده ولاعدمه عين ذاته ـ بمعنى انه لايكون واجب الوجود بالضرورة الازلية ولاممتنع

---

١ ـ فصلت / ٥.

٢ ـ الانعام / ٢٥.

٣ ـ الجاثية / ٢٥.

الوجود كذلك ـ فهو مساند فى كلاطرفى وجوده وعدمه الى السبب ليس الا، وعليه: فكما انه لايكون انفتاح القلب وانشراح الصدر بلا سبب، كذلك لايكون انختامه وتضييقه بدون سبب.

(واما) الإفتراض الثانى ـ اى استناد الختم الى المذنب ذاتيا اوالى غيره من الموجودات الامكانية بلاانتهاء الى الله سبحانه ـ فهذا ايضا يطارده الاصل المبرهن عليه فى النظام العلّى، من لزوم انتهاء سلسلة العلل الوجودية الى مسبب الاسباب بالذات ولزوم انقطاع سلسلة العلل الفاعلية العدمية اليه تعالى بالعرض اذ لايمكن ان يكون وجود شيئى مساندا الى علله الطولية المنتهية اليه تعالى ولايكون عدمه مستندا الى فقد علله المنتهى فقدانها الى امساك الفيض وعدم صدوره منه تعالى،لان لكل شيئ سببا خاصا هومفتاحه وجميع الاسباب والمقاليد بيده سبحانه،فيكون الفتح بافاضته تعالى والختم بامساكه عنها و كل ذلك بمشيته الحكيمة المقتضية لان لايضل احدا ولايختم على قلبه اصلا ولايجعل قلبه فى كنان تباتا الا مجازاة ومعاقبة لا بدئياً، وهذا على خلاف من هدايته وشرحه للصدر ومالى ذلك من المنن الإلهية لأنها كماتكون بعنوان الجزاء الحسن كذلك تكون بعنوان المنة البدائية واللطف الغير المستبق بالعمل وان كانت جميع نعمه ومننه بدائيا.

وبهذا البيان يعلم بوضوح معنى قوله تعالى:

فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام ومن يرد ان يضله يجعل صدره ضيقا حرجا كانما يصّعّدفى السماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لايؤمنون[1].

---

١ ـ الانعام / ١٢٥.

لأن ظاهرته ان تضيق الصدر كشرحه -بالذات- بيده سبحانه، كما وان ظهوره في ان شرح الصدر نعمة الهية مطلقة غير مقيدة بالاستحقاق لامكانه تارة بعد الارتياض والعمل الصالح وتارة اخرى قبله. واما تضييق الصدرفهو عقوبة الهية مقيدة بالعمل السيئ فالمعرض عن ذكرالله بعد قيام الحجة البالغة عليه وامهاله سبحانه اياه ليتوب ويراجع الى مبدأه الفاطر البديع والمصر على ذلك الاعراض بسوء اختياره، فانه الذى يجعل صدره ضيقا حرجا ويجعل عليه هذا الرجس لانه هوذلك الغير المؤمن بالآيات. كما قال سبحانه:

... كذلك يجعل الله الرجس على الذين لايومنون.[1]

يعنى تعالى ان ضيق الصدر وكذا الضلال المترتب عليه رجس جَعْلُه بيده تعالى، بيد ان الله لايجعله الا على الذين لايؤمنون، فهو تعقيب لعلمهم السّيئ وعقوبة لهم و معنى جعل الرجس على احد وكذا معنى جعل صدره ضيقا و معنى الاضلال ليس الآعدم ارسال الرحمة وعدم فتح باب النعمة... كمابينه قوله تعالى:

...ومايمسك فلا مرسل[2]

لانه امر وجودى يفيضه الله، ومجرد اسناد الفعل الى هذه العناوين لادلالة له على انها حقائق وجودية لان كون شيئ خاص امرًا وجوديا اوعدميا -اى انه موجود فى العالم او ليس بموجود بل ينتزع من فقد امر و جودى- انما هو واقعية عقلية لابدله من برهان عقلى يدل على كل واحد من الطرفين.

فمثلا: الجهل الذى يقابل العلم امر عدمى هوعدم العلم بشيئ فلوقيل فى

١- الانعام/١٢٥

٢- فاطر/٢.

العرف الدارج «زيد جاهل» او اصابه جهل او ابتلى بالجهل وماالى ذلك فانه لايمكن ان يستظهر منه ان الجهل امر وجودى لان المطلوب عقلى لالفظى، مضافا الى ان العرف ايضا بعد عثوره على عدمية غير واحدة من الصفات يعامل معها معاملة السلبيات ويجعل السلب مضمنا فيها فعندئذ تكون قضية زيدجاهل -عندالعرف- قضية موجبة معدولة المحمول لانها موجبة محصلة وان كانت على مصاغها(تدبر)فاذاتبيّن لك ايها القارئ العزيزان لفقه القرآن شرطايصححه ومانعا يحجب عنه واستبان لك ان الجهل والذنب ومايؤول ويتصل اليهما يمانع عن التدبر فى القرآن و يحجب عن فقهه فقد ظهر لك اذًا معنى قوله تعالى:

فما لهولاء القوم لايكادون يفقهون حديثا!

وقوله سبحانه:

لهم قلوب لايفقهون بها!

وقوله تعالى:

ولكن المنافقين لايفقهون[٣].

وكذا معنى قوله عزمن قائل:

وطبع على قلوبهم فهم لايفقهون[٤].

حيث استدل ببعض هذه الايات ومايضاهيها مولينا الرضا(ع):فى احتجاجه حسبما مرنقله مسبقا[٥].

١ـ النساء/٧٨.

٢ ـ الاعراف /١٧٩.

٣ ـ المنافقون /٧.

٤ ـ التوبة /٨٧.

٥ ـ الكافى.

وكذا يظهر ان كل مايمنع الانسان عن اصل التدبر فى القرآن ويجعله فارّا منه منزجرا عنه،اويمانعه عن الفقه وان تدبر،واستمع القرآن وانصت اليه فهو رجس،وان كل من بلى بمقدار منه فهو بذلك القدر بالذات محجوب عن التدبر والتفقه... وكل من برء منه رأسا وتنزه من جميع انحائه واقسامه التى تتصل الى العلم او العمل فهو الحرىّ بان يتدبر فى القرآن ويتفقهه، وأن العترة الطاهرة -سلام الله عليهم اجمعين- هم الذين اذهب الله عنهم الرجس على اطلاق الكلمة، وطهرهم تطهيرا تاما لايشوبه شيئ من الرجس ابدا.

حيث انه تعالى عبر عن هذا الفيض المتواصل بصيغة المضارع الدالة على انه تعالى دائما وابدا يشرح صدور هولاء السادة و يفتح قلوب هولاء القادة ويرسل فضله الواصب على هولاء الساسة ويذهب الرجس عنهم ويطهرهم تطهيرا وان المعصومين(ع) هم الذين تحلّوا بحلية جميع شرايط معرفة القرآن وتخلوا نهائيا عن جميع موانعها، فهم العارفون للقرآن حق معرفته والمتدبرون فيه حق تدبره والذين يمسونه حق مساسه والراسخون فى العلم وابواب الحكم وانوار الظلم، وهم عيش العلم وموت الجهل وهم اساس الدين وعماد اليقين وكرائم الايمان وكنوز الرحمن وامناء الله على عباده ومقيموا الحق فى بلاده والشهداء على الخلق وقوام الله وعرفاؤه على عباده وهم اقاموا عمود الحق وهزموا جيوش الباطل[1].

كما نقل مولينا الرضا(ع) عن جده ابى عبدالله (ع) انه(ع) قال:

انا من الذين قال الله فى كتابه : اولئك الذين هديهم الله فبهديهم اقتده[2].

---

١ - الغرر والدرر للآمدى، ٣/٧-٢١.

٢ - مسند الامام الرضا(ع)، ١/٣٣١.

وقال الامام الرضا (ع):

اذا نزلت بکم شدة فاستعینوا بنا علی الله و هو قول الله ولله الاسماء الحسنی فادعوه بها[١]...

وقال (ع) فی قوله تعالی:

یاایها الذین آمنوا اتقوالله وکونوا مع الصادقین، الصادقون هم الائمة والصدیقون یطاعتهم[٢].

وقال (ع) فی قوله تعالی:

وعلامات وبالنجم هم یهتدون، نحن العلامات والنجم رسول الله(ص)[٣].

الجنة الثانیة: فی بیان المائز بین التدبر فی القرآن و بین استنطاقه.

قداستبان للمطالع الکریم فی الجنة الاولی ماهو شریطة معرفة القرآن وماهو المانع عنها وقد لاح مسبقا ان القرآن حبل الله الذی احد طرفیه بیده سبحانه، والطرف الاخر بیدالناس فلاحدّ لمحتواه ولاانقطاع لنطاقه، ومن المعلوم ان معرفة کتاب مثل هذا لها درجات تجاه مراتبه نفسه. فالقدیر علیه هومن اجتمع فیه الشرایط العامة وزال عنه الموانع و هوالتدبر فیه واستنباط العقاید الحقة الموافقة للبراهین العقلیة منه، وکذا استظهار الاحکام العملیة ونحوها منه.

واما الملاحم والاخبار الغیبیة والتاویل ومالی ذلک من العلوم القرآنیة

١- مسند الامام الرضا (ع)، ١/٣٣٥.

٢- مسند الامام الرضا(ع)، ١/٣٣٩.

٣- مسند الامام الرضا(ع)، ١/١٤١.

التى لا تستنبط من الالفاظ ولا تستظهر من الاقوال ولا تحكيه العبارة ولا ترشد اليه الاشارة فلايتمكن من استفادتها بمجرد التدبر فيه،اذالمتدبر لايستغل منه الا على قدرمايدل عليه ظاهرته وان ضم بعضه ببعض وجعله مفسرا لذلك البعض الآخر، واما ماهو خارج عن نطاق الظاهرة اللفظية فلايتمكن من استنباطه منه اذالمتدبر انما يغور فيمانطق به القرآن، واما فيما اضمره ولم ينطق به فليس فى وسعه ان يتأمل فيه، ومثله فى عمله هذا كمثل انسان لبيب يحمل اسرارا شتيتة لايفشيها الا للخواص من اصحاب سره ولايتكلم للناس الا ببعض الامور المثمرة لهم ولايستفيدون منه الا على قدر مايتكلم وهم غافلون عن سره ولبه، جاهلون عما فى خزانة صدره.

واما اصحاب سره فهم العريفون بانه حامل لأسرار لذلك فانهم يستنطقونه بكثير و على التواصل لكى يبرز مافى ضميره ويخرجه من الغيب الى الشهادة اويهدى اصحابه الى باطنه ويسايرهم من الظاهرة الى الباطن ويعرجهم من اطارالشهادة الى صعيدالغيب حتى يقفوا على مكنون ضميره، ثم يستمدون مما اطلعوا عليه ليسائلوه مرة اخرى ويجعلوا ماوقفوا عليه مدرجا لمالم يعثروا عليه وهكذا... الى ان يتطلعوا على باطنته كتطلعهم على ظاهرته وعلى سيرته كصورته وعلى قلبه كقالبه وعلى تاويله كالتفسير وعلى متشابهه كالمحكم وعلى غيبه كالشهادة... وهذا هوالمايز الرئيسى بين فقه القرآن بالتدبر فيه وبين فقهه باستنطاقه. لان المتدبر الذى لايستطيع استنطاقه كالعطشان الغيرالمقتدر الا على التروى من خصوص الماء النابع الجارى من العين على وجه الارض دون سائر المياه المختزنة فى المنبع، وهذا على خلاف من المستنطق لانه ذلك المتعطش العليم المتطلع بما فى خزانة الارض القدير على انطاقها بالحفر واظهار مافى باطنتهاعلى ظهرها واجراء ماكان راكدا وسقى العجماوات به...وماالى ذلك.

وبما إن بين الظاهرة الجارية والباطنة المختزنة صلة تامة فلايتمكن المتدبر الفاقد لطوق الاستنطاق ان يكتفى بنفسه ويحيد عن القادر على الاستنطاق فى استنباط البطين كما يظهر بعد. والاصل فى هذا الفارق هو ان القرآن ندب الناس الى التدبر فيه وحثّهم اليه ووبخهم على تركه وعيّرهم على هجره، حيث قال سبحانه:

افلا يتدبرون القرآن ام على قلوب اقفالها[1]

فيفيدنا ذلك ان القلب النزيه عن الجهل والذنب وما اليه من الاقفال قدير على التدبر فيه كما مرمعنا... لكن القرآن العينى -اى الامام المعصوم(ع) الذى لايفترق عنه كمالايفترق القرآن العلمى عنه وهوامير المومنين(ع)- نطق: بان القرآن لاينطق مع الناس وليسوا قديرين على استنطاقه والذى يقدر على ذلك والقرآن ايضا ينطق معه انحصاريا هوالامام المعصوم(ع)، حيث قال(ع):

ارسله(ص) على حين فترة من الرسل وطول هجعة من الامم وانتقاض من المبرم فجائهم بتصديق الذى بين يديه والنور المقتدى به ذلك القرآن فاستنطقوه ولن ينطق ولكن اخبركم عنه الا ان فيه علم مايانى والحديث عن الماضى ودواء دائكم ونظم مابينكم[2].

لأن ظاهرة كلامه يعطى ان القرآن رغم كونه نورا وقدوة يقتدى به بلاظلام، لكنه فى ذات الوقت فى غاية من الشدة والاشراق بحيث لايقتدر احد على النظرة الكاملة اليه، سوى الانسان الكامل المعصوم(ع) الذى بينه وبين الله سبحانه عمود نورى كمامر مسبقا. واما سائرالناس فليس فى وسعهم الا النظر اليه من وراء حجاب الالفاظ والمفاهيم والصور الذهنية ونحوها... لذلك

---

١ - محمد (ص) /٢٤.

٢ - نهج البلاغة، الخطبة ١٥٨.

فلايصلون الى مافى سره من الملاحم وما فى بطنه من الانباء الغيبية اذالعثور بها يتوقف على العبور والنزوع من التدبر الى الاستنطاق وآنى لهم ذلك.

وكذا يتوقف على تنزل القرآن من مقام السر الى منصة العلن بان ينطق عما فى مكنونه وهيهات له ذلك بالنسبة الى من يؤهل له ومرجع الحجاب هنا الى شدة نورانية القرآن وضئالة عقول الناس الذين اقصى حظهم هوالتدبر فيه دون استنطاقه المتوقف على كمال الطهارة، وذلك لان القرآن له ظاهرة انيق يفهم بالتدبر وباطنة عميق لاينال به بل لابد من نطقه به ولايمانع عمق بطونه عن التدبر فى ظاهرته الانيقة والاستدلال به كما اوعزاليه اميرالمومنين(ع) بكلمته:

فانظر ايها السائل فاذلك القرآن عليه من صفته تعالى قائم به واستضيئى بنور هدايته[1]

اذالائتمام بمدلول القرآن امارة حجية ظاهرته وامكان التدبرفيه و استنباط ظواهره منه... لذلك فقد ندب الناس الى التفقه فيه حيث قال(ع):

...وتعلموا القرآن فانه احسن الحديث وتفقهوا فيه فانه ربيع القلوب واستشفوا بنوره فانه شفاء الصدور واحسنوا تلاوته فانه انفع القصص[2].

وهكذا رغّبهم فى الانتفاع بنصحه والاهتداء بهداه واستماع حديثه الصدق، حيث قال(ع):

واعلموا ان هذاالقرآن هوالناصح الذى لايغش والهادى الذى لايضل والمحدث الذى لايكذب وماجالس هذا القرآن احد الاقام عنه بزيادة او نقصان زيادة فى هدى او نقصان من عمى...[3].

---

١ - نهج البلاغة، الخطبة، /٩١.

٢ - نهج البلاغة، الخطبة ١١٠. .

٣ - نهج البلاغة، الخطبة ١٧٦.

وبما أن التدبر فی القرآن مرغوب فیه واستنباط الاحکام منه میسور للناس مطلوب منهم اوصی (ع) الحسن والحسین وجمیع ولده واهله ومن بلغه کتابه بتقوی الله ونظم امرهم وصلاح ذات بینهم... وبالعمل بالقرآن المتوقف علی التدبر والاستنباط منه کما قال (ع):

... الله الله فی القرآن لایسبقکم بالعمل به غیرکم[1].

والغرض ان فقه التدبر فی القرآن هو مادون فقه الاستنطاق منه اذالمتدبر انما یستفید منه مانبع وبرز من الغیب الی الشهادة دون الزائد علیه. واما المستنطق فهو یقتدر علی الاستنباط واستغلال مافی مخزن غیبه واخراجه الی الشهادة بحیث یراه هو ولایراه غیره، لان القرآن انما ینطق سرا ویناجی خفیة مع من استطاع ان ینطقه ویستمع منطقه لامع غیره فهو وان کان مقیسا الی ظاهرته الانیقة ناطقا للواجد لشرائط التدبر والمحتفظ عن موانعه، لکنه صامت بالنسبة الی باطنه العمیق، لاینطق بمقال ولایحدث بحدیث الاعند استنطاقه فمن اقتدر علی ذلك وصلح له فهو ینطق ـ حینئذ ـ معه من بطینه المکنون ویحدث من ضمیره المستور، لذلك فقد وصفه امیرالمومنین (ع) بقوله:

... فالقرآن أمرزاجر وصامت ناطق حجة الله علی خلقه[2]...

ومن المعلوم ان مستنطق القرآن العلمی لابد وان یکون بنفسه قرآنا عینیا کمامر معنا غیرمرة، لکی یتیسر له الانطاق ویتمکن من سماع نجواته واستماع حدیث نفسه وهم العترة الطاهرة الذین عطفوا الهوی علی الهدی لما عطف الناس الهدی علی الهوی، والعاطفون للرأی علی القرآن لما عطف الناس القرآن

١ـ نهج البلاغة، الخطبة ٤٧.

٢ـ نهج البلاغة، الخطبة ١٨٣.

على الراى.

وحيث ان القرآن فى عين كونه ناطقا بظواهره لمتدبريه وتكون تلك الظواهر حجة عليهم، هو فى ذات الوقت صامت ببواطنه بالنسبة اليهم فلابد له من ترجمان يستنطقه ويخرج باطنته من المغيب الى الشهادة، لذلك فقد قال على (ع):

هذا القرآن انما هو خط مستور بين الدفتين لاينطق بلسان ولابد له من ترجمان وانما ينطق عنه الرجال[1]...

اذليس مراده (ع) سلب حجيّة ظاهرة القرآن والالسقط الاحتجاج به على الخصم ولكان نفس هذا القول مخالفا للقرآن الذى يهتف بامكان التدبر فيه والاستنباط منه ومن المعلوم انّ الخبر المخالف للقرآن مردود، كماياتى عن مولينا الرضا (ع)، بل مراده (ع) ان بعض مطالب ومواضع القرآن ظاهر يتمكن من نيله بالتدبر فيه، وجانب منه ليس مما ينال ويظهر منه بل مبطن فيه لايتمكن من نيله الا بانطاقه، وليس ذلك الانطاق الا فى وسع الترجمان الالهى وهو الانسان الكامل المعصوم حسبما تقدم نقله حيث قال (ع):

... ذلك القرآن فاستنطقوه ولن ينطق ولكن اخبركم عنه[2].

وبما ان العترة الطاهرة هم القديرون على انطاق القرآن واستماع نجواه والعثور لمافى مستكن ضميره وهم الترجمان له، فلزام على الناس ان يراجعوا اليهم كما يلازم لهم -بالذات- الرجوع والا تصال الى القرآن، لانهما لن يفترقا، لذلك نراه (ع) يقول:

---

١ - نهج البلاغة، الخطبة ١٢٥.

٢ - نهج البلاغة، الخطبة ١٥٨.

فاين تذهبون، وانى تؤفكون والاعلام قائمة والآيات واضحة والمنار منصوبة، فاين يتاه بكم وكيف تعمهون وبينكم عترة نبيّكم، وهم ازمة الحق واعلام الدين والسنة الصدق، فانزلوهم باحسن منازل القرآن وردوهم ورود الهيم العطاش[1].

والسبب فى كونهم (ع) هم الترجمان للقرآن المستنطقون له دون ماعداهم هو ان منزلتهم هى احسن منازل القرآن، لان جميع مدارجه ومنازله من لدن حكيم عليم إلى ان يتنزل إلى عالم اللفظ والعبارة العربية وان كانت حسنة جميلة الاان فى بينها امتيازا لامحالة بما يكون اعلاها احسنها لانه أقرب إلى العليم الحكيم، ولماكان منازل العترة الطاهرة احسن منازل القرآن، لذلك فهم يعلمون اسراره وضمائره قديرون على انطاقه واخراج مافى غيبه الى الشهادة.

وبما مرمعنا من الميزبين فقه القرآن تدبرا وفقهه استنطاقا يلوح للمطالع الكريم معنى قولة مولينا الرضا (ع) حينما سأله المامون يقوله:

اخبرونى عن معنى هذه الايه: «ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا»... -الايه- فقالت العلماء اراد الله الامة كلها فقال المأمون ماتقول يا اباالحسن فقال الرضا (ع):

لااقول كماقالوا ولكن اقول ارادالله تبارك وتعالى بذلك العترة الطاهرة وقال المامون:وكيف عنى العترة دون الامة فقال الرضا (ع):لو اراد الامة لكانت باجمعها فى الجنة لقول الله:فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات باذن الله ذلك هوالفضل الكبير ثم جعلهم فى الجنة فقال عزوجل جنات عدن يدخلونها.فصارت الوراثة للعترة الطاهرة لالغيرهم ثم قال الرضا (ع):هم الذين وصفهم الله فى كتابه فقال:انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا.وهم الذين قال رسول الله (ص):انى مخلف فيكم الثقلين

١- نهج البلاغة، الخطبة ٨٧.

كتاب الله وعترتي اهل بيتي لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض انظروا كيف تخلفوني فيهما يا ايها الناس لا تعلموهم فانهم اعلم منكم...

الى ان قال الرضاء (ع): ان الله العزيز الجبار فضل العترة على سائر الناس في محكم كتابه. قال المامون: اين ذلك من كتاب الله. فقال الرضا (ع): في قوله تعالى ان الله اصطفى آدم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض.

وقد استدل (ع) بغير واحدة من الايات على ان العترة الطاهرة هم ورثة الكتاب وصفوة الله وهم الذين قرنهم الله سبحانه بنفسه وبرسوله في سهم الغنيمة

انما غنمتم من شيئ فان لله خمسه ولرسوله ولذي القربى.

وفي الطاعة

... اطيعوا الله واطيعوا الرسول واولي الامر منكم .

وفي الولاية

انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا الذين يقيمون الصلوة ويؤتون الزكاة وهم راكعون...

فتبارك الله ما اعظم نعمته على اهل هذا البيت فلما جائت قصّة الصدقة نزه نفسه ـ عزّ ذكره ـ ونزه رسول الله (ص) ونزه اهل بيته منها، فقال:

انما الصدقات للفقراء ....[1]

فليكن ماقدمنا من البحث شرحا لهذه الكلمات النورية الرضوية ـ على

---

١ ـ تحف العقول، ص ٣١٣.

الناطق بهاصلوات الله وملائكته..

وحيث امتاز تدبر القرآن عن استنطاقه وتبين جليّا ان المتدبر فيه بمنزلة المستمع فقط فلايقتدر على التكلم مع القرآن وانطاقه وان المستنطق ليس مستمعافحسب بل هو فى حوارمعه يحاوره ويشاوره وينطقه ويسئله ويستجيبه ويعارض المشاكل عليه ويستدعيه حلها ويسئله من فضله ويعتصم به فيرقى معه درجة بعد درجة حتى يرجعا الى ماصدرا منه ويصعدا اليه سبحانه ويختفيا فيما ظهرا منه كماهو قضية المعية المطلقة الآبية عن الانفكاك فى مرتبة من المراتب نزولا وصعودا وأن سائرالناس وإن امكن لهم التدبر فى القرآن لكنه فى ذات الوقت لايتيسر لهم استنطاقه وان المستنطق هوالانسان الكامل المعصوم(ع).

فبعد ذلك بكله... يتبين بالضرورة حاجة الناس اليه وان العترة الطاهرة الذين هم كُمَّل الانسانية و ورثة الكتاب العزيز واهل الذكر الذين يجب على الناس سؤالهم وهم السابقون بالخيرات ومالى ذلك من المسامات الكاملة التى قررها الله فى كتابه للاوحدى من الناس. وقدبين مولينا الرضا(ع) مصاديق ذلك فى قوله(ع):

نحن اهل الذكر ونحن المسئولون. قال الوشاء: قلت له(ع): فانتم المسئولون ونحن السائلون؟ قال(ع): نعم قلت: حقّاً علينا ان نسألكم؟ قال(ع): نعم قلت: حقا عليكم ان تجيبوناقال(ع): لاذاك الينا ان شئنا فعلنا وان لم نشأ لم نفعل، اما تسمع قول الله تبارك وتعالى: هذا عطاونا فامنن اوأمسك بغيرحساب[1].

ومعنى قوله (ع): «ان شئنا فعلنا و ان لم نشاء لم نفعل»

---

١ ـ الكافى، باب أنّ اهل الذكر الذين امرالله الخلق بسؤالهم هم الائمة (ع).

هوالتخيير فى غير مورد بيان الحكم وتبيين التكليف والا فلامجال هناك للتخيير مع افتراض لزوم التعليم اوالامر بالمعروف والنهى عن المنكر وما الى ذلك، كمايلوح ذلك من الاستشهاد بقوله تعالى هذا عطاؤنا... الناظر الى العطايا المندوبة، اذ هناك يكون النبى فى خيرة بين المن والاعطاء وبين عدم المن بالامساك لافى اصل الحكم وبيان الرسالة، وهكذا بين مولينا الرضا (ع) مصاديق ماتقدم من الاوصاف الكمالية فى قوله (ع):

لماساله احمدبن عمرعن قول الله عزوجل: ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينامن عباده - الآية.

فأنه قال (ع):

ولدفاطمة (ع) والسابق بالخيرات الامام والمقتصد العارف بالامام والظالم لنفسه الذى لايعرف الامام[1].

وحيث استبان المايز الجوهرى بين التدبر فى القرآن وبين استنطاقه يظهر التمايز بين تفسير المتدبرفيه وتفسير الامام المعصوم (ع) المستنطق له، لان المتدبر انمايعرفه باسمه ورسمه ووساماته الدالة على محتواه بالظن الغالبى والمستنطق انما يعرفه بحده ومقومات فاعليته وعلله المفيضة اياه جزميا وبالقطع، كما قال الحسن بن على (ع):

نحن حزب الله الغالبون وعترة رسول الله الاقربون واهل بيته الطيبون الطاهرون وآحد الثقلين الذين خلفهما رسول الله (ص) فى امته ثانى كتاب الله الذى فيه تفصيل كل شيئ لاياتيه الباطل من بين يديه ولامن خلفه فالمعوّل علينا فى تفسيره لانتظنن تاويله بل نتيقن حقائقه فاطيعونا فان طاعتنا مفروضة

---

١ - الكافى، باب ان من اصطفاه الله من عباده و اورثهم كتابه هم الأئمة (ع).

اذ كانت بطاعة الله ورسوله مقرونة[١]...

واما سرصيانة القرآن عن تطرّق الباطل من الامام والخلف هو ان الله تعالى سلك من بين يديه و من خلفه رصدا ليعلم ان قد ابلغوا رسالات ربهم كماتقدم فى الروضة وسريقين العترة الطاهرة بمافى القرآن من تفصيل كل شيئ هوالمعية المطلقة المقتضية لان لاينفك القرآن عنهم فى درجة من مدارجه ولاينفكواعنه فى منزل من منازله... لذلك فهم يعلمون جميع مافيه علم عيان ويخبرون عن ذلك خبرا لايراب فيه، فلابدّاذاً من الاعتماد عليهم فى فقهه والركون اليهم فى تفسيره والثقة بهم فى تاويله وسؤالهم عن باطنته وقضية هذه المعية هو التعامل مع سنّة العترة الطاهرة معاملة القرآن الكريم فى جميع الشئون بأن يراجع فى فقه ماثرهم الى القرآن وتعرض عليه حتى لا تكون مخالفة له مباينة اياه ولا تتعدى طور التبيين والتاويل والتفسير الى المخالفة والبينونة اذ المبائن للقرآن باطل محض لايتفوه به ذلك الذى يدور مع الحق حيث دار لبداهة كون الباطل مضادا للحق[٢].

و الى بعض لوازم معية القرآن والعترة الطاهرة اشارمولينا الرضا (ع) حيث قال (ع):

من رد متشابه القرآن إلى محكمه هدى الى صراط مستقيم. ثم قال: ان فى اخبارنا متشابها كمتشابه القرآن ومحكما كمحكم القرآن فردّوا متشابها الى محكمها ولا تتبعوا متشابها دون محكمها فتضلوا[٣].

وحيث إن اشتمال القرآن على المتشابه فى ضوء المحكمات التى هى ام

---

١ ـ صلح الحسن ٥٩، عن البحار ١٠ /٩٩.

٢ ـ الغرر والدرر للآمدى، ٣٥/٧.

٣ ـ عيون الاخبار، ٢٩٠/١.

الكتاب انما هو لحكمة خفيت على غير واحد، ومفترضنا ان العترة الطاهرة وسنتهم مع القرآن فلابد وان تكون اخبارهم واجدة لتلك الحكمة ايضا، وكما ان لفقه القرآن شرايط تصححه وموانع تردع عنه، كذلك لمعرفة السنة اسباب تقتضيه وقواطع تصد عنه، ويعبر عن تلك القواطع باقفال القلب، وكما ان القرآن يفسر بعضه بعضا وينطق بعضه ببعض، كذلك السنّة يصدق بعضها بعضا، وكما ان السنة تفسر القرآن وتبينه كذلك القرآن يؤيدها ويسددها ويمضيها وذلك بعد عرضها عليه لانه الميزان القسط الذى سلك الله من بين يديه ومن خلفه رصدا، فلذا لايتطرق اليه الجهل والافتراء والتحريف لانه لم يكن حديثا يفترى من دون الله بخلاف السنة التى يتطرق اليها ذلك.

كما اوعز اليه الرسول الاعظم (ص) فى خطبته بمنى حيث قال:

ايها الناس ماجائكم عنى يوافق كتاب الله فانا قلته وماجائكم يخالف كتاب الله فلم اقله[1].

لان ظاهرته امكان الجعل والتحريف فى السنة دون القرآن، والدليل على ان المخالف للقرآن المباين له ليس مقولا له (ص) ولالاحد من العترة الطاهرة هو أنه يوجب ويلازم افتراقهم عن القرآن وافتراقه عنهم مع انهما -اى العترة والقرآن- لن يفترقا ابدا اذالمباين للحق باطل لامحالة، كماقال سبحانه:

ماذا بعد الحق الا الضلال[2].

ومن البين ان القرآن حق من مبدء نزوله الى منتهاه كما اكدّبه تعالى:

بالحق انزلناه وبالحق نزل[3].

١- الكافى، ج ١، باب الأخذ بالسنة وشواهد الكتاب.

٢- يونس /٣٢.

٣- الكافى، ج ١، باب الاخذ بالسنة و شواهد الكتاب.

والباطل مفترق عن الحق بالضرورة فالحصيلة: انه لوصدر من العترة ما يباين القرآن فانه يعنى لزوم افتراقهم عنه وبطلان اللازم واضح كضرورة اصل التلازم وبطلانه مستلزم لبطلان المقدم فلذا قال مولينا الرضا (ع):

اذا كانت الروايات مخالفة للقرآن كذّبتها[1].

حين قال له (ع) ابوقرة فى حوارمعه حول امتناع رؤية الله، فتكذب بالروايات بلا علم له ولا من هو مثله ان عديل القرآن وزميله هوالانسان الكامل المعصوم (ع) اى العترة الطاهرة (ع) لاالرواية حيث انها ليست معصومة كالقرآن حتى تصلح لان تكون عديلة له لأن غيرالمعصوم لايكون مع المعصوم اذ المعية لابد وان تكون بملاك يصححها وجامع يجمع المعين فيه فاذالم تكن الرواية مصونة عن الدس والتحريف فكيف يمكن مصايرته مع القرآن المصون عن ذلك كله.

واما العترة الطاهرة فلعصمتهم عن الجهل والزيغ والطغيان والسهو والنسيان ومالى ذلك من انحاء الرجس واقسام الرجز وطهارتهم عنها بعناية من الله سبحانه فهم الاحرى بان يكونوا كفو القرآن، كما أن القرآن عديل لهم ولايصدر عنهم مايبانه اصلا، لان المعصوم (ع) لاينطق فى بيان الاحكام الالهية بالهوى ولايميل اليه، فلذا صرح مولينا الرضا (ع) بتكذيب الروايات المخالفة للقرآن بكونها مدسوسة و موضوعة.

وكما ان الدس والوضع لايتطرقان الى القرآن العلمى، كذلك لاينفذان الى القرآن العينى -وهو الامام المعصوم (ع)- اذالمباين للقرآن مباين للعترة الطاهرة جزميا لان ضداحد المعين مضاد للمع الاخر، وذلك لوحدة الملاك فى

---

۱ - مسند الامام الرضا (ع) ۱۷/۱، عن الكافى ۹۵/۱ والتوحيد ۱۱۰.

المعية والتضاد ولامجال لان يكون شيئ مضادا لأحد الأمرين المندرجين تحت جامع واحد حقيق ولايكون ضدا للمندرج الاخر مع انحفاظ وحدة الملاك .

الجنة الثالثة: فى تحضيض القرآن الى التحقيق وطرد الامنية

بعدماتبين للقارئ الكريم شرائط معرفة القرآن وان الموانع عنهاماهى ؟وان المائزبين التدبر فى القرآن وبين استنطاقه ماذا؟ قلزام لان يتدبرفيه مستمدّا من مستنطقه ـ وهو الانسان الكامل المعصوم (ع) ـ معترفا بأن الكل من الله ـ سبحانه وتعالى ـ فنقول:

إن مضامين القرآن رغم ابتناء بعضها على التعبد المحض فان معارفه الاولية قد اسست على اليقين الجامع لمراتبه ومدارجه من علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين وإن كان هو اقل ماقسم بين الناس ولم يرزقوا بشيئ احسن منه كما صارح به مولينا الرضا (ع):

إن الايمان افضل من الاسلام بدرجة، والتقوى افضل من الايمان بدرجة، ولم يعط بنوآدم افضل من اليقين[1].

والمستفاد من القرآن الكريم ان من اظهر مصاديق الطريقة التى هى اقوم التى يهدى القرآن لهاهو تاسيس مسيرة الحياة على التحقيق والاتقاء عن اية امنية كاذبة خاطئة لاتساند الى العقل او النقل القطعى، اذ الانسان فى أىّ موقف كان فان له عقلاً يهديه الى سواء السبيل ووحيا يرشده الى الصراط

---

١ ـ مسند الامام الرضا(ع) ٢٥٧/١، عن قرب الاسناد ٢٠٨ و الكافى ٥٢/٢.

السوی، فهو اذًا لابد وأن یکون محققا فی دوره سواء أکان تابعا مطیعا او متبوعا مطاعا، کماقال سبحانه:

ومن الناس من یجادل فی الله بغیرعلم ویتبع کل شیطان مرید[۱].

لظهوره فی ان الجاهل المقلد فی جهله یجادل فی الله عن جهل تقلیدی ویتبع ویقلد ویطیع کل شیطان قاده واستعلی علیه وتملك زمامه فلامحیص للتابع من التحقیق لیصون عن طاعة کل قائد شیطانی متمرد عن الله ولیس للجاهل ان یقلد فی تقلیده مقلدا آخر مثله، بل لابد فی ان یحقق فی تقلیده لیساند اطاعته الی علم تحقیق دون الظن التقلیدی فانه لایغنی من الحق شیئا، فعلی التابع المطیع ان یحقق لکیلا یقع فی تیه طاعة الشیطان المارد الذی کتب علیه انه من تولاه فانّه یضله ویهدیه الی عذاب السعیر.

هذا فیما یتصل الی لزوم التحقیق فی الاطاعة. واما لزامه فی المتبوع المطاع فلقوله تعالی:

ومن الناس من یجادل فی الله بغیر علم ولاهدی ولاکتاب منیر ثانی عطفه لیضل عن سبیل الله له فی الدنیا خزی ونذیقه یوم القیمة عذاب الحریق[۲].

حیث انه ظاهر فی ان الجاهل القائد لغیره یجادل فی الله بغیر علم عقلی ولا وحی سماوی یثنی راسه وعطفه کأن لیس هناك حق یعتد به ووحی یخضع لدیه لیصیر متبوعا یطیعه الجهال ویضلهم عن الصراط السوی.

ولیس للقائد والمطاع ان یصیر راسا یتبعه الاذناب الا بعد علم وهدی، وذلك لایتحصل الا بالتحقیق الذی یهدی القرآن المجتمع الانسانی الیه: أفمن

۱- الحج / ۳.

۲- الحج / ۸ و ۹.

اسس بنيانه فى اىّ موقف كان على التحقيق خير امّن اسس بنيانه على التقليد الذى هو شفا جرف هار فانهار به فى نارجهنم كما اوعده الله فى كلتا الآيتين فلا الجاهل المطيع باقتداره ان ينجومن النار والهلكة ولا الجاهل المطاع ان يتخلص منها بل كل فيها يختصمون ويتبرء بعضهم من بعض كما اوعزاليه سبحانه بكلمته:

يوم تقلب وجوههم فى النار يقولون ياليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا وقالوا ربنا انا اطعنا سادتنا وكبرائنا فاضلونا السبيلا ربنا آتهم ضعفين من العذاب و العنهم لعنا كبيرا[1].

لكن لايجديهم هذا التمنى بعد ان قامت الحجة عليهم فى الدنيا على لزوم التحقيق مع امكانه وانتاجه وانهم وان يتمنوا ان يضاعف الله عذاب سادتهم وكبرائهم، لكنه لاينفعهم هذا التمنى ايضا حيث أن لهم كهولاء السادة ضعفين من العذاب، كماقال سبحانه:

قال ادخلوافى امم قدخلت من قبلكم من الجن والانس فى النار كلما دخلت امة لعنت اختها حتى اذا ادّاركوا فيها جميعا قالت اخرهم لاوليهم ربنا هولاء اضلونا فآتهم عذاباً ضعفا من النارقال لكل ضعف ولكن لا تعلمون وقالت اوليهم لاخريهم فماكان لكم علينا من فضل فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون[2].

والسر فى استحقاق كل من التابعين الجهال المقلدين فى الاتّباع والطاعة ومن المتبوعين الجهال فى الزعامة والقيادة ذلك، مع ان الاصل القطعى المستفاد من القرآن هو ان جزاء سيئة سيئة مثلها لازيد منها وان كان جزاء حسنة خيرا

---

١ ـ الاحزاب / ٦٨ ـ ٦٦.

٢ ـ الاعراف / ٣٩ ـ ٣٨.

منها هو ان التابع المقلد فى طاعته واتباعه قدارتكب سيئتين: (احديها) المعصية الخارجية المشتركة بينه وبين قائده وهو السجود للصنم اوغيره من المعاصى، (والاخرى) هوتقبل قيادة و رئاسة الامام الجائر، مع ان العقل والوحى قد تطابقا على لزوم مقاتلة أئمة الكفر والطغيان ودفع شرورهم ورفع ظلمهم، كما وان المتبوع الذى قادالناس الى إتباعه جهلا منه قدارتكب سيئتين احديها المعصية الخارجية والاخرى تصدى الحكومة والتراس على الناس ظلماوجوراً فلذا يعاقب كل من السائس والمسوس الذين فى النار ضعفا من العذاب ولااثر للتمنى هناك ، رغم انه يودّ الا تباع ان يردوا الى الدنيا ويتبرؤن من سادتهم الطغاة كما تبرؤا منهم يوم القيمة حين رأواالعذاب كما قال سبحانه:

اذتبرّأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا و رأوالعذاب وتقطعت بهم الاسباب وقال الذين اتبعوا لوان لناكرة فنتبرء منهم كماتبرّؤا منا كذلك يريهم الله اعمالهم حسرات عليهم وماهم بخارجين من النار[1].

والمحصل: ان الحياة التى يهدى القرآن الناس اليهاهى الحياة المؤسسة على التحقيق دون التمنى اذ لاجدوى للامنية فى الدنيا ولافى الاخرة لأن النظام الحاكم على النشأتين مع مابينهما من الامتياز الملكى و الملكوتى هوالتدبر والتحقيق لاالاسترسال والتمنى، ولذا قال اميرالمومنين(ع):

... اياك والاتكال على المنى فانها بضائع النوكى[2].

والاصل فى ذلك هوالقرآن الحكيم النادب الى التحقيق والناهى عن الركون الى شيئ بدونه والناطق بان الاسماء والعناوين والالقاب وما الى ذلك

١- البقرة/ ١٦٧ - ١٦٦.

٢- نهج البلاغة، الكتاب ٣١.

من الجهات الخارجة عن نطاق الذات وحوزة الجوهر الانسانى لا تغنى من شيئ فيلزم التدبر فى محتواه ثم استماع ماعن مستنطقه وهو مولينا الرضا (ع) اماالقرآن فهومع اصراره على ان مدار التفكر والتصديق والتكذيب هوالعقل وان الحياة الطوبى انما تتحصل لمن كان له قلب اوالقى السمع وهو شهيد... صارح بقوله تعالى:

ان الذين آمنوا و الذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم اجرهم عندربهم ولاخوف عليهم ولاهم يحزنون[1].

اذالذى تفيدناوتتحفنا هذه الاية الكريمة ومايضاهيها[2] هو ان الامة التى لا تلحد فى الله بالانكار المحض ولا تنكر الرجوع اليه بالنفى الصرف ولا تعبد اللات والعزى ولا تقول: ان هى الاحياتنا الدنيا ولا تعلن بقولها ومايهلكنا الا الدهر و تعترف ـ على الجملة ـ بان لها ربا ترجع اليه وان تقطعت احزابا و فرح كل حزب بمالديه وحسب انه ناج دون غيره واكتفى بعنوانه الخاص به من العناوين المطروحة فى الكريمة الا ان الله الذى بيده قدر كل شيى وتعيين ملاك الهلاك والنجاة قائل بان شيئا من هذه الاسماء لايجدى ولايدور الاجر الالهى مداره اصلا لدورانه مدار اصول ثلثة يستوى فيها الناس من الصدر الى الساقه وهى المعارف الاولية التى اسس عليها الاسلام الذى هوالدين الوحيد عندالله[3] والذى جاء به الانبياء بلافارق بينهم من هذه الجهة وتلك الاصول عبارة عن الاعتقاد بالله الجامع لجميع الكمالات التى هى من الاطلاق الذاتى الطارد

---

١ ـ البقرة /٦٢.

٢ ـ المائدة /٦٩.

٣ ـ آل عمران /١٩ «إن الدين عندالله الإسلام...».

لاحتمال ايّ شريك و ند و ضد و معاضدوما الى ذلك والاعتقاد باليوم الآخر الذى اليه يرجع الناس كلهم وله مواقف معروفة والاعتقاد بالوحى والرسالة والشريعة مع العمل على موازينها.

وهذا الاصل الثالث هوالذى عبّر عنه القرآن بالعمل الصالح ومن البين لمن تدبر فيه وانس به و عرف نطاقه ومنهجه انه انما يعد العمل صالحا فيما اذا انطبق على شريعة كل عصر فلو لم ينطبق عمل على شريعة اصلا ورأسًا، اوكان مطابقا لمنهاج منسوخ و،شريعة قضت نحبها ومضى اجلها فليس هو بعمل صالح لديه، واما الامور الكلية التى يناالها العقل ويمضيها الوحى المشترك كالعدل والاحسان والصدق والايثار والامانة والتواضع ونحو ذلك فهى اوصاف واعمال صالحة عند كل نبى و وصى.

والغرض هوان العمل الصالح فى مصطلح القرآن هوالعمل المطابق لماجاء به الوحى الحاكم على عصره ومن اللائح ان تطبيق العمل على وفق ذلك الميزان يتوقف على العلم به والانعطاف اليه وعقد القلب عليه، وهذا هوالاعتقاد بالوحى والنبوة المشاراليه فى الاصل الثالث وهذه الاصول الثلاثة فى ايّ عصر تحقّقت تلازم وتوجب الأجر الالهى وتزيل ايّ خوف وحزن سواء فى ذلك الخلف والسلف.

وهذه الاصول لابد فى معرفتها من البرهان العقلى الذى لامجال بدون التحقيق فيها للتقليد ولاللقيادة، لان الناس فيها شرع سواء رغم اختلاف درجات تحقيقهم ومراتب فحصهم بالاجمال والتفصيل وبالشدة والضعف، وعليه فلاوجه لحصر السعادة فى عنوان ونفيها عن عنوان آخر. وعلى هذا الحجر الاسلامى يقضى القرآن على الدعاوى العاطلة والامانى الكاذبة التى لكل حزب خاص حيث يدعى كل واحد من تلك الاحزاب انه هوالمؤهل للسعادة

والجنة ـ انحصاريا ـ دون غيره ولايرضى عن غيره حتى يتبع ملته ويدعى انه ـ بالذات ـ هوالمتقرب من الله سبحانه وان غيره هوالمبتعد عنه تعالى وانّه لاسبيل لغيره عليه بل له ان يفعل فى حق غيره مايشاء، حيث قال سبحانه:

وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا اونصارى تلك امانيّهم قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين[1].

يعنى ان اليهوداطار تفكرهم و منطقهم هوانحصار الجنة لهم ـ ذاتيا ـ، لايدخل فيها احد سواهم، وكذا النصارى دعوهم انحصارها لهم ولامطمح لاحد فيها عداهم، كماقال تعالى:

وقالت اليهود ليست النصارى على شيئ وقالت النصارى ليست اليهود على شيئ وهم يتلون الكتاب كذلك قال الذين لايعلمون مثل قولهم فالله يحكم بينهم يوم القيمة فيما كانوا فيه يختلفون[2].

ومعناه ان كلّا من فريق اليهود والنصارى يطارد الاخر، مع ان الكتاب الالهى الذى يتلونه لايحكم بان النجاة تدور مدار العنوان والوسام والصفات ومالى ذلك وهؤلاء رغم تلاوتهم لذلك الكتاب الالهى الحاكم على خلاف ذلك يتهوسون بنفى الفريق الاخر. كما و ان هذه الدعوى الخلية عن البرهان هى قولة غيرهم من الجهال الفاقدين للكتاب السماوى ولايختص هذا الحصر المتوهم بالقياس الى فريق دون آخر بل كل من هولاء ينفى ويدعم كل من سواء باطلاقه كما قال سبحانه:

ولن ترضى عنك اليهود ولاالنصارى حتى تتبع ملتهم قل ان هدى الله

---

١ ـ البقرة / ١١١.

٢ ـ البقرة / ١١٣.

هوالهدى ولئن اتبعت اهوائهم بعد الذى جائك من العلم مالك من الله من ولى ولانصير[١].

يعنى ان اليهود لا ترضى عن الرسول وامته إلا ان يرتدوا عن الاسلام ويتهودوا وان النصارى لا ترضى عنهم الاان يتنصروا وكل واحد من الفريقين كمايحكم ببطلان الفريق الاخر وانه ليس على حق و شيئ كذلك يقضى على الاسلام والمسلمين بانه ليس على شيئ اصلا وقد بلغت امنيتهم الكاذبة الى حيث ادعوا انهم دون غيرهم اخصاء بمعرفة الله ودينه وانهم ابناء الله واحبائه ولكن رد الله عليهم بقوله:

وقالت اليهود والنصارى نحن ابناء الله واحبائه قل فلم يعذبكم بذنوبكم بل انتم بشر ممن خلق يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء ولله ملك السموات والارض و ما بينهما واليه المصير[٢].

اذلو كانوا احبائه لماعذّبهم الله بذنوبهم ولما اذنبوا حتى يعذبوا بل هم كغيرهم من احاد الناس وسوادهم يحكم عليهم مايحكم به على غيرهم من العدل العام الالهى الذى قدمر نظامه بدوران الاجر والنجاة من النار مدار هاتيك الاصول الثلاثة بلا مايز بين حزب وآخر.

وحيث إن الامة الخاطئة التى ترى نجاتها -بالذات- وتزعم هلكة غيرها قدترتطم فى غواية وضلال الى حدّ لو اخرج يده لم يكديراها تتخيل ان المؤسس للدين التوحيدى الذى اليه منتهى الانبياء والاولياء وهو ابراهيم (ع) كان على دينهم وانهم على منهاجه دون غيرهم، كما قال سبحانه:

---

١ - البقرة / ١٢٠.

٢- المائدة / ١٨.

ام تقولون ان ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والاسباط كانوا هودا اونصارى قل أأنتم اعلم ام الله ومن اظلم ممن كتم شهادة عنده من الله وما الله بغافل عما تعملون[١].

ولما خيل لهم انهم على الحق دون غيرهم وهم على شريعة الانبياء دون من سواهم حسبوا ان لاسبيل الى الله الا بالتهود والتنصر وانها ـ انحصاريا ـ سبيل ابراهيم (ع) ولكن رد الله تعالى عليهم مزعمهم بان سبيلهم انما هو فى قبال ملة ابراهيم (ع) وان الصراط السوى الهادى الى الجنة المنجى من النار هو ملته (ع) فحسب، حيث قال عزمن قائل:

وقالوا كونوا هودا او نصارى تهتدوا قل بل ملة ابراهيم (ع) حنيفا وما كان من المشركين[٢].

وقد بين سبحانه فى مطوى هذه الايات ان بنيان هولاء مؤسس على الجهل والامنية فلو علموا وحققوا لما تفوهوا بذلك، كما قال تعالى: «قل هاتوابرهانكم» يعنى ان الدعوى اذالم تكن مشفوعة بالبرهان لم تكن مسموعة، بل تصبح امنية خاطئة ليس الا كماقال تعالى: «تلك امانيّهم» وقال ايضا: «كذلك قال الذين لايعلمون مثل قولهم» يعنى قول هولاء الذين هم اهل الكتاب مثل قول الجهال لان من لايعتنى بكتابه السماوى وينبذه وراء ظهره فهو مثل من لاكتاب له من الجاهليين... هذا نبذ من امانيهم.

واما القرآن الحكيم، فحيث انه يهدى للتى هى اقوم فلاياتى بمقال الامشفوعا بالبرهان سواء فى ذلك اثبات كمال لشيئ او سلبه عنه ولايبنى شيئا

١ـ البقرة/١٤٠.

٢ـ البقرة/١٣٥.

من ذلك على العنوان والاسم والانتهاء بكتاب فلذلك لايرى فيه موضع يعد احدا بالجنة او يؤمنه من النار إلّابعد احراز وصفين احدهما الحسن الفاعلي وهو كون ذلك الشخص مؤمنا والاخر الحسن الفعلي وهو ان يبعث منه عملا صالحا كماو انه لا يخوّف احدا بالنار ولايهدده بها الابفقده احدهما، بان لايكون قدآمن او آمن ولم يكتسب في ايمانه خيرا. لذلك تراه قدحكم في هذه المسئلة التي قد ادعى كل فريق بكونه ناجيا -باطلاق الكلمة- وادعى ايضا بأن ماسواه ليس على شيئ بل هالك بالاطلاق... -حكم تعالى- بحكم عدل وقضاء قسط يوافق ما اسس بنيانه عليه من دوران الامر في السعادة والنجاة من النار وجودا وعدما مدار تلك الاصول الثلاثة كذلك -اي وجودا وعدما- وهو قوله تعالى:

قل يا اهل الكتاب لستم على شيئ حتى تقيموا التوراة والانجيل وما انزل اليكم من ربكم وليزيدن كثيرا منهم ما انزل اليك من ربك طغيانا وكفرا فلا تأس على القوم الكافرين[1].

يعني ان اهل الكتاب ان اقام كتابه السماوي وما انزل اليه من ربه -فهو على خير وكمال يتفتح له ابواب الرحمة والجمال لان اقامته هذه عبارة اجماليا عما بيّنه في آيتي البقرة والمائدة تفصيليا وهو توقف الأجر الالهي ونفي الخوف والحزن على الايمان بالمبدء والمعاد والوحي والرسالة وعلى العمل بمقتضاها، وذلك لان الذي لم يؤمن بكتابه السّماوي او آمن ببعضه دون بعض او آمن بجميع ما فيه لكنه لم يعمل بمقتضاه فهو ممن لم يقمه، وعليه فاقامته و رحابه به انما تتحصّل بتلك الاصول المارة.

---

١ - المائدة /٦٨.

فكم فرق بين القائل بان اليهود ليس على شيئ -على اطلاق الكلمة- وبين القائل بأن اليهود ليس على شيئ حتى يقيموا كتابهم السماوى اذالاول مجازف لااعتداد بدعواه، والثانى حكيم يخضع لمادعاه، وحيث إن اهل الكتاب لو اقاموا كتابهم الاصيل، ذلك السفرالغير المحرف، لنالوا حقايق كبيرة جمة...، التى منها التبشير بالقرآن ومن يأتى به يحصل لهم نصاب شرائط الأجر الالهى، لذلك فقد استقروا نهائيا على شيئ وهو الكمال الذى تهدف اليه النبوة وتهدى اليه الرسالة، بيد انهم نبذوه وراء ظهورهم ولم يقيموه واقتصروا على الانتهاء الصرف اليه... كان ذلك هوالسبب لأن يعمهم الجهل المقابل للعلم كمافى الاتباع الذين اتبعوا كل شيطان مريد، لفقدهم التحقيق فى التبعية والطاعة اوالجهل المقابل للعقل كمافى الاحبار والرهبان والقسيسين، لايثارهم الدنيا على الاخرة واستئثارهم الجاه وحب الدنيا الذى هو رأس كل خطيئة.

وهيهنا يتبين ان الرسول الاعظم (ص) وتابعيه لهم حظّ عظيم اوفر من العلم وهؤلاء لاخلاق لهم منه فان هذا هو المستفاد -بوضوح- من قوله تعالى:

ولئن اتيت الذين اوتوا الكتاب بكل آية ماتبعوا قبلتك ومااانت بتابع قبلتهم ومابعضهم بتابع قبلة بعض ولئن اتبعت اهوائهم من بعد ماجائك من العلم انك اذا لمن الظالمين الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كمايعرفون ابنائهم وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون[1]

حيث انه تعالى عد ما عند الرسول (ص) علما وعد عمل هولاء هوى يتهوسون به وبيّن ان هؤلاء قد تبين لهم الحق وعرفوه اشد معرفة كماعرفوا ابنائهم، لكنهم كتموا الحق عالمين به فاقدين عقلا عمليا يعبد به الرحمن ويكتسب به الجنان بقبول الحق والنكول عن الباطل.

---

١ - البقرة/١٤٦ - ١٤٥.

فاذا لاح أن مقطب السعادة هوالتحقيق وطرد اية امنيّة لا تساند اليه وان معارف القرآن العلمى قداسست على ذلك حسبما يستنبط المتدبر فيه، فعليه يلزم الاصغاء الى ماهو المأثور عن مستنطقه وهو مولينا الرضا (ع) حيث قال:

من احب عاصيا فهوعاص ومن احب مطيعا فهومطيع ومن اعان ظالما فهوظالم ومن خذل عادلا فهوظالم انه ليس بين الله وبين احد قرابة ولاينال احد ولاية الله الا بالطاعة، ولقد قال رسول الله (ص) لبنى عبد-المطلب :ايتونى باعمالكم لاباحسابكم وانسابكم، قال الله تعالى فاذانفخ فى الصور فلا انساب بينهم يومئذ ولايتسائلون فمن ثقلت موازينه فاولئك هم المفلحون ومن خفت موازينه فاولئك الذين خسروا فى جهنم خالدون[1].

فقد صارح (ع) بان العمل السيئ من اىّ عامل صدر يوجب الخسران وانه ليس بينه تعالى وبين احدمن خلقه قرابة لكى يدعى بانه من ابناء الله واحبائه كما ادعاه اليهود رغم قتلهم الانبياء بغير حق. وانه لاينال ولاية الله الا بالطاعة المؤلفة من الحسن الفاعلى والحسن الفعلى... على مامرمسبقا. ولقدروى ابوالصلت الهروى قال سمعت الرضا(ع):

يحدث عن ابيه ان اسماعيل قال للصادق (ع) يا ابتاه ماتقول فى المذنب منا ومن غيرنا فقال (ع):ليس بامانيكم ولاامانىّ اهل الكتاب من يعمل سوء يجزبه[2].

يعنى منه عدم الجدوى للانتماء ولالتمنى نهائيا، فالمنتسب الى رسول الله (ص) لابد وان يهتدى بهداه ويساير بسيرته وليستن بسنته ولايدور الامر فى النجاة مدار امنية اىّ متمن.

ولقد روى الحسن بن الجهم قال كنت عندالرضا (ع) وعنده (ع) زيدبن

---

١ ـ عيون اخبار الرضا، ٢/٢٢٥.

٢ ـ عيون الاخبار، ٢ / ٢٣٤.

موسى اخوه وهو(ع) يقول:

يازيداتق الله فانه بلغنا ما بلغنا بالتقوى فمن لم يتق الله ولم يراقبه فليس منا ولسنامنه يازيد اياك ان تهين من به تصول من شيعتنا فيذهب نورك يازيد ان شيعتنا انما ابغضهم الناس وعادوهم واستحلوا دمائهم و اموالهم لمحبتهم لنا واعتقادهم لولايتنا فان انت اسأت اليهم ظلمت نفسك وابطلت حقك. قال الحسن بن الجهم:ثم التفت(ع) الىّ فقال يابن الجهم: من خالف دين الله فأبرأ منه كائنا من كان من اى قبيلة كان ومن عادى الله فلا تواله كائنامن كان، من اى قبيلة كان فقلت له: يابن رسول الله ومن الذى يعادى الله تعالى قال: من يعصيه[1]

وحصيلة ما افاده الامام(ع) هو ما اوعز به القرآن من دوران كرامة الانسان مدار التقوى وانها لا تتحصل بالانتساب والامنية وما الى ذلك، بل بالمراقبة والطاعة انحصاريا وان من يعصى الله فهو عدوّله، فكيف يكون ولياله. ولذلك نراه(ع) يخاطب اخاه بانه اخوه مازال فى طاعة الله عزوجل. ان نوحا(ع):

قال رب ان ابنى من اهلى وان وعدك الحق وانت احكم الحاكمين، فقال الله عزوجل يا نوح انه ليس من اهلك انه عمل غيرصالح فاخرجه الله عزوجل من ان يكون من اهله بمعصيته.[2]

لان الله الذى لايجور فى الحكم -لأنه احكم واتقن واعدل حاكم وقاض-، قدحكم بان الطالح منقطع الرباط والصلة عن الصالح وان النسّب الاعتبارية لاتحمل اية حقيقة وان العصيان يوجب ويلازم الابتعاد عن الله وان الطاعة توجب وتلازم القرب اليه وان البعيد والقريب ليسابسواسيه لانه برى

---

١ - عيون الاخبار، ٢ / ٢٣٥.

٢ - عيون الاخبار، ٢/ ٢٤٤.

من البعيد عن الله اذ: اولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذاالنبي (ص) والذين آمنوا والله ولى المومنين وهو ـ اى ابراهيم (ع) ـ قال لابيه وقومه انني براء مما تعبدون. والسر فى ذلك هو ان الحق برئ من الباطل ويضاده ولامجال له مع ظهور الحق، كماقال تعالى:

قل جاء الحق ومايبدئ الباطل ومايعيد[1].

يعنى سبحانه انه لاموقع للباطل مع مجئ الحق سواء فى ذلك الباطل الحادث البادى الغير المستبق بوجود او الباطل الذى كان موجودا مسبقاثم زال فلا امكان لعوده كمالا امكان لحدوث غيره من الاباطيل لان الحق ـ بطبيعته ـ يدمغ الباطل فاذاهو زاهق، ومن هنا يستبان معنى قولة مولينا الرضا (ع):

النظر الى ذريتنا عبادة فقيل له:يابن رسول الله (ص) النظر الى الائمة منكم عبادة اوالنظر الى جميع ذرية النبي (ص) قال (ع): بل النظر الى جميع ذرارى النبي (ع) عبادة مالم يفارقوا منهاجه ولم يتلوثوا بالمعاصى[2].

و ذلك لان رؤية الذرية الطاهرة عن الذنوب والادناس تكون تذكرة للذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا وهذه التذكرة عبادة دون النظر الى المتلوثة بالمعاصى لانه حجاب عن ذكرى هولاء المطهرين فكيف يكون عبادة فيدلنا ذلك على دوران العبادة مدار الحق دون الانتماء ولا الامنية والحسبان، و حيث انه (ع) كان متحققا بالحق وكان صلاته ونسكه و محياه ومماته لله رب العالمين وكان منزها عما يشوب الباطل والتمنى وعما يشوبه الانتماء والحسبان لايفاعل ولايوثر فيه المدح والقدح، فلذا نراه لما قال له (ع) رجل: «والله ماعلى وجه الارض اشرف منك اباً» يجيبه (ع) بكل تأكيد بأن

١ـ سبأ / ٤٩.
٢ـ عيون الاخبار، ٥١/٢.

«التقوى شرفهم وطاعة الله احظتهم»، وهكذا لما يقول له الآخر: «انت والله خير الناس»، يقول له:

لاتحلف يا هذا خير مني من كان اتقى لله تعالى واطوع له والله ما نسخت هذه الاية: وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان اكرمكم عندالله اتقيكم[1].

والسبب هو ان الانسان الكامل المعصوم (ع) لايأتيه الباطل من بين يدى المدح ولامن خلف القدح، لان القرآن العلمى المصون عن ذلك كله قد خالط دمه ولحمه من قرنه الى قدمه ومن قلبه الى قالبه ومن ملكوته الى ملكه ومن عقله الى طبيعته ومن فيضه الاقدس عن شوب الكثرة والميز الى فيضه المقدس مستوعبا جميع مراتبه، فكما ان القرآن العلمى قول فصل وليس بهزل وبرهان ليس بحسبان وحق ليس بامنية، كذلك القرآن العينى الذى هومستنطقه حق لاينخسف بالمدح الباطل ونور لاينكسف بالقدح الزور، وعلى الجملة: تكون حياته الطوبى حياة عقلية مبرأة عن التباهى بالانتماء وان كان هو(ع) فوق مدحة المادحين ماضيا او مقتبلا، كما عرّف هو(ع) الامام بمالاينا له عقول الناس، الا ان الاستدلال بالقرآن انما هو لتحكيم التحقيق وطرد ايّة امنية لاىّ متمن.

والسر فى اصراره (ع) فى طرد التمنى ونبذ الامنية وراء الظهر هو انها بضاعة الشيطان وحبالته كماقال سبحانه حاكيا عنه:

...ولامنينهم[2]

ولايغتر بها الا اهل الدنيا الذين هم تحت ولايته. ومن اظهر مصاديق هؤلاء الاميون الذين لايعلمون الكتاب الاامانى ولذلك يعدهم الشيطان ويمنيهم ومايعدهم الاغرورا، كماقال اميرالمومنين (ع):

...وحذّركم عدوا نفذ فى الصدور خفيّا ونفث فى الاذان نجيّا فاضل

---

١ ـ عيون الاخبار، ٢/٢٣٦. ٢ ـ النساء/١١٩.

واردى ووعد فمنى وزين سيات الجرائم[١].

والانسان المحقق الذى تربى فى مدرسة كلامه تعالى:

ليس بامانيكم ولاامانى اهل الكتاب[٢].

هوالذى يكذب مناه ويكابرهواه ويستغنى باشرف انحاء الغنى ويجاهد هواه كمايجاهد عدوه كيلا يأسر عقله هواه ولايصبح هواه اميراً عليه، كما قاله اميرالمومنين (ع):

... واشرف الغنى ترك المنى وكم عقل اسير تحت هوى امير[٣].

ولامناص فى التحفظ من التمنى وحبالة العدو المبين الا بالعبادة والتباهى بها اذ التفاخر بالتذلل لله ممدوح، كما اوعزاليه الامام على (ع):

الهى كفى بى عزا ان اكون لك عبدا وكفى بى فخرا ان تكون لى ربا انت كمااحب فاجعلنى كماتحب[٤]

ومماذكرنا بكله يلوح معنى كلام مولينا الرضا (ع) لما قال له المامون:

يابن رسول الله قد عرفت فضلك وعلمك و زهدك و ورعك و عبادتك اراك احق بالخلافة منى. قال(ع): بالعبودية لله عزوجل افتخر و بالزهد فى الدنيا ارجو النجاة من شرالدنيا وبالورع عن المحارم ارجو الفوز بالمغانم وبالتواضع فى الدنيا ارجو الرفعة عندالله عزوجل[٥]

---

١ ـ نهج البلاغة، الخطبة ٨٣.

٢ ـ النساء /١٢٣.

٣ ـ نهج البلاغة، قصار الكلم، ٢١١.

٤ ـ مفاتيح الجنان، ص ١٣١.

٥ ـ علل الشرايع، ٢٢٦/١.

والمحصل: ان تعاليم القرآن مؤسسة على التحقيق والاتقاء عن الاماني وأن مولينا الرضا (ع) كغيره من العترة الطاهرة قد بنى سيرته العلميّة و العملية على التحقيق البرهاني وتحكيم مبانيه وتضعيف الأماني وتحطيم اركانها وتنبيه المغترين بها واحياء ارتكازهم بعدم الاغترار بالانتماء والحسب والنسب وما الى ذلك من الاسماء التي ما انزل الله بها من سلطان وذلك كله ببركة العمود النوري الذي كان بينه (ع) وبين الله سبحانه كما اسلفنا بيانه مبسوطا. (بلغ والحمد لله رب العالمين ليلة القدر ٢٣ من رمضان المبارك عام ١٤٠٦ هـ ق)

الجنة الرابعة: في ترغيب القرآن الى البرهان العقلي والشهود القلبي وترهيبه عن القياس الوهمي والتمثل الشيطاني

قد تقدم ان القرآن يهتف الى التحقيق ويأمر به ويزجر عن الركون الى الامنية و ينهى عنها، وبما أن القرآن نور لاظلامة فيه اصلا فلا يكتفي بمجرد الامر بشيئ بدون الارشاد الى كيفية تحصيله ولا يقتصر على مجرد النهي عن شيئ بلا ذكر لنموذجه وبيان لمن ابتلى به وتبيين لكيفية علاجه لانه ليس كتاب تعليم فقط كيلا يتعرض لذكر الامثال وتشريح حال المبتلين به كما هو المألوف في سوق التصنيف ومتجر التاليف بل هو كتاب انزل «هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان».

فهو رغم تاسيس بنيانه على التحقيق ودعائه الناس الى تاسيس حياتهم عليه ومدح المحققين وذم المعرضين عنه حسبما مر مسبقا في الجنة الثالثة، لكنه ـ في نفس الوقت ـ لايقتنع بصرافة هذا البيان الكلي من دون تعليمه لمنهج التحقيق و هدايته شرائط النيل بالحق وتذكر موانع الوصول اليه ونقل احاديث وقصص اولئك الذين لم يتحصلوا لتلك الشرائط ولم يتقوا عن هذه الموانع ووقعوا في تيه

الجهالة وحيرة الضلالة، كما وانه نقل سيرة المتزينتين بوجدان هاتيك الشرائط والمتخلين عن هذه الموانع والقواطع و الحاظين لما حظوا من القرب والوصال، وعليه فمن اللازم التدبر في القرآن الحكيم لكي يتبين منطقه في تعليم اسلوب التحقيق وان منهجه ماهو؟ وكم هو؟ ثم الانصات الى ماعن مستنطقه وهو الانسان الكامل المعصوم (ع) حتى يظهر ان بيانه في نحو الهداية الى الحق والنيل به ماهو وكم هوايضا ليستبان ان الثقلين الذين خلفهما رسول الله (ص) في امته بمنزلة العينين والاذنين كلاهما يبصران معاويسمعان معا بلاميز و لاتعدد ولاتخالف ولااختلاف بين مبصراتهما ولابين مسموعاتهما.

فنقول: ان الذى يفيدنا ويتحفنا القرآن الكريم هوان هنا طريقين الى الوصول للحق: احدهما التفكر العقلي و ثانيهما الشهود القلبي وكل واحد منهما وان كان ملائما للاخر و مناسبا له لكن لكل واحد منهما فصل يمايزه عن صاحبه. نعم من الممكن جمعهما في انسان متكامل كالحكيم المتأله والعارف المحقق، واما طريق الحس فهو ليس صراطا مستقيما بحياله مادام لم ينته الى البرهان العقلي وذلك، لأن الجزئي المحسوس بما انه جزئي لاينتج وان ضم الى جزئي او جزئيات آخر وان انتج فلايخرج عن الظن الغير المغني من الحق شيئا فيما يعتبرفيه اليقين.

وحيث انّ اسلوب و طريقة الشهود القلبي اقرب الى الحق والى سيرة الانبياء والاولياء الذين به نالوا مانالوا وهوفي نفس الوقت أدْعىٰ الى العمل الصالح، كماو انه ايضا مبتن عليه، كان اهتمام القرآن به اشد من اعتنائه الى طريق التفكر العقلي ولكنه مع ذلك اصعب واعسر واوعر من التفكر العقلي رغم كونه صعبا وعسرا و وعرا ايضا،لان شرائط سلوكه اهم من شرائط التفكر العقلي وموانعه اكثر من موانعه لان شرائط التفكر الصحيح وكذا الموانع عنه

معلومة مدونة و رعايتها وان كانت غير خلية من الصعوبة لكن شرائط الشهود القلبي كعقبات كئودة وعرة يصعب اقتحامها جدا والموانع عنها اودية مهلكة حفت بالشهوات وزينت بها على حد يعسر الا تقاء عنها ويشكل النجاة منها والاستيلاء عليها الا للاوحدى الذى استخلصه الله لنفسه وبلغ شأواً قاصيا لا تناله سهام الا بالسه ولا تصل اليه ايدى الأمانى والدسائس، واولئك هم القلة عددا... والمايز الاخر بين طريق التفكر والشهود هوان حصيلة التفكر البرهانى تتقبل الانتقال الى الغير بالتعليم دون ثمرة الشهود القلبي فانها لا تقبله بوحدته الّابالاستعانة من التفكر العقلى، وتفصيل المقال فى كل واحد منها فى طى مقامين احدهما ما يبحث عن موقف التفكر العقلى تجاه القرآن الحكيم و الآخر حول موقف الشهود القلبي تجاهه، فنقول:

المقام الاول: فى موقف التفكر العقلى تجاه القرآن الحكيم

ان التفكر العقلى تحرك روحى نحو المجهول من قنطرة المعلوم المنتهية اليه بالضرورة وينافيه السكون اوالتحرك من مجهول الى مجهول اومن معلوم لاينتهى الى ذلك المجهول باليقين، وان امكن انتهائه اليه بالظن الغيرالمغنى عن الحق شيئاً لذلك فقد منع القرآن الهادى للتى هى اقوم عن كلّ من السكون المعبر عنه بالتقليد فى الاصول ومن التحرك لاعلى النهج الصواب المعبر عنه بالمغالطة الفكرية التى منشاها ايحاء الشيطان الى اوليائه ليجادلوا فى الله بغير علم ولاهدى ولاكتاب منير، ولم يقنع كتاب الله بمجرد هذا المنع كما مرمسبقا بل قدم بنفسه امام السالكين وبرهن على دعواه واستدل على مدعاه وعلّم فن البرهان لمن وعاه ونقل ماساند اليه ذلك المعرض عن الحق والنائى بجانبه وبيّن وَهْن دليله بضعف مادته او صورته وحذّرعن الاستدلال بما لايفيد اليقين لوهنه

كما رَهّبَ عن الجمود والتقليد لان سلوك سبيل الغى والتحرك المغالطى لولم يكن اسوء حالا من التوقف والتقليد فلااقل منه.

والسر فى ذلك كله هو ان الدين الالهى المبتنى على الحق لاامكان لنيله الا بوعى من العقل او بوحى من النقل، وكلما اتسع نطاق العقل فى المجتمع وشاع الوحى فيه امكن الوصول الى محتواه وسهل النيل الى مغزاه، وكلما انعكس الامر باتساع الجهل فى المجتمع اما للجمود وعدم التفكر او للتفكر الباطل العقيم صعب الوصول الى مدعاه واصبح مهجورا مطموسا، كما وان الامر فى الدين الشيطانى القائم على الباطل على معاكس منه حيث انه كلما اتسع نطاق التقليد وشاع التفكر المغالطى سهل رواج ذلك الجزاف وكثر تابعوه اولئك الذين يميلون مع كل ريح ولم يستضيئو بنور العلم ولم يلجوا الى ركن وثيق... ولكل من هذه الامور المارة نماذج نشير اليها كمايلى:

(فمنها) مايتصل الى النهى عن اتّباع غير العلم اليقينى نحو قوله تعالى:

ولا تقف ماليس لك به علم ان السمع والبصر والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولا[1].

(ومنها) ما يتصل الى تفصيل هذا النهى بان كل واحد من التصديق والاثبات وكذا التكذيب والنفى اذالم يكن بالبرهان القطعى فهو اقتفاء لما لاعلم به، وقد نهى عنه كماقال فيه مولينا الصادق (ع)[2]

ان الله خص عباده بآيتين من كتابه ان لايقولوا حتى يعلموا ولا يردّوا مالم يعلموا وقال عزوجل:

«الم يوخذ عليهم ميثاق الكتاب ان لايقولوا على الله الا الحق[3]»

---

١ ـ الاسراء /٣٦.

٢ ـ الكافى، باب النهى عن القول بغير علم ١/ ٤٣. ٣ ـ الاعراف/ ١٦٩.

وقال:

بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله[١].

(ومنها) ما يتعلّق الى النهى عن التقليد عمن لايهتدى ولايتعقل لانه عطلة لاحراك لها، كما قال سبحانه ذمّاً لهولاء:

واذا قيل لهم اتبعوا ماانزل الله قالوا بل نتبع ما الفينا عليه آبائنا اولوكان آباوهم لايعقلون شيئاً ولايهتدون[٢].

وذلك لان العمل لابد وان ينتهى الى العقل والهداية الحقة، اما بلاوساطة كما اذا كان العامل نفسه عاقلا مهتديا كالمعصوم(ع) بعناية الهية، واما مع الواسطة، كمافى غيره اذا استند اليه وحيث ان آباء هولاء المقلدين لم يكونوا عاقلين ولامهتدين والا لماتحركوا نحو الباطل ولم يبغوا سبيل الحق عوجا فلم يكن عمل الاتباع منتهيا الى العقل والهداية، ولذا قال سبحانه فى شأنهم:

... مالهم بذلك من علم ان هم الا يخرصون، ام آتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون، بل قالوا انا وجدنا آبائنا على امة وانّا على آثارهم مهتدون[٣].

يعنى ان القول اذالم يستند الى العلم البرهانى ولاالى الوحى السماوى فهوَ خرْص لااعتدادبه وتقليدصرف لاجدوى له.

(ومنها) ما يتصل الى بيان استقرار الدين الالهى على العلم فلذا يرغب اليه واستواء الدين الشيطانى على الجهل فلذلك يرهب عنه.

(اما الاول) فهو فوق الاحصاء كقوله تعالى:

١- يونس /٣٩.

٢- البقرة /١٧٠.

٣- الزخرف/ ٢٢ - ٢٠.

وتلك الامثال نضربها للناس ومايعقلها الا العالمون[١].
...انما يخشى الله من عباده العلماء[٢]..
وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون[٣]...

(واما الثاني) فنحوقوله تعالى:

فاستخف قومه فأطاعوه انهم كانوا قوماً فاسقين[٤].

يعني تعالى حمل فرعون قومه على الخفّة اووجدهم خفيف العزم بالجهل فصاروا مطيعين له، وذلك لأن الحق ثقيل. كماقال الله:

انّا سنلق عليك قولاً ثقيلاً[٥].

والعمل الصالح ثقيل فلذاتثقل موازين الصالحين، كماقال تعالى:

فامّا من ثقلت موازينه فهوفي عيشةٍ راضية وامامن خَفّت موازينه فامّه هاوية[٦].

والمحصل انّ الدين الشيطاني الذي كان فرعون يهدي اليه ويحامي عنه ويبتغيه وسيلة لدنياه حيث كان يقول:

انى اخاف ان يبدّل دينكم اوان يظهر في الارض الفساد[٧].

انماهو القائم على الجهل وخفّة العزم فلذا كان فرعون يذّب عن السفاهة والتمويه بترويجها والدعاية اليها وبتهديد من يدعو الى الله بالحكمة والموعظة

---

١ ـ العنكوبت /٤٣.
٢ ـ فاطر/٢٨.
٣ ـ البقره /٢٠٣.
٤ ـ الزخرف /٥٤.
٥ ـ المزمّل/٥.
٦ ـ القارعة٨ـ٦ .
٧ ـ غافر/٢٦.

الحسنة ولما كان الدين الجاهلي يدور مدار الاستخفاف حذّر الله رسوله والمسلمين منه في قوله تعالى:

فاصبر انّ وعدالله حق ولايستخفّنّك الذين لايُؤمنون[١].

فبالترغيب الى العلم الذى عليه عماد الدين الالهى والترهيب عن الجهل والسفه الذى عليه ابتناء الدين الشيطانى يتحول المجتمع نحو التفكر والتحرك الروحى ولصيانته عن الاعوجاج، انزل كتاباً غيرذى عوج وسلك فيه طريق التفكر الصحيح وحذّر عن تطرّق الطريق المغالطى.

(اما الاول) فهو المتجلى فى القرآن الحكيم من بدئه إلى ختمه نحو قوله:

لوكان فيهما آلهة الاالله لفسدتا[٢]

وقوله تعالى:

لوكان من عند غيرالله لوجدوا فيه اختلافاً كثيرا[٣].

أفحسبتم انما خلقناكم عبثا وانّكم الينا لا ترجعون[٤].

وما الى ذلك من الآيات المصوغة بصياغة القياس الاستثنائى مع تبيين التلازم بين المقدم والتالى فيه وبيان بطلان التالى المستلزم لبطلان المقدم اوالمصبوغة بصبغة القياس الاقترانى مع تبيين الربط الضرورى بين الاوسط وبين طرفيه من الحد الاصغر والحدالاكبر، لسنا الآن بصدد تفصيله.

(واماالثانى) فهو مانقل فى القرآن حكاية عن الوثنيين المتفكرين بزعمهم، لانهم كغيرهم من ارباب النحل صنفان احدهما السادة الذين يتحمّلون اعباء

١- الروم /٦٠.

٢- الانبياء/ ٢٢.

٣- النساء /٨٢.

٤- المؤمنون / ١١٥.

التفكر و ثانيها الا تباع الذين يتحمّلون اوزار التقليد واصر التبعية وان كانت الاغلال على اعناق القائد والمقود والسلاسل على ارجلهم جميعاً لانّهم بعد ماعرضوا عن ذكر الله وصاروا فى ضنك المعيشة وزيغ القلوب وضيقهاو رين الافئدة وطبعها، قاموا يترددون فى ريبهم وقد تقدم ماتمسك به الضعاف من المشركين وهو حفظ السنّة الجاهلية الموروثة من آبائهم ومضى مسبقا انه الجمود على الجهل والسكون الى السفه والقرار على التمويه واما منطق متفكريهم فهو ماحكاه الله عنهم فى قوله تعالى:

سيقول الذين اشركوا لوشاء الله ماأشركنا ولا آبائنا ولاحرّمنا من شئ كذلك كذّب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علم فتخرجوه لنا ان تتبعون الّاالظن وان انتم الا تخرصون، قل فللّه الحجة البالغة فلوشاءلهداكم اجمعين[1].

وحصيلة حجتهم الداحضة عند ربهم هو انهم بعد ما اعترفوا بأن الله سبحانه موجود وانه خالق السموات والارض وانه رب الارباب، اشركوا بعدذلك فى ربوبيّته الجزئية. فانهم ادعوا بان للانسان رباً خاصاً يربّه ويدبره ويرزقه ويسعده وهكذا للبحر رب خاص وللبر رب مخصوص فلذا اعتقدوا بالارباب المتفرقين وهؤلاء الوثنيون مع انكارهم لاصل النبوة كانكارهم لاصل المعاد كانوا يحاججون فى قبال دعوة الانبياء الى التوحيد وان الشرك باطل ليس بمرضى لله وان الله شاء ان يوحّدوه ولايشركوا به شيئاً...، بان الله ـ والعياذ بالله ـ شاء ان يشرك هولآء واراد ان يجعلوا له شريكا فى الربوبية والعبادة وشاءان يحرّموا اشياء ويحللوا اشياء آخر، وذلك لان الله قادر مطلق

---

١ ـ الانعام /٩ ـ ١٤٨.

لايعجزه شيى ولاراد لقضائه ولامبدل لحكمه.

وانما امره اذا اراد شيئاً ان يقول له كن فيكون[١].

فلامردّ لمشيته ومن البيّن انه تعالى لوكان رائدا لأن لايشركوا ولايتخذوا من دونه اربابا وان يعبدوه ولايجعلواله شريكا ولايحرموا اشياء ولا يحللوا اشياء آخر، لماقدروا على شى من ذلك، وبما انهم قادرون عليه بشهادة ما اعتقدوا من الشرك ومافعلوا من التحريم والتحليل، فيعلم من ذلك انه تعالى شاء ان يشرك هؤلاء ويتخذوا من دونه اولياء ولم يشأ خلاف ذلك ولم يرده.

وهذا التفكير المغالطى هوالذى حكاه القرآن الكريم عن هؤلاء المشركين الذين ارادوا تصحيح مافعلوه و توجيه افاعيل آبائهم فى موارد (منها) مايحكيه قوله تعالى:

وقال الذين اشركوا لوشاء الله ماعبدنا من دونه من شيئ نحن ولا آبائنا ولاحرمنا من دونه من شيئ كذلك فعل الذين من قبلهم فهل على الرسل الاالبلاغ المبين[٢].

يعنى لوشاء الله ان لانعبدالوثن ولا نحرم من عند انفسنا اشياء لماقدرنا على عبادة غيره ولا على تحريم شيئ والتالى باطل لانا نفعل ذلك كما وان آبائنا فعلوه من سابق فالمقدم مثله، اذًا: فالله قد اراد الشرك وشاء عبادة الالهة، فما يقوله مدعى الرسالة بان الله لم يشأ الشرك ولم يرد ان يعبد الاصنام افتراء عليه... فهذا هوالجدال الذى جادلوا به الحق ليدعموه ولكن القرآن الكريم الذى هو نور لاظلامة فيه اصلا قد بحث فى اطروحة التوحيد والشرك من نواح شتى وبرهن على ضرورة التوحيد وكونه حقا لايراب فيه وبيّن امتناع الشرك

١ـ يس/٨٢. ٢ ـ النحل /٣٥.

وكونه باطلا لامرية فيه.

وكلامنا الآن هو في فساد الشرك ودحضه... ولقد استوفى القرآن البحث عنه في ثنايا امور.

(الاول) في الاستدلال العقلي على بطلان الشرك.

(والثاني) في نفي الدليل النقلي على صحته.

(والثالث) في تحليل ما استدل به هؤلاء وبيان مغالطتهم في القياس.

(اما الامر الاول) فهو ان المعبود لابد وان يكون موثرا في الاحياء و الاماتة وفي الضر والنفع... وما الى ذلك، فلابد وان يكون ربا اذ لا يعبد من لا تاثير له في قضاء حوائج العبد، وحيث ان الرب لابد وان يكون خالقا اذ التدبير وكذا الربوبية ليس الا ايجاد الروابط بين الاشياء وهدايتها التكوينية الى كمالاتها الوجودية ولايشذ هذا عن الخلقة ولااقل من ان يكون ملازما لها، اذالرب لابد وان يكون عارفا بالشيء وعلله الوجودية ونعوته الكمالية ولايكون غيرالخالق عريقا بذلك... فعلى اىّ تقدير يكون الربوبية من شئون الخالق لاغير فيجب ان يكون الخالق هوالرب،ويمتنع ان يكون الرب هوغير الخالق كمايجب ويلازم ان يكون الخالق هوالمعبود ويستحيل ان يكون المعبودهو غيره،والقرآن يهتف بهذا الاصل بقوله:

أيشركون مالايخلق شيئاً وهم يخلقون ولايستطيعون لهم نصرا ولاانفسهم ينصرون[1].

يعني أن الذي ليس بخالق يمتنع ان يكون شريكا للخالق وشبيها له في الربوبية، بل الذي هو مخلوق كغيره من المخلوقين يمتنع ان يكون ندّا لخالقه

---

١ - الأعراف /٢ - ١٩١.

ومثيلا له. فهذا هو البرهان العقلي على استحالة تحقق الشرك في العالم.

ويمكن ان يُسمى هذا القياس بالجدل لان بعض مقدماته قد اخذ فيه انه المسلّم عندالخصم لقوله تعالى:

ولئن سئلتهم من خلق السموات والارض ليقولنّ الله[١].

يعني ان هؤلاء المشركين قدتسلّموا بأن الخالق الوحيد هوالله وان الوثن اوالصنم ليس بخالق اصلا، وعلى الجملة ان الحكم بالشرك لابدّ وان يكون مستنداً الى دليل وهو اما العقل اوالنقل.

(اما العقل) فانه قائم على امتناعه حسبماتقرر، فلايهدى اليه بل يمانع عنه ويهدى الى التوحيد بالضرورة.

(واما النقل) فهو منتف ـ ايضا ـ كما نقرء توضيحه فيمايلي.

(واما الامر الثاني) اى عدم قيام الدليل النقلي عليه فهو ان الله سبحانه لم يرسل رسولا ولم ينزل كتابا ناطقاً بالشرك كماقال سبحانه:

ام آتيناهم كتاباً من قبله فهم به مستمسكون[٢]

يعني لادليل نقلي لهم على تجويز عبادة الآلهة كما لا دليل عقلي لهم عليه وقال تعالى:

ام انزلنا عليهم سلطانا فهويتكلم بما كانوا به يشركون[٣].

يعني لم ينزل الله عليهم بالوحي السماوي برهانا مسلّطا على السنن الجاهلية وعلى الاوهام والمخيلات يتكلم ذلك الوحي الالهي بتجويز الشرك

---

١ ـ لقمان /٢٥.

٢ ـ الزخرف /٢١.

٣ ـ الروم /٣٥.

وعليه فلا العقل ناطق به ولا النقل متكلم بذلك، بل النقل القطعي كالعقل اليقيني قائم على نفيه وناه عنه كما قال سبحانه:

قل انّما حرم ربّي الفواحش ما ظهر منها ومابطن والاثم والبغي بغير الحق وان تشركوا بالله مالم ينزل به سلطانا وان تقولوا على الله مالا تعلمون[١].

يعني ان الله الذي هو رب العالمين وبيده الامر والنهي والتحليل والتحريم قد حرم الفواحش و.... الشرك بالله بما لا دليل عليه ولم يرسل رسولا يدعو اليه ولم ينزل كتابا يهدي اليه فلا سلطان ولا برهان عليه بل البرهان على خلافه حسبما تقدم.

وحيث انه لا دليل لهولاء على ارتضاء الله بالشرك وان عبادة الالهة مرضية عنده تعالى، فاسناد السنّة الوثنية اليه تعالى افتراء محض وافك صرف، كما قال سبحانه:

ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما[٢].

يعني لا يمكن التفوه بان الشرك مرضي له تعالى اذا الظلم العظيم كيف يكون مقبولا لدى العدل المحض الذي لا يظلم احداً وكيف يمضيه العدل الذي لا يظلم مثقال ذرة فاسناده اليه فرية لا تغفر، اما كونه فرية فلما اوعزنا اليه من ان اسناد شيئ الى الله بلا اذن منه افتراء، كما قال سبحانه:

قل آلله اذن لكم ام على الله تفترون[٣].

واما كونه غير مغتفر فلانه شرك وهو ظلم عظيم، كما صارح سبحانه:

ان الله لا يغفر ان يشرك به[٤].

١- الأعراف /٣٣.
٢- النساء /٤٨.
٣- يونس /٥٩.
٤- النساء /٤٨.

وقال تعالى:

ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا...[١]

وعليه: فلاظلم اشد و اعظم من الشرك ولاظالم اظلم من المشرك المفترى على الله كذبا فلاصُلوح هناك للغفران رغم سعة رحمة الله الغفار.

(واما الامر الثالث) اى تحليل مااستدل به هؤلاء لتصحيح الشرك وبيان مغالطتهم فى القياس فهو: ان لله سبحانه ارادتين وامرين احدهما تكوينى لا مرد له والاخر تشريعى يطاع تارة ويعصى اخرى والمايز بينهما هو أن الارادة التكوينية انما تتعلق بفعل نفسه اى بان يريد الله تعالى -بالذات- ان يفعل فعلا خاصا كالاحياء والإماتة اوالقبض والبسط اوانزال المطر وإنبات النبات ومااالى ذلك،وأن الارادة التشريعية انما تتعلّق بفعل غيره اوتركه اى بأن يريد الله سبحانه ان يفعل الانسان باختياره فعلا خاصا كالعدل والاحسان اويترك فعلا بخصوصه كالظلم و الاسائة ومآل هذه الإرادة الى ارادة التشريع والتقنين فقط بحيث يحتفظ به اختيار المأمور فى الاخذ والترك .

ويترتب على القسم الاول من الارادة: لزوم تحقق المراد وامتناع تخلفه وكون المخاطب تابعا للخطاب فى الوجود ونحو ذلك كما قال سبحانه:

انما امره اذا اراد شيئاً ان يقول له كن فيكون[٢].

اذالخطاب هنا هوالايجاد لاالتكلم اللفظى لأن الاشياء بارادته دونِ امره مؤتمرة ولانها بكراهتة دون نهيه منزجرة فلا لفظ ولاصوت ولانداء و ماالى ذلك بل إنما هو افاضة الوجود على ماهوالمعلوم فى الحضرة العلمية مما يتقاضى الظهور

١- الانعام /٩٣.

٢- يس /٨٢.

دون غيره مما لايستدعيه ولايصلح له، وهذاالقسم من الامر والارادة والمشية هوالذى لامردّ له ويمتنع العصيان بالنسبة اليه لان جميع الموجودات قدْاسلمت لله رب العالمين كما قال تعالى:

فقال لها وللارض ائتيا طوعا اوكرها قالتا اتينا طائعين[١].

ويترتب على القسم الثانى من الارادة انحفاظ اختيار الانسان المامور بالخير المَنْهي عن الشرك «ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حى عن بينة» وكونه بين نجدى الطوع والمعصية وطريق الشكر والكفر، لقوله تعالى:

...وهديناه النجدين[٢].

انا هديناه السبيل اما شاكرا واما كفورا[٣].

فالامر هيهنا و ان كان امرا الهيا، لكنه فى نفس الوقت متعلق بمتن القانون و الحكم لابنفس الفعل الخارجى، كماقال سبحانه:

ان الله يأمر بالعدل والإحسان[٤].

وما امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء[٥].

وهذا القسم من الأمر و الارادة والمشية هوالذى قديطاع كما فى قوله تعالى:

قل انى أمرت أن اعبدالله مخلصا له الدين[٦].

وقد يعصى، كمافى قوله سبحانه:

وكأيّن من قرية عتت عن امر ربها و رسله فحاسبناها حسابا شديدا[٧].

---

١ - فصلت /١١.
٢ - البلد /١٠.
٣ - الانسان /٣.
٤ - النحل /٩٠.
٥ - البينة /٥.
٦ - الزمر /١١.
٧ - الطلاق /٨.

فاذا تبين انَّ لله سبحانه ارادتين و ان لكل واحدة منهما حكما يختص بها و ان الايمان مامور به ومراد بالامر والارادة التشريعية و أن الشرك منهى عنه و مكروه بالكراهة التشريعية وان الارادة التشريعية تقتبل للعصيان وان التى لا تقبل المعصية هى الارادة التكوينية ليس الا...

فبانجلاء هذا بكله تظهر كيفية مغالطة المتفكرين من الوثنيين فى قياسهم الداحض عند ربهم، حيث انهم خلطوا بين الارادتين لمشابهة اللفظ مثلا و رتبوا حكم الارادة التكوينية على التشريعية و غالَطُوا فى قولتهم: لوشاء الله ماأشْركنا ولا آبائنا ولاحرمنا من شيئ و ذلک لان الله سبحانه شاء ان لايشركوا تشريعا لا تكوينا و مجرد اختيارهم الشرک لايدلل على انه مرادالله سبحانه فلا تلازم بين المقدم والتالى، اذالتلازم انما هوبين المشية التكوينية و بين تحقق المراد و عدم التخلف عنها لابين التشريعية و بينه ... وعليه فلا انتاج لهذا القياس الذى لالزام بين مقدمه و تاليه رغم توهم التلازم للمغالطة الناشئة من إشتراک المشيئة بين القسمين احدهما ملازم للتالى دون الاخر.

ولقداستوفى القرآن البحث فى تحليل قياسهم المدعوم بان المشيئة التكوينية لم تتعلّق بالايمان و نفى الشرک بل المتعلقة بذلک هى التشريعية التى ينحفَظُ معها اختيار الانسان، حيث قال تعالى:

ولوشاء ربک لآمَنَ من فى الارض كلهم جميعا...[1]

مع انه تعالى اراد ان يؤمنوا جميعا فلذا أرسل اليهم رسوله كما قال:

وما ارسلناک الا كافة للناس[2]

١- يونس /٩٩.

٢- سبأ /٢٨.

وقال:

تبارك الذى نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا[١].

فالله سبحانه وإن اراد تشريعا ان يؤمن من فى الارض كلهم جميعا، بيد انه لم يشأ ذلك تكوينا تحفظاً لبقاء الاختيار الذى به تكامل الانسان فالتلازم بين المقدم والتالى فى القياس الاستثنائى متحقق، والتعبير فى قوة قوله لوشاء ربك تكوينا ان يؤمنوا لآمنوا جميعا، لامتناع تخلف المراد عن الارادة التكوينية فعدم ايمانهم يكشف -بالإنّ- عن عدم ارادة من الله سبحانه بايمانهم تكوينا.

وقال ايضا:

...ولوشاء الله لجمعهم على الهدى[٢].

اى لوشاء تكوينا لاضطرهم على الهدى ولآمنوا جميعا بالضرورة، لكنه لم يشاء ذلك صونا لاختيارهم الذى هوبين الجبر والتفويض. ولذا قال تعالى:

وعلى الله قصد السبيل ومنها جائر ولوشاء لهداكم اجمعين[٣].

اى اللازم على الله سبحانه هوبيان سواء السبيل و الصراط المستقيم والطريق الوسطى التى هى القصد بين طرفى الافراط والتفريط وليس على الله الذى كتب على نفسه الرحمة ازيد من ذلك،ولكن بعض الناس يجوز عن هذه السبيل و ينحرف عنها و يفسق عن امره ولوشاء الله هدايتهم بمشيته التكوينية التى لايتخلف المراد عنها لهداهم اجمعين بلاجور لأحدمنهم ولا اعناف فهو تعالى شاء هدايتهم تشريعا، ولم يشأها تكوينا. فلذا قال سبحانه:

وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر[٤].

١- الفرقان /١.
٢- الانعام /٣٥.
٣- النحل /٩.
٤- الكهف /٢٩.

وعند استبانة الميزبين الارادتين بالقول المطلق واتضاح الاصول العامة فى الهدايتين والارادتين تصل النوبة الى تبيين مغالطتهم فى تفكرهم الإلحادى حيث قال سبحانه:

ولوشاء الله ما اشركوا وماجعلناك عليهم حفيظا ومانت عليهم بوكيل[١].

يعنى لوشاء الله تكوينا ان يؤمنوا ولم يشركوا ما اشركوا جزميا و بالضرورة، وقال ايضا:

....ولوشاء الله مافعلوه فذرهم ومايفترون[٢].

معناه: لوشاء الله تكوينا ان لايقتلوا اولادهم تقربا الى الالهة و لايجعلوهم قرابين لها ما فعلوه البتة.

وحيث انهم قد اشركوا و قتلوا اولادهم للالهة فانه يعلم منه ان الله سبحانه لم يشاء ذلك تكوينا فاستبان أن المشيئة التى لايتخلف المراد عنها انما هى التكوينية منها دون التشريعية وانها لم تتعلق بالايمان والطاعة حتى لايتخلّفا عنها وانما المتعلقة بذلك هو خصوص المشيئة التشريعية التى يكون الانسان المكلف مختارا فى الامتثال بها و بعدمه، فهذا التفكر الصحيح السليم هو البرهان العقلى المصون عن شوب اىّ غلط فكرى و ذاك الذى ابتلى به المتفكر الوثنى انما هوقياس مغالطى منشأة مما مرمسبقا من اشتراك المشيئين و اشتباه الامر بينهما عليهم، فلذا قال سبحانه:

قل فللّه الحجة البالغة فلوشاء لهداكم اجمعين[٣].

---

١ - الأنعام /١٠٧.

٢- الأنعام /١٣٧.

٣- الانعام /١٤٩.

لان الحجة التى تَلِدُ النتيجة ولا تعقم عنها هى التى اقامها الله تعالى لاما تمسكوا به وهى التى لا تبلغ اليها بل تعقم عنها لاقترانها بالمغالطة.(تدبر)

تبصرة:

بما أن القرآن هدى للناس و ذكرى للبشر و نذير للعالمين لذلك فقد تعرض لمقال كل صنف منهم فما كان منها حقا صوابا ايده و ما كان باطلا فصّله الى ماكان العامل له شبهة علمية و ماكان لشهوة عملية... ثم انه حلل الشبهة العلمية احسن تحليل و ازاحها احسن ازاحة على حد لم يبق معه مجال للريب،وكذا حلل الشبهة العملية اجمل تحليل و عالجها احسن علاج الى حدّ لم يبق معه مجال للابتلاء والا تصال بها، وذلك بكله لمن كان له قلب او القى السمع وهو شهيد والا فقد يزيد شبهة على شبهاتهم كما نطق به تعالى فى كلمته:

فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا[1].

والغرض ان القياس المغالطى الذى ابتلى به متفكروا الوثنيين قد تعرض له القرآن وبيّن موضع الغلط وعالجه اجمل علاج و هناك قياس استثنائى آخر لمن يحمل شهوة عملية ولايبالى بما قال بل يتفوه بكل ماجرى على لسانه و يساير تمايلاته... والقرآن يحكيه و يحلل مافيه ويبين منشائه الجاهلى، كماقال تعالى:

وقال الذين كفروا للذين آمنوا لوكان خيرا ماسبقونا اليه واذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا افك قديم[2].

١ـ البقرة/١٠.

٢ ـ الأحقاف /١١.

حصيلته: ان هؤلاء الكفرة حسبوا انفسهم سابقين بالخيرات وانه لايفوتهم شيئ منها وانه لوكان هناك خير لادركوه ولماسبقهم اليه غيره واذالم يقتبلوا شيئا ولم يقصدوه فانما هو لاجل نقصه وعدم وجود النفع و الخير فيه، ومن هذا القبيل الايمان بالله الواحد وبما جاء به الرسول الاعظم (ص). ثم انّهم ألفوا على هذا الزعم الزائف قياسا استثنائيا لادليل على التلازم بين مقدمه و تاليه عدا حسبان انهم على شيئ، بيد ان القرآن بيّن عدم التلازم بينهما وأن منشأ هذاالحسبان الجاهلي عدم الاهتداء بما يهدى اليه الله من الطريقة التي هي اقوم ومن الخير الذي يدعو اليه، حيث قال تعالى:

أفمن اسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير ام من اسس بنيانه على شفا جرف هار فانهاربه فى نارجهنم والله لايهدى القوم الظالمين[1].

لذلك يبين سبحانه مزعمهم و يحلله بأن منشأ قولهم بأن الايمان ليس خيرا بل هو دس و زور و فرية ضبطها التاريخ و كذب له قدمة تاريخية و اسباب ماديه انما هو عدم الميزبين الخير والإفك وعدم التشخيص بين الخير والشر وماالى ذلك و سيوافيك مافيه بيان مبادى القياس الجاهلي مما له دخل فى تلفيق الدليل.

ثم انه كما ان البحث المسبق كان حول التقليد المحض و التفكر المغالطي و بيان مباديها و تحليل مناشى الغلط فيمايرجع الى التوحيد، كذلك فيما يرجع الى النبوة بحثٌ ينبغي الايعاز الى نموذج منه لان للنّبي (ص) دعوة و دعوى، حيث انه يدعي رسالته و نزول الوحي عليه وصيرورته نبيا، كما و يدعو الى الله الواحد الذي لاشريك له والى اليوم الاخر الذي يحشرالناس فيه جميعا الى

١- التوبة/١٠٩.

المبدء العدل الحكيم، وهولاء الوثنيون قدقاموا تجاه كل واحد من الدعوى والدعوة ولكن الجهلة منهم قابلوا ذلك بالجمود الفكرى والوقوف على السّنة الجاهلية و حفظها والمتفكرين منهم قابلوه بتلفيق القياس المغالطى الدال على زعمهم التافه بأن من المستحيل ان يصير الانسان رسولا او يستبعدان يكون نبيا بل لو كان للنبوة اصل وللرسالة مبدئ فلابد وان تكون من اوصاف الملائكة وان الصالح لحمل رسالة الله هوالملك السماوى فقط. ولابعد فى ان يكون زمام كلاالفريقين من الجهلة والمتفكرين بيدالمستكبرين منهم، حيث ان هؤلاء الملاء استأجروا ضعفاء العقول، كما و انهم استخدموا الذين جعلوا علمهم جهلا ليوحون الى اوليائهم ليجادلوا الحق ويستكبروا عن قبوله ويصيروا صفّاً واحدا قبال مدعى النبوة بحيث يعسر ميزكل واحد من هذه الطوائف بعضها عن بعض

غيران المباحث القرآنية تفيدنا ان الجدال فى الحق والتعرض له والرد عليه عدا كونه من المكر السياسى والدسائس والحيل العملية، انما كان لامرين (احدهما) حفظ السنة الجاهلية التى ألفوا آبائهم عليها (وثانيها) القاء الشبهة على شكل الاستدلال... والاول هوالتقليد والتوقف عن الحركة والثانى هوالتفكر المغالطى حسبما تقدم بيانها... ولنات بنموذج من ذلك فيما يتصل الى دعوى النبوة فنقول: إن نطاق الجهلة من المشركين فى ذلك كله منهج واحد هو حفظ السنة الموروثة وأنهم وجدوا آبائهم على ذلك ولم يسمعوا ما يخالف ذلك فى ادوارهم الغابرة، كما قال تعالى:

فلما جائهم موسى بآياتنا بينات قالوا ماهذا الاسحر مفترى وما سمعنا بهذا فى آبائنا الاولين. وقال موسى ربى اعلم بمن جاء بالهدى من عنده ومن تكون له عاقبة الدار انه لايفلح الظالمون[1].

---

١ - القصص /٣٦٧.

وكما قال تعالى:

وعجبوا ان جائهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب...
ما سمعنا بهذا فى الملة الاخرة ان هذا الا اختلاق أأنزل عليه الذكر من بيننا بل هم فى شك من ذكرى بل لمايذوقوا عذاب[١].

الى غير ذلك من الآيات التى تدلّنا على ان عمدة سناد غثاء المشركين هو حفظ الجاهلية الموروثة و ابقاء سنتها الداثرة، واما سناد متفكريهم هو ان الرسالة من شئون الملائكة وان الانسان يمتنع اويبعد ان يصير نبيا، كما قال تعالى:

وما منع الناس ان يؤمنوا اذجائهم الهدى الا ان قالوا أبعث الله بشرا رسولا قل لوكان فى الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكارسولا[٢].

فقال الملاء الذين كفروا من قومه ماهذا الابشر مثلكم يريدان يتفضل عليكم ولوشاء الله لانزل ملائكة ماسمعنا بهذا فى آبائنا الاولين ان هو الا رجل به جنة فتربصوا به حتى حين[٣].

فقال الملاء الذين كفروا من قومه مانراك الابشرا مثلنا ومانراك اتبعك الا الذين هم اراذلنا بادئ الراى ومانرى لكم علينا من فضل بل نظنكم كاذبين[٤].

ولئن اطعتم بشرامثلكم انكم اذا لخاسرون[٥].

فقالوا انومن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون[٦].

فقالوا ابشرا منا واحدا نتبعه انا اذالفى ضلال وسُعُر[٧].

---

١ ـ ص /٨، ٧، ٥.
٢ ـ الاسراء /٥ ـ ٩٤.
٣ ـ المؤمنون / ٥ ـ ٢٤.
٤ ـ هود /٢٧.
٥ ـ المؤمنون /٣٤.
٦ ـ المؤمنون /٤٧.
٧ ـ القمر /٢٤.

وما الى ذلك من الآيات الدالة بالظهور او الايعاز على ان البشر بزعم هؤلاء لايصير رسولا وعلى ان من شرائط الرسالة كون الرسول ملكا وعلى ان البشرية تمانع عنه والقدر المتفق عليه بين جهلة الوثنيين وغثائهم وبين متفكريهم و كذابين الملاء المستكبرين منهم هو نفى دعوى النبوة و تكذيب ادعاء الرسالة رغم اختلافهم فى مبادى التكذيب. و بما انهم اتفقوا على انكار داعية الرسالة نسبوا مدعيها الى الجنون والكهانة والسحر والشعر و نسبوا اليه الافتراء والغرض السوء وهو ارادة اخراج الناس من ارضهم التى يعيشون عليها، كماقال تعالى:

قال الملاء من قوم فرعون ان هذا لساحر عليم يريدان يخرجكم من ارضكم فماذا تامرون[1].

وحيث انهم لم يهتدوا بالوحى فتهوّسوا فيه بآراءشتّى و من ذلك قول قريش فى شأن القرآن تارة بانه اسطورة واخرى بانه كهانة وثالثة بانه شعر وهكذا و لعله المراد من قول الله سبحانه:

الذين جعلوا القرآن عضين[2].

اى جعلوا له اعضاء وابعاضا فعضوه و بعضوه بنسب متعددة ولم يستقروا على شيئ اذلامعيار للسب والشتم ولاميزان للزور والايذاء ولكن الله سبحانه قدنزه ساحة الرسالة عن الواث هذه النسب وطهرفناء النبوة عن هذه الحزعبلات. ثم بين ان منشاء استنكار الجهلة انما هو الجمود على التقليد والاحتفاظ للتراث الجاهلى وافاد انه مانع عن اىّ تكامل كما و اوضح ان

---

١ ـ الاعراف /١١٠ ـ ١٠٩.

٢ ـ الحجر/٩١.

منشاء استكبار متفكريهم هوالمغالطة فى القياس والانحراف عن صراط التفكر السليم.

(اما الامر الاول) فهو ان الله قد وصف الانبياء(ع) بالهداية والصفوة والاجتباء والاخلاص والعصمة عن اغواء الشيطان و وسوسته والنزاهة عن الذنب والبرائة عن الشرك واهله والخصومة للخيانة واهلها و ما الى ذلک من الكمالات الوجودية، وقال تعالى:

قال الملاء الذين كفروا من قومه انا لنراک فى سفاهةٍ وانا لنظنک من الكاذبين، قال يا قوم ليس بى سفاهة ولكنى رسول من رب العالمين[١].

كذلک ماأتى الذين من قبلهم من رسول الاقالوا ساحر او مجنون اتواصوا به بل هم قوم طاغون[٢].

فافاد سبحانه و تعالى ان اسناد الجنون و نحوه الى ساحة الرسالة انماهو للطغيان وعدم التفكر ولو انهم كانوا من اهل الدراية والعقل لعلموا ان الرسول فى حفاظ وصيانة عن ذلک كله، حيث قال تعالى:

اولم يتفكروا مابصاحبهم من جنة ان هوالا نذير مبين[٣].

وحيث انهم لم يتاملوا ولم يتدبروا فلا محالة اسندوا امرهم الى مايركنون اليه وهو البأس والبطش والسلطنة وما الى ذلک من ذرايع الطغيان و التواصى بالطغوى، كما قال تعالى:

فتولى بركنه وقال ساحر او مجنون[٤].

ثم انه سبحانه لمابين مدار الهداية والدراية وان الانبياء الذين يدورون

١- الاعراف / ٧ - ٦٦.
٢- الذاريات ٣ - ٥٢.
٣- الاعراف /١٨٤.
٤- الذاريات /٣٩.

مدارهاهم الهداة والدراة فلذا سفّه المعرضين عن ذلك المقطب و حكم بسفاهتهم فى قوله تعالى:

ومن يرغب عن ملة ابراهيم الامن سفه نفسه[١].
الاانهم هم السفهاء ولكن لايعلمون[٢].

(واما الامر الثانى) وهو بيان أن منشاء استنكار الجهلة هوالتقليد و حفظ تراث آبائهم الذين لايهتدون ولايعقلون، فهو كماقال تعالى:

قالوا يا شعيب اصلاتك تامرك ان نترك مايعبد آباؤنا او ان نفعل فى اموالنا مانشاء انك لانت الحليم الرشيد.
قالوا يا شعيب مانفقه كثيرا مماتقول وانا لنراك فينا ضعيفا ولولارهطك لرجمناك وما انت علينا بعزيز[٣].

يعنى تعالى ان الجمود على الاستنان بالسنة الهالكة الموروثة اوجب لهم ان لايفقهوا كثيرا مما يقوله شعيب النبى اذ التقليد ينافى التحقيق حسبما تقدم مرارا فلذلك لم يفقهوا اصل النبوة ولم يقبلوا دعويها منه(ع) ولامن غيره من مدعيها كما ولم يفقهوا دعوتهم الى التوحيد والمعاد ومااليهما...

(واما الامر الثالث) اى بيان ان منشاء استكبار المتفكرين منهم هوالانحراف عن نهج التفكر الصحيح فهوان التفكير السليم عن عيوب المغالطة فى المعارف الالهية لاامكان له من دون ان يكون للانسان معرفة سليمة عن اى نقص، اذالجاهل بنفسه فانه بغيره اجهل، ولذا عدها اصحاب المعرفة مفتاح سائر المعارف وباب تلك المدائن العلمية فلايمكن فتحها والنزوع اليها الا بمعرفة الانسان نفسه.

١- البقرة/١٣٠.
٢- البقرة/١٣.
٣- هود/٨٧ و ٩١.

وبما أن التفكر الوثني استقر في معرفة الانسان على ماديته، وان جميع شئونه مادية وان نفسه كبدنه مادي محكوم بالتطور المنتهي الى الزوال، وان الموت ضلال في الارض ونفاد رأسا، وان الانسان جسم نام ناطق ولاغير،فهو كالشجرينمو ويفنى، لاحيات له اثرموته اصلا، فلذا اشركوافي المبدء الربوبي والعبادي اولا وانكروا النبوة والرسالة من رأس... ثانيا ونفوا المعاد واليوم الآخر ثالثا. وذلك لأن لانسان بعد افتراض ماديته لايقتدر على معرفة ربه فطبيعي له ان لايقتدر على عبادته والاستعانة منه و التوكل عليه والالتجاء اليه، كان هذا سببا لان يركنوا الى الآلهة وجعلها وسائط فيض بينهم وبين الله وشفعاء لهم وان يعبدوها ليقربوهم الى الله الزلفى... وهكذا الانسان المفروض كونه ماديا لايقتدر على مخاطبة الله واستماع كلامه و رؤية جماله بقلبه، اذالقلب حسب افتراضهم انّماهو كالقالب مادي، وعليه فلايتيسّر له تلقي الوحي من ربه بل ان كان هناك وحي وتلق له فانما هو للملك،وان كان في البين رسالة وابلاغ فانما ذلك له ايضا لااللانسان وهكذا الانسان المزعوم كونه ماديا فانه لامجال له لان يحيى بعدالموت والبوار اذالمعدوم لايعاد والزائل لايعود.

ثانياً فهذا المبنى الغلط هوالذي انتج هاتيك الاوهام الغالطة كما وانه الداء العضال الغاشي على قلوب الماديين غشيهم من الجهل والعمى ما غشيهم، ولما كان القرآن نورا مبينا و من اجلى خواصه انارة المواضع المظلمة فلذابدء بتعريف الانسان و تحديد حقيقته المؤلفة من نفس ناطقه مجردة عن المادة مبرأة عن احكامها و من بدن مادي واقع تحت تدبير تلك النفس، اهتم بتعليم ان الانسان كادح الى ربه كدحا فيلاقيه فله ان يعرف ربه على قدر مكنته و ان يمتع اكتناهه وله ان يعبده ولايعبد سواه ويستعينه و يستهديه ويعتمد عليه

ویراجع الیه فی کل شئونه ویتخلص بالتوحید عن حبائل الشرک، وهکذا تفهیم ان الانسان لتجرد روحه و نزاهة ضمیره و صلوح قلبه و طهارة نفسه قابل لان یتلقی الوحی من لدن حکیم علیم ویصل الی مدرج یصارح و یقول: ما کنت اعبد ربا لم اره، وکیف لا والملائکة الذین سجدوا له قابلة لذلک المدرج فللانسان ـ اذا ـ ان یصیر نبیا بلا استحالة و رسولا بلا استبعاد.

وهکذا تبیین ان الموت انتقال من دار الی دار و ان الانسان لایضل بالموت فی الارض وانه لاینعدم حتی یعاد ولاینفنی لکی یعود، بل هو منتقل بالموت من الدنیا الی برزخ یکون روضة من ریاض الجنة او حفرة من حفرالنیران ثم الی الیوم الاخر والقیمة الکبری... فباء ستبانّة هذه المعارف ینجو الانسان عن غائلة انکار الوحی والنبوة والرسالة ویتحررعن إصر سلاسل نفی المعاد وغل انکاره، اعاذنا الله من ایّ تفکر لایصحّحه الوحی الالهی و من ایّ اعتقاد لایمضیه، ومن ایّ خلق لایرتضیه و من ایّ عمل لایصوبه و هدانا الله الی مخّ الحق ولب الصواب واورثنا الکتاب و ورثنا منطق من یستنطق القرآن وهم العترة الطاهرة ـ سلام الله علیهم اجمعین.

ولکل من هذه المسائل بحث یختص بها و بحقلها والمبحوث عنه هنا هوالدائر علی السنة المتفکرین من الوثنیین و الذی قلدهم فیه اذنابهم وهو: ان الانسان لایصیر رسولا الهیّا وان البشریة بما هی بشریة تمانع عن النیل لذلک المدرج الشامخ (اولا) ولان مدعی النبوة بشر کغیره من احاد النوع الانسانی، فلو افترض جواز صیرورة البشر نبیا و غُض النظر عن امتناعه لجاز ذلک لغیر مدعیها ایضا (ثانیا) و ذلک لانهم امثال و حکم الامثال فیما یجوز و فیما لایجوز واحد، فلذاتری ـ ایها القارئ العزیز ـ ان القرآن الکریم ینقل اصل الامتناع عنهم تارة و الاستدلال بالتماثل وانّ حکم الامثال واحد تارة اخری فیجیب

عن الاستدلال للامتناع مرة... وعن الاستدلال باتحاد حكم الامثال اخرى.

و محصل ما افاده القرآن فى امكان الرسالة للبشر بمعناها العام الشامل لضرورتها اذهى اى رسالة الانسان -على الجملة- امر ضرورى لايراب فيه، هوان للانسان روحا مجرداعن المادة لايحويه مكان ولايضبطه زمان ولايتشكل بشكل خاص هندسى ولايحكم عليه مايحكم على المادة و به يصير صالحا لتعلم الاسماء والحقائق من الله سبحانه كماقال تعالى:

وعلم آدم الاسماء كلها[١].

و به يصير معلما للملائكة وينبئهم بالاسماء والحقائق، كما قال تعالى:

يا آدم انبئهم بأسماء هؤلاء[٢].

و به يصير مسجودا للملائكة اجمعين... فهو بذلک كله يليق ويؤهل لان يصير خليفة لله تعالى كماقال:

انى جاعل فى الارض خليفة[٣].

وقال:

فسجد الملائكة كلهم اجمعون...[٤].

الى غير ذلک من الكمالات الوجودية التى لا تنالها المادة ولوازمها، ولايتوصل اليها المقدار و احكامه فاذا جازللملک المتعلم الساجد ان ينال الوحى والرسالة، فللانسان الكامل المعصوم المعلم اياه المسجود له جائز ذلک ايضا بالضرورة، فاذاجاز للانسان ان يصير رسولا الهيا فلامجال للاستبعاد او

---

١ - البقرة / ٣١.
٢ - البقرة / ٣٣.
٣ - البقرة / ٣٠.
٤ - الحجر / ٣٠.

الاستحالة حتى يقول قائلهم: «ابعث الله بشرا رسولا.» اويقول «ولوشاء الله لانزل ملائكة...» اويتفوّه بقوله: «لولاانزل عليه، ملك...»

فالانسان صالح للرسالة الالهية و اماضرورة كون الرسول انسانا وعدم كفاية رسالة الملك فهو امر آخر اوعز اليه القرآن وبينه ايضا. وتوضيحه: ان البحث فى النبوة والرسالة انما كان يتم فى امور... هى كمايلى:

(منها) اثبات ضرورتها و عدم كفاية العقل وحده لهداية المجتمع البشرى (ومنها) اثبات امكان الرسالة للانسان بلاامتناع (ومنها) بيان ضرورة كون الرسول المبعوث الى الناس انسانا يعيش معهم و ياكل ويمشى فى الاسواق كاحد منهم من دون كفاية رسالة الملك (ومنها) امور اخرى لامجال للاشارة اليها هيهنا فضلا عن البحث عنها.

وحيث إن القرآن بحث فى غير مورد عن ضرورة هداية الناس الى سعادتهم الخالدة و تعرض لعدم كفاية العقل فى تأمينها حسبما قررنا فى الرسالة المعمولة فى ذلك وبيّن لزام بعث رسول خارجى مؤيّد للرسول الداخلى -اى العقل- فيما يعلمه و معلم اياه فيما لايعلمه و منبه له فيما ارتكز فى فطرته و مثير لدفائن علومه صارح بان ذلك الرسول الظاهرى المبعوث الى هدايتهم لابد وان يكون هو من يباشرهم ويحتج عليهم و يجادلهم ويكون اسوة لهم وحجة عليهم وملجا للحوادث الواقعة وهاديا لهم فى الحرب والسلم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم ويأخذمن اموالهم صدقة تطهرهم وينظّم امورهم ويُعبّأ عساكرهم... وماالى ذلك مما اسسه الكتاب وفصّله العترة وحصله الثقلان احسن تفصيل.ومن البين ان الرسول الذى هذا شأنه لاامكان لان يكون ملكالايراه الناس و لايباشرهم بل يجب ان يكون انسانا مثلهم لكى يتيسرله ذلك، اذالرسول لابد وان يكون مماثلا للمرسَل اليه فيما اذاكان شأنه الهداية الخارجية لامجرد الالقاء فى الروع

وانزال الوحى فى القلب مثلا، فلذا قال سبحانه:

قل لوكان فى الارض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا[١].

يعنى: ان الملك انما يصلح لرسالة الملائكة لالرسالة الناس ولوكان القاطنون فى الأرض ملائكة لانـاساً لأرسل الله اليهم ملكا رسولا وحيث ان سكنة الأرض الماشين عليهاانـاس ليس الا... فلابدوان يكون الرسول المبعوث اليه منهم، اى لامناص من ان يكون انسانا يعيش معهم ويموت معهم كى يكون اسوة لهم و حجة عليهم، ولو فرض ان الله ارسل ملكا الى الناس فلابد وان يصوره بصورة الرجل ليمكن لهم ان يروه ويسائلوه و يراجعوا اليه، فاذا تصور بضورة الرجل عادالامر جَدَعا ولكانوا يقولون ايضا ابعث الله بشرا رسولا، اذلولم يصور الملك بصورة الانسان المادى لما امكن لهم ان يستمعوا كلامه ويتأسوابه ولو تصور بصورته لأمكن لهم ذلك ولكن كانوا يقولون ايضا (وفى نفس الوقت): «ماهذا الابشر مثلكم يريدان يتفضل عليكم ولوشاء الله لأنزل ملائكة ماسمعنا بهذا فى آبائنا الاولين» والى ماقررناه يشيرقوله سبحانه:

ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا وللبسنا عليهم مايلبسون[٢].

والذى تفيدنا هذه الاية لزوم وضرورة التناسب بين الرسول والمرسل اليه ليحاوره وليصير قدوة له. كما وان من اللازم كونه رجلا لامطلق انسان يعم المرئة، ايضا، كما صارح به قوله تعالى:

وما ارسلنا من قبلك الا رجالانوحى اليهم فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون[٣].

---

١ ـ الاسراء /٩٥.

٢ ـ الانعام /٩.

٣ ـ النحل /٤٣.

و ذلک، لان الرسول لابدو ان يكون مرجعا للحوادث الواقعة من الحرب والسلم... وماالى ذلك من شئون المجتمع الانسانى وهولايتيسر فيما لوكان امرأة يسئلها الناس من وراء حجاب ليكون ازكى لهم، كما تلزمنا الآية به:

واذا سألتموهن متاعا فاسئلوهن من وراء حجاب ذلكم اطهر لقلوبكم وقلوبهن...[١].

فالدين الذى يرى طهارة القلوب فى سؤال المرئة من وراء حجاب لايمكن ان يكون قيّمه و مبلّغه و مسئوله و معلمه المرأة التى لايتمكن الناس من الا تصال والمعاشرة معها فى السر والعلن، وهكذا تفيدنا آيتنا المبحوث عنها امراً آخر هو ان لُبس الحق بالباطل و كتمانه به هوزيغ للقلب و عاهة له، والقرآن انماهو شفاء لمافى الصدور من الجهل والكبروالطمع وحب ماهو رأس كل خطيئة، كما قال سبحانه:

قدجائتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور[٢].

فاذالم يستشف به الذى فى قلبه مرض يمسک الله سبحانه فيضه عنه،فاذا امسک رحمته الخاصة ولم يرسلها اليه ولم يكن هناک مرسل آخر كماقال تعالى و «مايمسک فلا مرسل له» يزداد السقم والزيغ ـ بطبيعته ـ اذالمرض يتزايد لولم يعالج، و هذا هوالموعز بقوله تعالى:

فى قلوبهم مرض فزادهم الله مرضا[٣].

وقوله تعالى:

فلما زاغوا ازاغ الله قلوبهم[٤].

---

١ ـ الاحزاب /٥٣.
٢ ـ يونس /٥٧.
٣ ـ البقرة /١٠.
٤ ـ الصف /٥.

وعليه فلو ابتلى الانسان بلبس الحق بالباطل ولم يعالج مرضه هذا بما هو شفاء لما في الصدور، فانه يسلب الله فيضه الخاص عنه فيدوم لبسه ويستمر، كما قال تعالى: «وللبسنا عليهم ما يلبسون» وهذا اللبس الالهي إنما هو لبس ثانوي و ردّ فعل، لانهم يعذبون به جزاء بما كانوا يلبسون كالاضلال الجزائي كما قال تعالى:

يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا وما يضل به الا الفاسقين[١].

اذ الاضلال البدائي قبيح لا امكان لصدوره عن الله تعالى، والذي يصح سناده اليه انما هو الاضلال الثانوي الذي يكون جزاء وفاقا لعمل الفاسق الضال عن سبيل الله بعد تبيّنها عن سبيل الغي، والهدف هو ان الله الذي هو نور السموات والارض لا يلبس الحق على احد بالباطل ابدا، بل يهدي الكل اليه بالحق ولا يلبسه بشيء اصلا، كما قال:

الحق من ربك فلا تكن من الممترين[٢].

وقال:

قل جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد[٣].

يعني ان الحق انما يتنزل من عند الله لا من عند غيره فاذا جاء الحق فلا مجال معه للباطل باطلاق كلمته لا الباطل الذي كان له سبق وجود يقدر على العود ولا الباطل الغير المستبق به يصلح للحدوث كما مرمسبقا، فلا امكان لأن يلبس الله الحق بالباطل، فمعنى قوله تعالى: «وللبسنا عليهم ما يلبسون»

١ـ البقرة/٢٦.

٢ـ آل عمران/٦٠.

٣ـ سبأ/٤٩.

هوماتقرر...وعلى ضوء ذلك بكله يتضح امكان الرسالة الالهية للبشر بلامحذور فيه وبه يدعم توهم المتفكرين من المشركين...

واما محصل ماافاد القرآن الحكيم فى دفع شبهة التمسك بقانون اتحاد الامثال فهوان لوجود النوع الانسانى مدارج بعضها على بعض ادناها كالحجارة اواشد قسوة وتنزلا و اعلاها كالمرآة الصافية التى لا تكذب مارأته و بينهما مدارج شتى وليس كل احدٍ صالحا لتحمل اعباء الرسالة التى لايعلم موضعها و موطنها الا الله، كما قال هوتعالى:

الله اعلم حيث يجعل رسالته[1].

وهؤلاء المتشبثون بقانون التماثل لاستنادهم فى معرفة الامور الى الحس والمادة

قالوا ماهذا الابشر مثلكم ياكل مما تاكلون منه ويشرب مماتشربون[2].

فقالوابنكيرمنهم:

أنؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون[3].

لكن القرآن المؤسّس علومه على ان معيار معرفة الاشياء هوالعقل و الوحى دون الحس وأن الموجود اعم من المادة والمجرد عنها، افادنا -بصورة حيّة- بأن التماثل فى بعض الامور لايكفى فى اتحاد الحكم مالم يستوعب المثلية جميعها، وحيث ان للنبي (ص) قلبا طاهرا عن دنس الطبيعة و رجسها و منزها عن رين المادة و رجزها و سليما عن حب الدنيا و زبارجها و مبرأ عن ضيق نشأة الشهادة

---

١ - الانعام /١٢٤.

٢ - المؤمنون /٣٣.

٣ - المؤمنون /٤٧.

وزيغها... فهو صالح لان يوحى اليه و يتلقاه من لدن حكيم خبير، فلا تماثل بين من شرح الله صدره و بين من ختم على قلبه، ولا تشابه بين من لايزيغ بصره و لايطغى و بين من ران على قلبه ما كان يكسب فلايجد من لايهمه الا نفسه البهيمية ما يجد من جاهد نفسه و هواه كما كان يجاهد خصمه و عدوه.

والى ماذكر من اختصاص التماثل بين النبى (ص) و بين هؤلاء ببعض الجهات دون بعضها الآخر يتجه قوله تعالى:

وقالوا قلوبنا فى اكنة مما تدعونا اليه وفى اذاننا وقر ومن بيننا وبينك حجاب فاعمل اننا عاملون، قل انما انا بشر مثلكم يوحى الى انما الهكم اله واحد فاستقيموا اليه واستغفروه[1].

اذالمحجوب الذى قلبه فى كنان وفى اذنه وقر كيف يسع له أن يكون مثلا لمن خرقت ابصار قلبه الحجب النورية فضلا عن الحجب الظلمانية و وصل الى معدن العظمة وصارت روحه معلقة بعز قدس الله سبحانة فاذالم يكن هناك تماثل فى الدرجة الوجودية فلامجال معه لاتحاد الأثر، ومآل هذا التحليل الى منع الصغرى وان التماثل بين النبى (ص) و غيره ـ اى التماثل التام ـ ممنوع، وعليه فمع عدم التماثل لامجال ـ نهائيا ـ للتمسك بالكبرى الناطقة بوحدة حكم الامثال اذالمثل دليل على شبهه[2] لاعلى غيره.

تنبيه:

ان فى المسئلة مقصدين لابد وان يعتنى بشأنهما (الاول) ان سائرالناس ليسوا امثالا للانبياء حتى يوحى اليهم ما اوحى الى هولاء الانبياء وينزل اليهم

١ـ فصلت / ٦ ـ ٥.

٢ـ نهج البلاغة، الخطبة ١٥٣.

ما انزل على هولاء. (والثانى) هوان الانبياء من ناحية فقرهم الوجودى وانه لايمكن ان يصدر منهم شيئ بالاستقلال وان جميع مايأتون به فهو مساند الى إذن الله سبحانه وانهم لايتملكون لانفسهم موتا ولا حياة ولانفعا ولاضرا... امثال لسائر الناس فالم ياذن الله بشئ لماقدروا على الاتيان به لان الانبياء كالامم محكومون بالفقر ذاتا وصفة وفعلا، فلذا لايصح للناس اقتراح آية رغم شهيتهم المتزايد لها كمالا يمكن للانبياء الاتيان بها مالم يأذن الله سبحانه ولعلّ من المكن استنباط هذين المقصدين من قوله تعالى:

قالت رسلهم أفى الله شك فاطر السموات والارض يدعوكم ليغفر لكم من ذنوبكم ويؤخر كم الى اجل مسمى قالوا ان انتم الابشر مثلنا تريدون ان تصدونا عما كان يعبد آباونا فأتونا بسلطان مبين قالت لهم رسلهم ان نحن الابشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده وما كان لنا ان ناتيكم بسلطان الا باذن الله وعلى الله فليتوكل المومنون[1].

اذالمستفاد من قولهم للانبياء ان أنتم الابشر مثلنا هوادعاء التماثل وعدم المزيّة الموهلة لهولاء الانبياء كما ان الذى يفيدنا قولهم: تريدون ان تصدونا عما كان يعبد آبائنا، هو لزوم حفظ السنة الموروثة والرجوع الى الاموات ابتدأء او استدامة الرجوع التقليدى اليهم بقاء، والمستفاد من قولهم فاتونا بسلطان مبين هو اقتراح الاية حسب ما يشاؤن واما قول الانبياء فى الجواب: ان نحن الابشر مثلكم ولكن الله يمن على من يشاء من عباده، فهو يعطينا ان التماثل على الجملة -اى فى بعض الوسامات والمدارج الانسانية- حق متفق عليه، بيد الامتنان الالهى اوجب لبعض ممن يشاء من عباده درجة فائقة من الانسانية بها يمتاز الانبياء عن سائر الناس فلا تماثل -عندئذ- فى البين كى يتم دعوى المماثلة من

---

١ - ابراهيم /١١ - ١٠.

عند المشركين، و اما الذى يعطى قولهم فى الجواب: وماكان لنا ان ناتيكم بسلطان الا باذن الله... هو أن الانسان وإن بلغ مابلغ وامتاز عن ابناء نوعه باىّ امتياز ومؤهل، فانه- فى نفس الوقت- ورغم كل ذلك لايشذ عن فقره الوجودى ولايلج باب الغنى المختص بالله القائل:

يا ايهاالناس انتم الفقراء الى الله والله هوالغنى الحميد[1].

فهولاء الانبياء العظام فى استعانتهم بالله و افتقارهم اليه و توقف جميع اعمالهم على اذنه امثال للناس ولكن الله ياذن لهم حسب مايشاء دون غيرهم فلذا يتيسر للنبى ان يقول...

وابرى ألاكمه وألابرص واحيى الموتى باذن الله[2].

دون غيره من آحاد الناس. ومن هذا الاذن الخاص ينتزع الاعجاز ويصح معه التحدى و به تثبت النبوة لاجله تتم الحجة، و هذا التحليل يعطينا حقيقة اخرى، هى: تبيين موضع المغالطة من متفكرى المشركين اوغيرهم ممن يقترح المعجزة بماتشتهى انفسهم المسوّلة والامّارة، و كذابيان سرقول الانبياء تجاه اقتراح هولاء: ان نحن الابشر مثلكم، وهكذا سرقوله تعالى:...

وماكان لرسول ان ياتى بآية الا باذن الله لكل اجل كتاب[3].

اذالممكن سواء أكان نبيا اوغيره و سواء اكان ملكا او انسانا فانه مفتقرالى الله فى اصل وجوده و مفتاق اليه فى ايجاده لان الايجاد كالوجود ربط محض الى ايجاده تعالى والالزم التفويض الذى هو اسوء حالا من الجبرالسّئ

١ـ فاطر/١٥.

٢ ـ آل عمران /٤٩.

٣ـ الرعد/٣٨.

الممتنع عقلا والممنوع نقلا ومن هنا ينجلي معنى قوله تعالى في تعريف الملائكة:

بل عباد مكرومون، لايسبقونه بالقول وهم بامره يعملون، يعلم مابين ايديهم وما خلفهم ولايشفعون الالمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون[1].

كما و يظهر ان الملك كالانسان عبد داخر فلايصح الالتجاء اليه بلااذن من الله الذى حرم عبادة مَن دونه ومنع عن اتخاذ غيره نداً له تعالى وبذلك يلوح ويبان موضع الغلط الفكرى لمن يتخذ الملائكة اربابا لهم بالاستقلال فتحصّل أنّ ارساط الناس ليسوا امثالاً للانبياء في الكمال الوجودى وان كان الانبياء امثالاً لهم في الفقر الذاتى تنوا فلذا لامجال لقانون التماثل في كمال الرسالة وان كان له مجال في احتياج المرسلين الى الاذن الالهى.

تبصرة:

إن المستفاد من القرآن هو ان الوثنيين كانوا معتقدين بالملائكة انه فوق الانسان وانه صالح لتلقّى الوحى والرسالة من الله دون الانسان وان له تقربا خاصا اليه تعالى: ليس للانسان ذلك كما وانهم كانوا يعتقدون انه ولدالله سبحانه، ولوانهم كانوا معتقدين بانه مماثل الانسان وله تركيب جسمانى مادى لما عبدوه،و لما حكموا بصلاحه و تأهّله لتلقى الرسالة دون الانسان و لما اعتقدوا بشفاعته،اما القرآن الكريم فينفى بعض هذه الامور باطلاقه كربوبيته الملك ومعبوديته وولديته لله سبحانه وينفى بعضها الاخر مقيّدا بلااطلاق، كشفاعة الملك حيث انه نفى استقلاله فيها واثبت له ذلك مأذونا...

ولم يتعرض لكونه فوق الانسان المادى المحسوس كما ولم ينفه، بل قال بان

١- الانبياء ٢٨ - ٢٦.

الانسان مالم تتبدل نشأة شهادته الى نشاة الغيب لما امكن له رؤية الملك، كما قال تعالى:

وقال الذين لايرجون لقائنا لولا انزل علينا الملائكة اونرى ربنا لقد استكبروا فى انفسهم وعتو عتوا كبيرا يوم يرون الملائكة لابشرى يومئذ للمجرمين ويقولون حجرا محجورا[1].

يعنى ان رؤية الله سبحانه مستحيلة سواء كانت فى عالم الشهادة والحس اوفى البرزخ وعالم التمثل، اذلاصورة مثالية للحق المحض المجرد عن اىّ قيد عقلى فضلا عن قيد وهمى او خيالى. واما رؤية الملائكة فهى وان لم تتمكن فى نشأة الشهادة بالحس المادى، الا ان لها امكانا فى نشاة البرزخ والمثال فلذا يرونهم ذلك اليوم ولكن لابشرى لهم ـعندئذـ كما قال سبحانه:

ولوترى اذيتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وادبارهم وذوقوا عذاب الحريق[2].

كان هذا هوالسّبب لأن يقول هولاء الكفار المضروب وجوههم بعدّة من الملائكة و ادبارهم بعدّة اخرى منهم: «حجرا محجورا»، اى نحتجر بحجركم ونلوذ بمعاذكم، صونا عن الضرب والتعذيب. وزبدة المخض: ان معتقَد الوثنيين فى الملائكة هو أنهم فوق البشر وانهم صالحون لمالايصلح له الانسان و ما الى ذلك، و نفى القرآن بعضا مما كانوا يعتقدون فيهم ولم ينف تجردهم عن الجسم المادى ونحو ذلك بل امضاه بعدم امكان رؤيتهم فى نشاة الحس لان شهودهم يتوقف على تبدل احس المادى بالبرزخ المثالى او تغير الدنيا بالاخرة حتى يتجلى للانسان ملك الموت ـمثلاًـ كما قال مولينا السجاد(ع):

---

١ ـ الفرقان / ٢ ـ ٢١؛ ٢ ـ الانفال / ٥٠.

...وتجلى ملك الموت لقبضها من حجب الغيوب[١].

ايضاحٌ :

قد مرمعنا: ان التقليد انجماد فكرى مانع عن الرقى الى ذرى التحقيق المؤسس عليه المعارف الحقة وان التحجر الذهنى بضاعة الجهلة الذين شعارهم هو: «انا وجدنا آبائنا على امة و انا على آثارهم مقتدون» ودثارهم هو: «ماسمعنا بهذا فى آبائنا الاولين». وان القرآن الحكيم وضع عن الانسان إصر القلادة والغل وهداه الى العقل البرهانى اوالنقل القطعى بلا تطارد بينهما بل مع التلازم والتعانق اذالبرهان العقلى يصدق لمابين يديه ولماهو فوقه وامامه من الوحى القطعى. ولان الوحى القطعى -ايضا- مصدق لمابين يديه من البرهان العقلى و سبحان الوحى القطعى عن طرد البرهان العقلى وحاشا العقل الصراح والبرهان المنزه عن شائبة المغالطة عن التمرد تجاه الوحى وعدم تخضعه لديه و عدم اقراره بماجاء به والالتجاء اليه والثقة عليه لانه بالذات -اى العقل البرهانى- قائم على ضرورة الوحى وجودا وعلى عصمته عن اىّ وهن وسوء وصيانته عن اىّ هون وحزازه وطهارته عن اى لوث وقذارة و نزاهة عن اىّ جهل و خطيئة وبرائته عن اىّ عيب و نقص وصفاً... فمعه لايمكن ان لايتعبد بالوحى القطعى ولايؤمن به والالزم ان لايعتقد بنفسه وهذا هو محذور الجمع بين النقيضين الممتنع بالضرورة.

ثم ان الانسان المتفكر على منهج الصواب اذاقام عنده الحق امابالبرهان او بالوحى فانه يعتقد به واذا كان آبائه معتقدين بذلك ايضا فهو يبتهج ويشتد

١- الصحيفة السجادية، دعاء ختم القرآن.

عزمه به، وهذا هوالوراثة الكريمة لاالتقليد الدائر مدار القائل دون المقول، اذالتقليد انما هوالركون الى شخص معين واخذ مايصدر عنه بالسمع والقبول بلا عرض له على العقل اوالوحى واما الوراثة الكريمة فهى طمأ نينة إلى الحق الذى نطق به العقل اودلل عليه الوحى، واتفق ان المتقدمين ايضا كانوا يعتقدون بذلك. ومن هذا القبيل توصية الانبياء ابنائهم بالاسلام وكذا إتباع ابنائهم لهم وابتهاجهم بهذا الا تباع. وهكذا امرالله سبحانه رسوله باتباع هداهم.

(اما الاول) فكقوله تعالى:

اذقال له ربه اسلم قال اسلمت لرب العالمين ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يابنى ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الاوانتم مسلمون، ام كنتم شهداء اذحضر يعقوب الموت اذقال لبنيه ماتعبدون من بعدى قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحق الها واحدا ونحن له مسلمون[1].

لان التواصى بالحق هو غير الايصاء بالتقليد والتحجر الفكرى. فابراهيم (ع) وكذا يعقوب (ع) قد اوصى بنيه بالحق.

(واما الثانى) فكقوله تعالى:

إنى تركت ملة قوم لايومنون بالله وهم بالاخرة هم كافرون. واتبعت ملة آبائى ابراهيم واسحق ويعقوب ماكان لنا ان نشرك بالله من شيئ ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ولكن اكثر الناس لايشكرون[2].

لان اتباع الحق بعد انجلائه ليس هوالتقليد وان صادف انه كان دينا للاباء، اذالمتبع هناك هوالحق لامقال الاب والجد او السنّة الموروثة و ماأليها، ولذا ذكر برهان التوحيد ونفى الشرك فى قوله:... ماكان لنا ان نشرك بالله

---

١ ـ البقرة /١٣٣ ـ ١٣١.

٢ ـ يوسف / ٨ ـ ٣٧.

من شئ وذلک لان الله الذی لاحد لربوبیته، لامعنی لأن یکون شیئ دونه ربا لشیئ أصلا.

(واما الثالث) فکقوله تعالی:

اولئک الذین هدی الله فبهداهم اقتده قل لااسئلکم علیه اجرا ان هو الاذکری للعالمین[1].

لظهور الآیة فی انّ الله امررسوله باقتداء هدایة الانبیاء الماضیین لاباقتدائهم بأن یصیر تابعا لاشخاصهم بما هم انبیاء، بل ان یکون تابعا للحق الذی یکون هولاء ایضا اتباعا له وذلک لأن الذی اوحی الیهم و انزل علیهم و تجلی لهم واستقر فی قلوبهم تحقق ذلک کله بالنسبة الی رسول الله (ص) ایضا ویشهد له قوله تعالی:

انا اوحینا الیک کما اوحینا الی نوح والنبیین من بعده واوحینا الی ابراهیم واسمعیل واسحق ویعقوب والاسباط وعیسی وایوب ویونس وهرون وسلیمان وآتیناداود زبورا[2].

فالمحصّل **(اولا)** ان مجرد توافق عقیدة شخص لمعتقد قوم تقدموا علیه لیس تقلیدا واتباعا لهم بعدان کان معیار الاعتقاد عنده هوالحق المبرهن علیه بالعقل اوالناطق به الوحی.

(ثانیا) ان الفرق بین قول یوسف: «واتبعت ملة آبائی»[3] وبین قول هولاء الجهلة من المشرکین: «انا وجدنا آبائنا علی امة وانا علی آثارهم مقتدون.» هوالفرق بین الحق الحقیق بالتصدیق وبین التقلید الباطل الذی یلزم الا تقاء عنه.

---

١ ـ الانعام /٩٠.

٢ ـ النساء /١٦٣.

٣ ـ یوسف /٣٨.

(ثالثا) ان الحق يوخذ به فى ايّ زمان و مكان و من ايّ ناطق و كاتب، كماقال مولينا الرضا(ع):

الحكمة ضالة المؤمن فاطلبوها ولوعند المشرك تكونوا احق بها واهلها[١].

وهذا هوالذى يقال فيه: «انظر الى ماقال ولا تنظر الى من قال.»

(رابعا) ان الاتباع والانقياد لايسوغ الافى الفروع دون الاصول.

(خامسا) ان التقليد لابد وان ينتهى الى التحقيق حتى يثبت ان المتبوع معصوم او منصوب من قبله بالنصب الخاص اوالعام. وهذا هوالذى ورد فيه عن ابى جعفر (عليهما السلام) فى قول الله عزوجل:

فلينظر الانسان الى طعامه[٢]. **قال(ع): علمه الذى ياخذه عمن ياخذه**[٣].

اذالعلم البرهانى طعام طيب مهيّأ من مادة بديهية معدودة من علوم متعارفة و من صورة بديهة الانتاج صورها اياها العقل السليم عن آفة الغلط وعاهة الخيال ولايعتبر فيه ازيد من الصدق الضرورى كالقائل المعين اوالكاتب المعلوم و نحوذلك. اذلا تاثير لفكره ولاللفظه ولالعمله ولالكتابته ولالشان من شئونه. لذلك فانه يستوى فيه البر والفاجر كالعلم الرياضى وما اليه و هذا على خلاف مالمبدئه الفاعلى تاثير فيه بنحو من الانحاء، اذلابد هناك ان يحرز كونه صالحا لان يركن اليه لعصمة اونيابته عن المعصوم نيابة خاصة به او عامة له ولغيره.

(سادسا) ان الحجر الاساسى فى معرفة المبدء والمعاد والوحى والنبوة هو

١ـ امالى الطوسى.

٢ـ عبس /٢٤.

٣ـ الكافى، ج ١، باب النوادر من كتاب فضل العلم.

معرفة الانسان نفسه كما قال مولينا الرضا (ع):

افضل العقل معرفة الانسان نفسه[١].

وقال (ع):

صديق كل امرء عقله و عدوه جهله[٢].

وقال (ع):

صديق الجاهل فى تعب[٣].

(سابعا) ان مقطب المعرفة ومعيارها هو العقل دون الحس، كما قال مولينا الرضا (ع):

...واعلم ان كل ماوجدتك الحواس فهومعنى مدرك للحواس وكل حاسة تدل على ما جعل الله عزوجل لها فى ادراكها والفهم من القلب بجميع (يجمع) ذلك كله[٤].

(ثامنا) ان التفكر انما هو بتحقيق الاصول اولاً و تفريع الفروع واستنباطها منها ثانيا كما قال مولينا الرضا (ع):

...فاعقل ذلك وابن عليه ماعلمت صوابا.

(وتاسعا) ان معرفة الله ميسورة على قدر الطوق البشرى وانه لامجال فيها للتفريط بان يطلبه الانسان بالحس ولااللافراط بان يشتهى احاطته بالقلب،

١- البحار ٣٥٥/٧٨.

٢- مسند الامام الرضا ٣/١.

٣- التوحيد، ص ٤٣٨.

٤- البحار ٣٥٥/٧٨.

كما قال مولينا الرضا(ع):

...ولكن يدل على الله عزوجل بصفاته ويدرك باسمائه ويستدل عليه بخلقه حتى لايحتاج فى ذلك الطالب المرتاد الى رؤية عين ولااستماع اذن ولالمس كف ولااحاطة بقلب فلوكانت صفاته جل ثناؤه لا تدل عليه واسماؤه لا تدعواليه والمعلمة من الخلق لا تدركه لمعناه كانت العبادة من الخلق لاسمائه وصفاته دون معناه فلولا ان ذلك كذلك لكان المعبود الموحد غيرالله تعالى لان صفاته واسمائه غيره[١].

وقال (ع) - ايضا:

...والاسماء كلهاتدل على الكمال والوجود ولا تدل على الاحاطة كما لا تدل على الحدود التى هى التربيع والتثليث والتسديس لان الله عزوجل وتقدس تدرك معرفته بالصفات والاسماء ولا تدرك بالتحديد بالطول والعرض والقلة والكثرة واللون والوزن وما اشبه ذلك وليس يحل بالله جل وتقدس شيئ من ذلك حتى يعرفه خلقه بمعرفتهم انفسهم بالضرورة التى ذكرنا[٢].

وقال (ع) ايضا فى جواب سؤال عمران عن الحكيم (اى الله سبحانه)

فى اى شيئ هووهل يحيط به شيئ وهل يتحول من شيئ الى شيئ اوبه حاجة الى شيئ: اخبرك يا عمران فاعقل ماسألت عنه فانه من اغمض مايرد على المخلوقين فى مسائلهم وليس يفهمه المتفاوت عقله العازب علمه ولايعجز عن فهمه اولوالعقل المنصفون[٣].

فالعقل اذا انصف ولم يتلوث بلوث التفريط ولم يتدنس بدنس الافراط ولم يتقذر بقذر المغالطة فى مادة القياس الفكرى ولافى صورته ولم يفته بعض

---

١ - التوحيد، ص٤٣٧.

٢ - التوحيد، ص ٤٣٧.

٣- التوحيد، ص ٤٣٩.

المقدمات عن النتائج ولم يغفل ولم يعزب علمه عن مثقال ذرة مما يوثرفى الاستدلال فانه قدير على فهم اغمض المعارف وهو فهم التوحيدوغناءالله عماسواه وافتقاره اليه سبحانه وهذا هوالحث الى البرهان العقلى والترهيب عن القياس الوهمى الذى انتجه التدبرفى القرآن، و قدصدقه مستنطقه ـ وهوالانسان الكامل المعصوم (ص) ـ كما قال (ع):

...و بالعقول يعتقدالتصديق بالله[1].

وقال (ع) ايضا:

...فكل مافى الخلق لايوجد فى خالقه وكل مايمكن فيه يمتنع فى صانعه[2].

اذ بقوله (ع) و بالعقول... الخ. حثّ و رغّب الى البرهان و بقوله (ع) فكل مايوجد... الخ حذر عن المغالطة.

المقام الثانى: فى موقف الشهود القلبى تجاه القرآن الحكيم

العلم بالشئ قديكون بلا وساطة اىّ امر آخر وقد يكون بوساطته. والاول هوالعلم الحضورى الذى لاواسطة هناك بين المعلوم والعالم والثانى هوالعلم الحصولى الذى يكون هو بنفسه واسطابين المعلوم الخارجى و بين العالم وان لم يكن بين ذلك العلم وبين العالم واسطة والالتسلسل الامر الى غير النهاية ولذا يكون كل علم حصولى حضوريا معلوما بالذات ولاعلم ازيدمنها اذلا معلوم عدا معلومها، وعليه: فالمعلوم اما وجود واما ماهية او مافى حكمها وهو المفهوم. والاول لايعلم الابالحضور ولا يمكن نيله الا بشهوده فى موطنه وهوالخارج

---

۱ ـ عيون الاخبار ۱/۱۴۹.

۲ ـ عيون الاخبار ۱/۱۴۹.

لامتناع تحققه فى الذهن والّا لزم انقلاب الخارج ذهناً.

واما الثانى: فهو من حيث انه معلوم بالذات فى الذهن و موجود لدى النفس و مشهود لها علم حضورى، ومن حيث انه حاك ماورائه و وسيلة لنيل النفس الى الخارج المحكى علم حصولى. وهذا العلم الحصولى ينقسم الى التصور والتصديق ثم خصوص التصديق منه ينقسم الى الصواب والخطاء وللميز بينها ميزان متكفل لبيان المواد الحقة المنزهة عن الخطا ولبيان الصور المنتجة المبرأة عن العقم. وقد تقدم فى المقام الأول ان الميزان القسط الذى انزله الله بالحق على قلب من هو بنفسه لسان صدق و ميزان حق هو المعيار الوحيد للميز بين القياس البرهانى الواجد لشرائط المادة وآداب الصورة و بين القياس المغالطى الفاقد لبعضها اولكلها.

والمبحوث عنه فى هذا المقام هو تشريح الشهود القلبى والعلم الحضورى و تبيين مورده والتدليل على تحققه خارجا والتحريض الى تحصيله والهداية إلى ماهو الشهود القلبى الذى يهشد القلب فيه للذى له تحقق خارجى الذى هو تمثل شيطانى او نفسانى لاوجود له فى الخارج عن صقع النفس ولااعتداد به مالم يكن له مبدء رحمانى او ملكى.

والذى ينبغى أن يتنبه له هو ان عناية القرآن بهذا القسم من العلم اشد من عنايته بالقسم الاول وان كان تعرضه للقسم الاول ودعوته اليه و تبيين معارفه فى كسوته واطاره اكثر، والسر هو مامر مسبقا فى مقدمة الجنة الرابعة من الميز بين هذين القسمين من العلم، (مضافا) الى ان القرآن ـ نفسه ـ علم حضورى و وحى شهودى لاحجاب هناك بين قلب النبى و بين الواقع المشهود. لاحجاب صورة ذهنية ترى الموجود الخارجى ولاغطاء مفهوم ذهنى يحكيه ولايمكن معرفة هذا القسم من العلم الا بنيله فى الجملة لان العلم الحصولى قاصر عن بيان حقيقته

لأنه من وراء سحاب الصورة او من وراء غمام المفهوم. وكل واحدمنهما وان كان حاكيا لما ورائه إلاان المشهود هوغير المحجوب وان المعلوم بلاواسطة هوغيرالمعلوم معها، فلذا كان اعتداد القرآن وعنايته بهذاالقسم من العلم اشدّ من اعتنائه بالقسم الحصولى منه.

ثم ان العلم الحصولى بالموجود الخارجى وان كان بالنسبة الى العلم الحضورى حجابا الّاانه مقيسا إلى الجهل بالواقع نور و شهود، وكذا العالم بالواقع من وراء حجاب البرهان وان كان محجوبا واعمى بالقياس الى العالم به بلا وساطة المفهوم والشاهد له بلاغطاء الصورة الذهنية، الاانه شاهد وبصير بالقياس الى الجاهل فلذلك نلاحظ القرآن الحكيم يوسم المؤمن بالبصير والسميع ويصف الكافر بالاعمى والاصم سواء أكان المومن آمن بالاصول شهودا او آمن بها برهانا، بل الثانى اكثر لصعوبة الاول و عسره والدليل على إطلاق النور على كلاالقسمين قوله تعالى:

قل هل يستوى الاعمى والبصير افلا تتفكرون[1]

وقال سبحانه:

قد جائكم بصائر من ربكم فمن ابصر فلنفسه ومن عمى فعليها وما انا عليكم بحفيظ[2]

وقال تعالى:

مثل الفريقين كالاعمى والاصم والبصير والسميع هل يستويان مثلا افلا تذكرون[3]

---

١ ـ الانعام /٥٠.

٢ ـ الانعام /١٠٤.

٣ ـ هود/ ٢٤.

والسر فى كون العلم بصيرة هوانه بنفسه نور و حضور وان كان مقيسا الى الخارج المحكى حصولا فلا اختصاص للبصيرة والشهود وماالى ذلک بالعلم الشهودى بعد ما كان الغالب فى المومنين هوالايمان بما جاء به الوحى بعدالعلم به برهانا، ويشهدله قوله سبحانه بعد ما اقام البرهان على التوحيد والترغيب اليه والتحذير عنه.

افمن يعلم انما انزل اليک من ربک الحق كمن هواعمى انما يتذكر اولوالالباب[1].

اذالعلم بكون مانزل الى الرسول (ص) حقا اعم من الحصولى والحضورى، بل الاول هوالدارج والمألوف بين الناس فمن علم حصولا بالبرهان ان الوحى حق وآمن به فهو على نورمن ربه وهو بصير و من جهل به ولم يعلمه لابالبرهان ولابالعيان فهو اعمى وقدبين الله سبحانه ان هذاالعمى انها هو وصف القلب لاالحسن البَصرى كما قال تعالى:

افلم يسيروا فى الارض لهم قلوب يعقلون بها اوآذان يسمعون بها فانها لا تعمى الابصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور[2].

فالنفس الانسانية التى من شانها ان تدرک الحقائق حصولا او حضورا اذا عميت عليها ولم تدركها صارت اعمى واصم ولاخصوصية لذلک بالشهود القلبى والعلم الحضورى بل يعّمه والعلم الحصولى الدارج، وان كان شموله للشهود القلبى و ظهوره فيه اقرب واتم من شموله للعلم الحصولى. والى هذين القسمين من العلم قد اشار مولينا الرضا(ع) فى قوله(ع):... «ولكن القوم

١- الرعد/١٩.

٢- الحج /٤٦.

تاهوا وعموا وصمواعن الحق، من حیث لایعلمون» وذلک قوله عزوجل: «ومن کان فی هذه اعمی فهوفی الآخرة اعمی واضل سبیلا. یعنی اعمی عن الحقائق الموجودة»[1]. لان قوله(ع):«یعنی اعمی عن الحقائق الموجودة.» عام بالنسبة الی قسمی العلم من الحصولی البرهانی و الحضوری الشهودی، کما وان قوله(ع): «وقد علم ذووا الالباب ان الاستدلال علی ماهناک لایکون الابماههنا...»[2] خاص بالنسبة الی الحصولی بالبرهان ولکن لم یعبّرفیه بالعمی والبصر.

والغرض ان العلم البرهانی وان کان حجابا مقیسا الی الشهود القلبی ولکنه نور و حضور فی نفسه، فالعالم به بصیروالجاهل به اعمی. لکن الکلام هیهنا فی العلم الحضوری وکونه نورا وکون العالم به شاهدا و بصیرا و کون الجاهل به غائبا واعمی وما الی ذلک من المباحث الهامة الراجعة الیه.

وقد تبین فی ثنایا المقال حقیقة العلم الحضوری واللازم هنابیان تحققه خارجا وإمکان نیله کذلک ومایترتب علیه من الآثار الحسنة المستفادة من کلمة مولینا الرضا(ع) فنقول:

اما تحقق العلم الشهودی خارجا فهو ان کل واحد منا یدرک ذاته ویشهد نفسه بلاحجاب صورة ذهنیة ولاغطاء مفهوم.

و ذلک لان کل مفهوم ذهنی حتی مفهوم «انا» فانه بالحمل الشایع اجنبی عن الذات و خارج عنها ویحمل علیه انه «هو» لا انا لأن ذات کِل واحد

---

۱ ـ التوحید، ص ۴۳۸.

۲ ـ التوحید، ص ۴۳۸.

منا موجود خارجي منشأ لغير واحد من الا ثار الخارجيه وذلك المفهوم اىّ مفهوم كان حتى مفهوم «انا» امر ذهنى لايترتب عليه الأ ثر.

ولأن كل مفهوم ذهنى حتى مفهوم «انا» امركلى صالح للانطباق على كثيرين وذات كل واحد منا موجود عينى ممتنع الانطباق على كثيرين فلايكون شى من المفاهيم الذهنية هوعين ذاتنا فلايكون العلم بها هوالعلم بذاتنا فلايكون العلم بذاتنا علماً حصوليا بل يكون العلم بها علما شهوديا لاحجاب هناك بين العالم والمعلوم العينى ولا مجال هناك لإنقسام المعلوم الى مابالذات وما بالعرض كما كان له مجال فى العلم الحصولى.

والمحصل ان البرهان والوجدان متطابقين على ان علم النفس بذاتها شهودى وان العلم هوعين المعلوم العينى، كما و انه عين العالم ايضا وانه لاحجاب هناك اصلا وحيث ان العلم عين النفس الانسانية والنفوس الانسانية معادن كمعادن الذهب والفضة ولها مدارج شتى، مضافا الى كون كل نفس بمنزلة معدن خاص يكون بين مراتب تكونه و بلوغه حدالنصاب و خروجه عن بطن الارض الى ظهرها و تصفية جوهره عن ترابه المصاحب له واذابته للتخليص و صياغته بصيغ خاصة تليق لان تزين به... لذلك كان فيها وبينها تفاوت وتمايز، فالعلم الشهودى له مدارج متعددة وكل نفس يكون وجودها اقوى يكون علمها الحضورى بذاتها اشد وكل نفس يكون وجودها اضعف يكون علمها الحضورى كذلك حتى ينتهى الى حدهو فى غاية الضعف يخالطه الجهل ويشوبه النسيان ويمتزجه الذهول، كما يأتى. وقد تبين فى الكلام ان علم النفس بصورها الذهنية ايضا حضورى وان كان علمها بما تحكيه تلك الصور حصوليا اذلوكان علمها بها حصوليا والعلم الحصولى هوالصورة الحاصلة من الشئ لدى النفس يلزم ان يكون علم النفس لتلك الصور بوساطة علمها

بصور ذهنية اخرى فيذهب الامر الى مالانهاية... وهو محال، وعليه فعلم النفس بها حضورى كما يساعده الوجدان. ومن هذا القبيل ايضا علم النفس بقواها المدركة والمحركة التى تستخدمها بعدالعلم بهالجريان ما تقدم من توافق البرهان والعيان على كون العلم بذلک حضوريا. فزبدة المخض: ان علم النفس بذاتها و بقواها و بشئونها الذاتية حضورى يكون الموجود الخارجى بوجوده العينى مشهودا للعالِم كما ان علم اى موجود مجرد عن المادة بذاته حضورى.

هذا هوالقول الاجمالى فى تحقق العلم الشهودى فى الخارج وامكان نيله -على الجملة- بالنزاهة عن الموانع الحاجبة عنه و بالبرائة عمّا يوجب الاخلاد إلى الارض والاغترار بزهرة الحيوة الدنيا و بالقداسة عما يصدعن الحق وعما ينسى الاخرة من اتباع الهوى وطول الامل حسبماياتى بيانه -انشاء الله تعالى-...

واما الاثارالحسنة المترتبة عليه فهى ان العلم الشهودى عين المعلوم الخارجى المشهود بلا مايز بينهما لاوجودا ولا حكما. فاذا كان المشهود غنيّا عماعداه قائما بذاته فان العلم به ايضا غنى عن غيره، قيامه بذاته، كعلم الواجب سبحانه بذاته واذاكان المشهود مفتقرا الى غيره قائما بمبدئه فان العلم به ايضا كذلک فكما لاامكان لتحقق ذلک المعلوم منقطع الصلة عما عداه، كذلک لاامكان لتحقق العلم به منقطع الرباط عن العلم بمبدئه، وعليه فلامجال لتوهم انقطاع العلم الشهودى بالفقير المحض والربط الصرف عن العلم الشهودى بالغنى المحض والمستقل الصرف، اذا المفترض ان العلم عين المعلوم و ان المعلوم عين الصلة الى المبدء فالعلم به عين الصلة الى العلم بالمبدء، لان جميع مايرتبط بالمعلوم والمشهود اويرتبط هواليه من العلل والمعاليل والمصاحبات فى العلية اوالمعلولية منحفظة الارتباط بالعلم الشهودى به.

وبهذا يتجه معنى ماورد عن العترة الطاهرة فى غير مورد: من عرف نفسه

فقد عرف ربه.

وغاية المعرفة ان يعرف المرء نفسه، وكيف يعرف غيره من يجهل نفسه، و من عرف نفسه كان بغيره اعرف، نال الفوز الاكبر من ظفر بمعرفة النفس، لاتجهل نفسك فإن الجاهل معرفة نفسه جاهل كل شيء اعرفكم بنفسه اعرفكم بربه: من عرف نفسه تجرّد، من عرف نفسه جلّ امره...[١].

والخبير المتطلع يجد فيما ورد فى الحث لمعرفة النفس نصوصاجمة، يستنبط من ضم بعضها الى بعض ان معرفة النفس شهوديا ممكنة. وان الاثار الحسنى المرتبة عليها كثيرة جدا. وان السئيات المرتبة على الجهل بها ونسيانها غير مغفورة. وان الذى كان علمه بها اشد واعزز كان علمه بربه اكثر فاكثر... وما الى ذلك من الاثار الحسنة اوالسئية المترتبة على معرفة النفس وجودا وعدما.

ومن هنا يظهر أن ما افاده المحدث محمدبن الحسن العاملى -قدس الله نفسه الزكية- من الوجوه الاثنى عشر[٢] فى بيان هذا الحديث المعروف وجرى عليه الحجة السيد عبدالله شبر -رضوان الله عليه-[٣] مما يمكن استفادتها منه بعنوان التبيين او تفريع الآثارعداالوجه الثانى عشر، حيث قال (قده): «انه علّق محالا على محال، اى كما لايمكن معرفة حقيقة النفس كذلك لايمكن معرفة حقيقة الرب فيجب ان يوصف بما وصف نفسه تعالى والله اعلم»[٤]. اذلامجال لامتناع

---

١ - الغرر والدرر للآمدى، ج٧، ص ٣٩١ - ٣٨٧.

٢ - الفوائد الطوسية، ص ٧٩.

٣ - مصابيح الانوار ١/٢٠٤.

٤ - الفوائد الطوسية، ص ٨٠.

معرفة حقيقة النفس لانها امر موجود مجرد يشهد ذاته، ان لم يحجبها الذنب كماياتى بيانه ولامجال ايضا للتلازم بين معرفة حقيقة النفس وبين معرفة كنه ذات الحق سبحانه. كما وان ما افاده (قده) بعنوان الوجه العاشر مما يمكن استفادته من قوله (ع): من عرف نفسه جاهدها،فراجع.

وغرضنا هيهنا هوان معرفة النفس بالعلم الحضورى ممكن وان العلم الحضورى عين المعلوم وان المعلوم العينى هنا عين الربط الى الله فالعلم الحضورى به عين الربط الى العلم الحضورى بالله سبحانه ولا ثمرة اهم من معرفة الله. ولعله هوالهدف لكلمة مولينا الرضا (ع) فى قوله:

افضل العقل معرفة الانسان نفسه[1].

وذلک لأن العلم الكامل هوالذى يصحبه العمل الصالح ولايفترقان حتى ينتهيا الى الهدف السامى بأن يصعد اليه العلم والاعتقاد ويرفعه العمل الصالح. ومن البيّن ان العلم الشهودى بالنفس وبخالقها القيوم لهايوجب الإيمان بماجاء به الوحى من الله ويلازم العمل الصالح. واما العلم الحصولى بالمبدء والتصديق البرهانى بالوحى والمعاد فهو وإن يوجب الايمان بذلک ويلازم العمل الصالح ولكن على نحوالايجاب الجزئى الذى لاينافضه السلب الجزئى، فلذا يمكن ان لايكون فى بعض الموارد ناجحا اصلا بل يصيرحجة وَ وبالاً على العالم المتيقن كما هوالمستفاد من قوله تعالى:

أفرأيت من اتخذالهه هواه واضله الله على علم وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله افلا تذكرون[2].

١- مسند الامام الرضا(ع) ١/٣٠٢.

٢- الجاثية /٢٣.

لدلالته على عدم اللزام الضروري بين العلم الحصولي وبين الايمان، وعلى عدم التنافي بينه وبين الكفر والنفاق.

ثم انه قد يذكر بعد بيان هذا الأصل العام موارد جزئية تشهد على عدم اللزام الوجودي بين اليقين الحصولي وبين الإيمان والعمل الصالح، كما تشهد على عدم التضاد بين العلم الحصولي وبين الانكار والطغيان، حيث قال تعالى:

وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا فانظر كيف كان عاقبة المفسدين[1].

لدلالته على ان اليقين الحصولي بأن ما أتى به موسى آية مبصرة على نبوته قد لا يصحبه خضوع العقل العملي الذي به يعبد الرحمن ويكتسب الجنان. بل قد يخالفه ويتبدّل هناك العدل بالظلم والتواضع بالاستعلاء كما كان شعارهم يومئذ «قد افلح اليوم من استعلى» فلا تلازم بين العلم القطعي الذهني وبين العمل الصالح لأن لكل منهما مبدء خاصا يختص به اذ العلم مبدئه العقل النظري المتكفل لإدراك الامور سواء أكانت مما تتعلق بالعمل كمسائل الحكمة العمليّة اولا يتعلق به كمسائل الحكمة النظرية.

واما العمل فمبدئه العقل العملي المدبر للطبيعة والبدن وهما قوتان اوشأنان من قوى النفس او شؤنها، كالمدركة والمحركة اللتين هما من قواها اوشونها في المرحلة النازلة، حيث انه يمكن ان يكون احديهما موجودة والاخرى معدومة او احديهما ضعيفة والاخرى قوية اوكلتا هما ضعيفتين او قويتين كما هو المشاهد في العالم العادل فانهما بقوتهما معاً فيه، والمشاهد في الجاهل الظالم من ضعفهما اوعدمهما معاًفيه، والمشاهد في العالم غير العادل من وجود احديهما دون الاخرى

---

١ - النمل /١٤.

فيه، وهكذا المشاهد فى المتنسك الجاهل والتفصيل فى محله، والغَرَض هوامكان افتراق العلم البرهانى عن العمل الصالح لان لكل منهما سببا يختص به وليس احدهما عين الاخرولا كلاهما معلولا سبب ثالث، كما انه ليس احدهما معلولا تاما للاخر و لاالاخر سبب تام له، وان كان بينهماصلة على الجملة حسبما يظهر بالتّامل، وعليه فلامجال للتلازم الضرورى بينهما، كماقال سبحانه ـ ايضا ـ:

الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبنائهم وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون.[١]

وقال سبحانه:

الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون ابنائهم الذين خسروا انفسهم فهم لايؤمنون[٢].

لدلالة ذلك على ان انكار علماء اهل الكتاب ليس الامن باب كتمان الحق المعلوم بالبديهة كمعرفة الأب لابنه، معناه ان العلم برسول الله (ص) واوصافه الخاصة قدبلغ حدالحس والبداهة ومع ذلك انكروه و كتموا الحق حتى كأن لم يعرفوه اصلا، كما قال سبحانه:

ام لم يعرفوا رسولهم فهم له منكرون[٣].

يعنى تعالى انه لاوجه لانكارهم بعد ماكانوا عرفوا رسولهم فلا حجة لهم يوم القيمة يحتجّون بها عندالله لأن هلاكهم كان هلاكا عن بينة كما ان حياة العلماء الصلحاء كانت حيٰاة عن بيّنة، حيث قال تعالى:

---

١ ـ البقرة / ١٤٦.

٢ ـ الانعام / ٢٠.

٣ ـ المومنون / ٦٩.

ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حى عن بينة[١].

فالمتحصل ان العلم الحصولى لايلازم العمل الصالح ولايضاد العمل الطالح فليس هوافضل العلوم بل الافضل هوالذى اشارالیه مولينا الرضا(ع) وهوالعلم الشهودى الذى يلازم العمل الصالح، ولامجال معه للعمل الطالح وهوالعلم الحضورى بالنفس الذى هو عين العلم المرتبط بمشاهدة الرب سبحانه على قدر الطاقة البشرية، ولا مجال للذنب مع مشاهدة جماله وجلاله، كما لامجال لشهود جماله وكبريائه مع الذنب حسبما يظهر لأن الذنب اعراض عن ذكر الله واخلاد الى الارض ولامجال لشهود النفس مع ذهول الرب الذى هوسببها المقوم لها اذ لا وجه لشهود المعلول مع الغفلة عن علته، ولعله لذلک قال سبحانه:

واتل عليهم نبأ الذين آتيناه آياتنا فانسلخ منها فاتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولوشئنا لرفعناه بها ولكنه اخلدالى الارض واتبع هواه[٢].

يعنى ان اتباع الهوى صده عن مشاهدة جمال الحق والارتفاع بها و اوجب الاعراض عن آياته،وهذا اصل قرآنى لااختصاص له بعصردون عصر، كما فى مجمع البيان عن ابى جعفر(ع) حيث قال:

الاصل فى ذلک بلعم ضربه الله مثلا لكل مؤثر هواه على هدى الله من اهل القبلة[٣].

وزبدة المخض: ان الايمان بالله واليوم الاخروان العمل الصالح الذى هو امتثال ماجاء به الوحى... المعبرعنها بالكلم الطيب المصاعد الى الله وبالرافع له، انما يتحققان بالعلم الشهودى بالنفس الذى هوشجرة طوبى توتى اكلها كل

١- الانفال / ٤٢.

٢- الاعراف /١٧٥.

٣- نورالثقلين ١٠٢/٢.

حین باذن ربها وکفی بذلک اثرا هامّا مترتبا علیه، وبما ان العلم الشهودی بالنفس غیر منفک عن العلم الشهودی بالله الذی هوالقیوم علیها وعلی کل نفس بما کسبت وعلی کل شئ بماله من الخواص والاثار فیترتب علیه، عدا ماتقدم من الآثارالحسنی، العلم الحضوری بمظاهر الاسماء الالهیة التی ملأت ارکان کل شئ من السموات و الارضین و کلما کان الروح قویة وکان العلم الشهودی به شدیدا کان العلم الحضوری بقیومه شدیدا.

ویتفرع علیه کون العلم بمظاهر الاسماء الحسنی ایضا شدیدا وبالعکس فالامرفی معرفة الغیب والشهادة والاطلاع علی السرائر والضمائر والعثور علی ماکان ومایکون وماهوکائن یدور مدار معرفة الله سبحانه الدائرة مدار معرفة النفس شهودا فهی الطریقة المثلی والسبیل الأقوم للسائر فی الصراط والصائر الی الله سبحانه، اذ کما ان شهود المسبب المتقوم لایمکن الا بشهود السبب القیّم علیه، کذلک شهودالسبب القیوم علی کل نفس بما کسبت، وکذا المهیمن علی کل شئ ظهر فی ساهرة الامکان لاینفک عنه شهود معالیله و مظاهره.

وکما ان وجود النفس العارف ذاتها ربط محض و فقر صرف کذلک شهودها لبارئها ولاثاره الصادرة منه فاقة بحتةٌ الی علم خالقها و فانیة فی علمه سبحانه بالاشیاء فلایلزم محذور اصلالأن علم الانسان الکامل الذی عرف نفسه بلاحجاب وعرف ربه بلاغطاء بالاشیاء الغائبة والحاضرة علم امکانی وفقر محض کاصل وجوده و کاصل علمه بنفسه و علمه بخالقه، اذ العلم الذاتی والاصالی والمستقل لایتصور فی مورد اصلا الالمن هو وجود محض وعلم صرف وهوالله سبحانه. فالذی عرف نفسه شهودا تاما وعرف ربه بالطوق البشری له ان یری الاشیاء کما هی. ولوکان نیلها کما هی ممتنعا لماسأله رسول الله عن ربه بقوله (ص):

رب ارنى الاشياء كما هى[١].

ويشهد له قوله:

وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة فينبئكم بما كنتم تعملون[٢].

اذ المستفادمنه هوان كل عمل يعمله الانسان فى السروالعلن فانه يراه الله تحقيقا لا تسويفا وهكذا رسوله والمومنون الذين اظهر مصاديقهم العترة الطاهرة(ع) كما ورد التطبيق عليهم منهم(ع) حيث قال عمربن اذينة: كنت عندابى عبدالله فقلت له:

جعلت فداک، قوله عزوجل: وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمومنون قال: ايانا عنى[٣].

وقال عبدالله بن ابان الزيات ـ وكان مكينا عند مولينا الرضا(ع) ـ له:

ادع الله لى ولاهل بيتى فقال(ع): اولست افعل والله إن اعمالكم لتعرض على فى كل يوم وليلة قال فاستعظمت ذلک فقال: اماتقرء كتاب الله عزوجل وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون ـ قال هووالله على بن ابى طالب(ع)[٤].

وليس المراد هوالحصر فى اميرالمؤمنين(ع) بل ذكره بعنوان كونه ابا الائمة(ع)، فلذلک قال: ... ان اعمالكم لتعرض علىّ. وهذاالوجه هوالمصحح لقول مولينا الرضا(ع) ـ على حدنقله الوشاء ـ:

ان الاعمال تعرض على رسول الله ابرارها وفجارها[٥].

---

١ ـ رسائل الشريف الرضى ج ٢/٢٦١.
٢ ـ التوبة /١٠٥.
٣ ـ تفسير نورالثقلين ٢/٢٦٣.
٤ ـ تفسير نورالثقلين ٢/٢٦٤.
٥ ـ تفسير نورالثقلين ٢/٢٦٤.

وهذا المعنى هوالمراد بشهادة الاعمال التى هى من شؤن الولاية للانسان الكامل وقدأفاده القرآن الكريم فى مواضع، منها قوله تعالى:

كلا ان كتاب الابرار لفى عليين وما ادراك ماعليون، كتاب مرقوم يشهده المقربون[1].

ولا اختصاص للاعمال بالظاهرة منها بل هى الاعم منها ومن العقائد والاوصاف النفسانية التى قد اذن الله سبحانه لكرام الكاتبين الذين وكلّهم بحفظ مايكون من الانسان فى الصحف النورانية المصونة عن المادة ولوازمها، و تلك الصحائف محاطة بصحائف اخرى فوقها. حيث قال: ان كتاب الابرار لفى عليين. ثم فسرالعليين بانه كتاب مرقوم فالكتاب فى كتاب آخر فائق محيط به يشهد ذلك الكتاب المحيط، المقربون فلا يشذ عن شهودهم العلمى بصحائف الاعمال شئ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

و بهذا المضمون ما رواه مولينا الرضا(ع) عن ابيه عن آبائه(ع) قال قال رسول الله(ص):

ما ينقلب جناح طائرفى الهواء الاوعندنافيه علم[2].

ومنه: ماكتب عبدالله بن جندب الى مولينا الرضا(ع) يسئله عن تفسير قوله تعالى:

الله نورالسموات والارض... فكتب(ع) فى الجواب: اما بعد فان محمدا كان امين الله فى خلقه فلما قبض النبى(ص) كنا اهل البيت ورثته فنحن امناء الله فى ارضه عندناعلم المنايا والبلايا وانساب العرب ومولد الاسلام ومامن فئة تضل ماتة وتهدى ماتة الاونحن نعرف سائقها

١- المطففين / ٢١ - ١٨.

٢- مسندالامام الرضا(ع) ١ ص ٢٤٦، عن العيون ٢ /٣٢.

وقائدها و ناعقها وانا لنعرف الرجل اذا رايناه بحقيقة الايمان و حقيقة النفاق وان شيعتنا لمكتوبون باسمائهم واسماء آبائهم اخذ الله علينا و عليهم الميثاق يردون موردنا و يدخلون مدخلنا ليس على ملة الاسلام غيرنا و غيرهم الى يوم القيمة نحن آخذون بحجزة نبينا ونبينا آخذ بحجزة ربنا والحجزة النور وشيعتنا آخذون بحجزتنا...[١].

ولعل هذا النور هوالعمود النورى الذى تقدم نقله عن مولينا الرضا (ع) انه قال:

ان الله عزوجل قد ايدنا بروح منه مقدسة مطهرة ليست بملک لم تكن مع احد ممن مضى الامع رسول الله وهى مع الائمة منّا تسددهم و توفقهم وهو عمود من نور بيننا و بين الله عزوجل...[٢].

ولسناالآن بصدد البحث عن نحو علم الامام بالغيب اذ له مقام و حقل خاص و دليل مخصوص،بل هدفنا هيهنا الإيعاز الى جانب من الآثار المترتبة على العلم الشهودى بالنفس.

والذى يهمنا هنا هوتبيين موقف الشهود القلبى لدى القرآن الحكيم و بيان الطريق الهادية الية و ذكر عقباتها الكؤدة والايعاز إلى شرائط طيها والى المؤانع عن قطعها والى مايمكن علاجالها والى الميزبين الشهود القلبى وبين التمثل الشيطانى كى يستبان المرغوب اليه عن المرغوب عنه. فنقول: إن الله سبحانه نورلاظلام له اصلا فلا حجاب عليه ولاحجاب له، كما قال مولينا الرضا (ع):

حجب بعضها عن بعض ليعلم ان لاحجاب بينه وبينها غيرها...[٣].

---

١ ـ تفسير القمى ٢/١٠٤.

٢ ـ مسند الامام(ع)، عن عيون الاخبار ٢/٢٠٠.

٣ ـ مسندالامام (ع) ٢/١٢٣، عن عيون الاخبار ١/١٤٩.

يعني (ع) انّه لاحجاب له تعالى اصلا فلا ذاته حجاب لذاته ولاغيره حجاب له فهو يشهد ذاته كما يشهد غيره وانما الحجاب بينه تعالى وبين الاشياء هو نفس الاشياء. فكما ان المضاف في الإضافة الاشراقية عين الاضافة لاغيرها، بمعنى انه ليس بين المضاف والمضاف اليه شيئ عدا المضاف فهكذا المحجوب في هذا الحجاب فانه عين الحاجب المانع، فليس بينه و بين المحجوب عنه شيئ عدا نفس المحجوب ومادام المحجوب متوجها إلى نفسه فهوفي حجاب وكنان، وبا نقطاع التفاته عن نفسه وانابته الى خالقه يرفع الحجاب بينه و بين بارئه تعالى فيشاهده بحسب وسعه ثم يشاهد بنوره الاشياء كما قال مولينا الرضا (ع):

...اما بلغك قول الرسول(ص): اتقوا فراسة المؤمن فانه ينظربنورالله.
. قال: بلى. قال(ع): وما من مؤمن الاوله فراسة ينظر الله على قدرايمانه ومبلغ استبصاره وعلمه[1].

فالحجاب انما هوالتوجه إلى النفس بالنظرة الإستقلالية المعبرعنه بالهوى لاالتوجه اليها بماهي مرآة الحق فإن هذا الالتفات كما مرمسبقا انما هوعلم شهودي بالمسبب المتقوم الذي يمتنع انفكاكه عن شهود السبب المقوم اذالمرآة بماهي مرآة لاتحكي الاالصورة المرئية فيها و لاتهدي الا اليها فكلما كان التوجه الذي فيه هوى النفس قويا كان الحجاب غليظا، وكلما كان ضعيفا كان رقيقا والى هذا المعنى أشار مولينا الرضا في جواب الرجل الذي سئله بقوله:

فلم احتجب؟- اى الله سبحانه- قال(ع):

١- العيون ٢/٢٠٠.

إن الاحتجاب عن الخلق لكثرة ذنوبهم فاما هوفلا يخفى عليه خافية فى آناء الليل والنهار، قال السائل: فلم لا تدركه حاسة البصر؟ اجاب (ع): للفرق بينه وبين خلقه الذين تدركهم حاسة الابصار منهم ومن غيرهم ثم هواجل من ان يدركه بصر اويحيط به وهم اويضبطه عقل...[١].

فلاحجاب الاّ الذنب فالمذنب هوالمحجوب مادام على ذنبه، فمن اذنب واحتجب بذنبه ومات بلا انابة تخرق حجاب الذنب فهو فى كنان العصيان وحجاب الطغيان، كما قال سبحانه:

كلا بل ران على قلوبهم ماكانوا يكسبون، كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون، ثم انهم لصالوا الجحيم[٢].

وحيث ان الذنب الذى اجترحوه صاربعينه رينا على قلوبهم ولاميزبين الذنب المكتسب وبين المذنب الافى المفهوم إذا العمل القلبى قد صار بالملكة عين العامل، يظهر أن مراده تعالى من قوله: «واذا قرأت القرآن جعلنا بينك وبين الذين لايؤمنون بالآخرة حجابا مستورا»[٣]. ليس هوالحجاب الخارجى المنفصل عن قلوب هؤلاء الكفار المسدول عليهم، بل المرادهو هبوط قلوبهم ودفن نفوسهم فى قبور سيآتهم المكتسبة التى صارت طبعا لها ورينا عليها كماقال تعالى:

وجعلنا على قلوبهم اكنة ان يفقهوه وفى آذانهم وقرا واذا ذكرت ربك فى القرآن وحده ولّوا على ادبارهم نفورا...[١].

ولما كان الذنب حجابا والمذنب محجوبا عن الحق، اكدّ سبحانه بانهم:

---

١ ـ التوحيد ص ٢٥٢.

٢ ـ المطففين ١٤ ـ ١٣.

٣ و ٤ ـ الاسراء / ٤٦ ـ ٤٥.

ان تدعوهم الى الهدى لايسمعوا وتريهم ينظرون اليک وهم لا يبصرون[١].

يعنى انّهم اهل الحس والنظر لااهل الشهود والبصر، ويؤيد ماانتجه التدبر فى القرآن من ان العمل السيئ حاجب، كلمة مولينا السجاد الذى هومن مستنطق القرآن حيث قال (ع):

وان الراحل اليک قريب المسافة وانک لاتحتجب عن خلقک، إلا ان تحجبهم الاعمال دونک...[٢]

وهكذاقولة امامنا الكاظم(ع) فى دعائه يوم السابع والعشرين من رجب حين انطلقوا به صوب بغداد:

...انک لاتحتجب عن خلقک... وقد علمت ان افضل زاد الراحل اليک عزم اراده يختارک بهاوقد ناجاک بعزم الارادة قلبي[٣].

فالمتحصل ان الرحلة الى الله سهلة المنال وقريبة المسافة لمن كان له زادالعزم وقوت الارادة وكانت مطيته التقوى وراحلته الطهارة عن مطلق الذنوب، لكنها عسرة المنال بعيدة المسافة لمن احتجب بالذنب واستتر بالعصيان، اولئک ينادون من مكان بعيد[٤]:

كذلک يطبع الله على قلب متكبرجبار[٥].

وان الحجاب منحصر فى الذنب فما لاذنب هناک فلاكنان. وماكان الذنب حقيرا ولمّاً كان الحجاب رقيقا. وان الطهارة من الذنب من اهم

١ـ الاعراف /١٩٨.

٢ـ دعاء ابى حمزة الثمالى.

٣ـ مفاتيح الجنان ، اعمال اليوم السابع والعشرين من رجب.

٤ـ فصّلت /٤٤.

٥ـ غافر /٣٥.

شرائط الشهود القلبي كما يعطيه قوله تعالى:

يا ايها الذين آمنوا ان تتقوا الله يجعل لكم فرقانا...[١].

اذالمراد من هذاالفرقان هوالنور الخاص الذى به ينكشف الحق ويزاح الباطل لا الفرقان العام المعبرعنه بالهداية العامة التى يستوى فيها المتقون والفجار لان الله سبحانه انزل القرآن هدى للناس بلاميزفيه بين اهل التقوى واهل الفجور.

... وكذلک هوالمستفاد من قوله تعالى:

ومن يؤمن بالله يهدقلبه والله بكل شئ عليم[٢].

ومن قوله سبحانه:

وان تطيعوه تهتدوا...[٣].

حيث ان المراد من الهداية فى هذه الايات ومايضاهيها مما اشترط فيها الايمان والاطاعة هى الهداية الخاصة المعبرعنها بالايصال الى المطلوب الذى هولقاء الله وشهود اسمائه الحسنى وامثاله العليا لما ثبت ان لاحجاب هناک الاالذنب المفروض انتفائه بالتقوى والطاعة فينبغى للمؤمن فهم هذه الاسرارو ان يصبح ممن يحدّثه الله وملائكته، كما تفيده كلمة مولينا الرضا(ع):

انى احب ان يكون المومن محدّثا، قال: قلت واى شيئ المحدث؟ قال المفهّم[٤].

---

١ ـ الانفال /٢٩.

٢ ـ التغابن /١١.

٣ ـ النور /٥٤.

٤ ـ مسندالامام الرضا(ع) ١/٢٦٠، عن العيون ١/٣٠٧.

فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام و من يرد ان يضله يجعل صدره ضيّقا حرجا كانما يصعد في السّماء كذلك يجعل الله الرجس على الذين لايؤمنون[١].

والصدر المشروح هوالصدر البصير، كما ان الصدر الضيق هوالصدر الاعمى عن الحقائق فمن اراد الله ان يشرح صدره يقول له: كن مشروحا، فيكون كذلك اذا اراد ارادته، كما لامجال لصيرورة الصدر بصيرا وشاهدا بالفعل ولايكون هناك امر موجود مشهود للصدر المنشرح وان لايراه المصدر الضيق الاعمى. وهذا الشرح نورخاص الهي به ينظر المومن الى العالم من غيبه و شهادته. كما نقرئه في رواية مولينا الرضا (ع) عن آبائه عن علي (ع) عن النبي (ص) انه قال:

المؤمن ينظر بنورالله[٢].

ولعل هذا المؤمن المنشرح الصدر بالهداية الموصلة الى الهدف اكرم على الله سبحانه من ملك مقرب، كماروى مولينا الرضا (ع) عن آبائه عن علي (ع) قال رسول الله (ص):

إن المؤمن يعرف في السماء كما يعرف اهله و ولده وانه لأكرم على الله من ملك مقرب[٣].

فاذا شرح الله صدرالمؤمن السالك الى الله بقدمي الايمان والعمل الصالح وأراه من آياته وعلمه من لدنه علما خاصا لايتعداه العمل ولا يتبدل بالجهل

---

١ ـ الانعام /١٢٥.

٢ ـ مسندالامام ١/٢٦١. عن العيون ٢/٦١.

٣ـ مسندالامام ١/٢٦٠، عن العيون ٢/٣٣.

وذلک، لان الله وملائکته انما یعلمون المؤمن ویفهمونه مالا یعلمون غیره، حیث قال سبحانه:

هوالذی یصلی علیکم وملائکته لیخرجکم من الظلمات الی النور وکان بالمؤمنین رحیما[١].

لظهوره فی اختصاص تصلیة الله و ملائکته بمن آمن وأطاع واتقی وصدق بالحسنی، وهذه التصلیة هی الرحمة الخاصة الممهدة و المسهلة للسیر الی الله. ولما کان الراحل الیه تعالی قریب المسافة وتوقف تسهیل السبیل الیه علی الایثار والاتقاء وعلی الایمان بالعاقبة المحمودة لمن آمن واتقی، اشار سبحانه هادیا الی ذلک بقوله:

فاما من اعطی واتقی وصدق بالحسنی فسنیسره للیسری[٢].

وقال تعالی:

یهدی به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ویخرجهم من الظلمات الی النور باذنه ویهدیهم الی صراط مستقیم[٣].

وقال تعالی:

والذین جاهدوا فینالنهد ینهم سبلنا وان الله لمع المحسنین[٤].

وقدبین سبحانه ان هذه الهدایة الخاصة انما تتحقق بشرح الصدر و توسعته فی قبال ضیق الصدر وتعمیته، حیث قال تعالی:

١ـ الاحزاب /٤٣.

٢ـ اللیل /٧ ـ ٥.

٣ـ المائدة /١٦.

٤ـ العنکبوت /٦٩.

ولايغشاه النسيان ولايغطّيه السهو ولايداخله الوهم ولايتطرق اليه الخيال، تنفجرالحكمة من قلبه على لسانه.

كما نلاحظه بصراح فيما روى مولينا الرضا (ع) عن آبائه عن على قال قال رسول الله (ص):

ما اخلص عبدالله عزوجل اربعين صباحا الاجرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه[1].

ولاخصيصة للسان ـ انحصاريا ـ بل المراد هوانفجار ينابيع الحكمة التى هى الخيرالكثير من جميع شئون حياته الطيبّة، سواء فى ذلک اللسان وغيره. لأن جميع القوى المدركة والمحركة مجارى لفيض القلب وتابعة له فى الكمال والنقص فاذا صلح صلحت واذا فسدفسدت ولا تأتمر الابامره ولا تنتهى الابنهيه لانّه إمام لها اخذا وتركا وهى امته كذلک ولامجال لاستقلالها وغنائها عنه، كما لامجال لافتقارها الى غيره.

وما ورد من ان «لسان العاقل وراء قلبه وقلب المنافق وراءلسانه» ليس هومعنى انّ لسان العاقل فقط تابع لقلبه و امالسان المنافق فليس تابعاله بل قلبه مطيع له متاخر عنه ومؤتم به ايتمام المأموم بامامه، بل المراد ان قلب المنافق لكونه اعمى عن الحقائق لايبصر الاهواه ولايرى الازهرة الحياة الدنيا وزبارجها ولايأمر الابالمنكر ولاينهى الاعن المعروف، كماقال سبحانه:

المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون ايديهم نسوا الله فنسيهم ان المنافقين هم الفاسقون[2].

١ـ مسندالامام (ع) ١/٢٩٠.

٢ـ التوبة /٦٧.

غافلا عن خاتمة الامر بالمنكر و ذاهلاً عن عاقبة النهى عن المعروف وجاهلا لثمرة سحب اليد عن التعاون على البروالتقوى و عامهاً عن نتيجة نسيان الله سبحانه.

ثم انه يبدوله بعد ذلک سوء ما كسب وقبح مااجترح فيدرک حينذاک سوئة صنعه وحاق به ماكان يكتسب، فعلى اى تقدير وافتراض يكون اللسان مطلقاوراء القلب ومؤتما به، كما ان سائر الاعضاء ايضا كذلک و هذاالعبد المخلص لله الذى اوتى الحكمة التى رأسها مخافة الله هوالذى احياه الله وجعل له نورا يمشى به فى الناس فيكون صراط مشيه فى صلته مع الله ومع نفسه ومع الناس لله وفى سبيل الله وعلى مايرضاه الله ويرضاه الرسول فتنفجر ينابيع الحكمة من قلبه على بنانه كما تنفجر منه على بيانه وتنفجر من قلبه على سمعه وبصره كما تنفجر منه على لسانه وتنبع منه على سكوته كما تنبع منه على كلامه لأنه يسكت عن الباطل وإمضائه كما ينطق بالحق ويمضيه و تجرى منه على قعوده كماتجرى منه على قيامه وتنفجر منه على صلحه وسلمه كما تنفجرمنه على حربه وجهاده لانه وجّه وجهه للذى فطرالسموات والارض حنيفا مسلما وماكان من المشركين ان صلاته ونسكه ومماته لله رب العالمين لاشريک له وبذلک أمرَ ان يكون من المسلمين، و لانه يدور مع الحق حيثمادار.

ومن الممكن أن يكون من هذا الباب ـ وبنفس السبب ـ التصلية والتسليم على الامام المعصوم (ع) فى جميع شؤنه. كما نقرئه فى زيارة آل يسين:

السلام عليک يا تالى كتاب الله وترجمانه. السلام عليک فى آناء ليلک واطراف نهارک... السلام عليک حين تقوم. السلام عليک حين تقعد السلام عليک حين تقرء وتبيّن. السلام عليک حين تصلى وتقنت. السلام عليک حين تركع وتسجد السلام عليک حين تهلل وتكبر. السلام عليک حين تحمد وتستغفر. السلام عليک حين تصبح وتمسى السلام عليک

فى الليل اذا يغشى والنهار اذا تجلى...[١].

والهدف هوان الاخلاص يوجب ويلازم تنور القلب الحاكم على القوى والاجهزة، فكلماقوى الاخلاص تقوّى نورالقلب حتى ينتهى إلى سدرة منتهاه وهوالإخلاص المحض الخاص للانسان الكامل المعصوم(ع)، وكلما ضعف الاخلاص يضعف نورالقلب واذا ضرب عصا الاخلاص على القلب المؤهل المستعدانبجست منه العيون الخزارة العلمية والعملية على القوى العلامة والعمالة الصافية عن ايّة كدورة، لأن التكدرمن الشيطان الغوى المغوى، فاذا تذكر العبد واخلص فى ذكراه و ذكرالله فى نفسه تضرعا وخيفة ودون الجهرمن القول بالغدوو الاصال ولم يكن من الغافلين، ذكره الله تعالى كما وعده فى قوله:

اذكرونى اذكركم[٢].

فاذا ذكره الله سبحانه لايقترنه الشيطان لانه لايهجم على الانسان الاعندالغفلة عن ذكرالله ولايدهم الالدى النسيان عن ذكره ونبذكتابه وراء ظهره. لانه ـ كما قال سبحانه:

انه يراكم هووقبيله من حيث لا ترونهم[٣].

انمايرى الغافل ويهجم عليه ويغويه عن سبيل الله.

واما المومن المتذكر فهويراه ويشاهد هجومه وينظر اضلاله واعوانه فيستعيذ بالمعاد ويلتجى بالملجاء وهوالله سبحانه، كما قال تعالى:

ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون[٤].

---

١ ـ مفاتيح الجنان، زيارة صاحب الأمر(ع).

٢ ـ البقرة /١٥٢.

٣ ـ الاعراف /٢٧.

٤ ـ الاعراف /٢٠١.

وقال تعالى:

واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله انه سميع عليم[١].

وقال سبحانه:

ولن تجدمن دونه ملتحدا.[٢]

فاذا ابصرو تذكر واستعاذ بالله الذى لاملتحد ولاملجاء دونه ينصره الله ويصونه ويتفضل عليه ولاراد لفضله كما لاكاشف لضره، حيث قال تعالى:

وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الاهو وان يردك بخير فلاراد لفضله يصيب به من يشاء من عباده وهوالغفور الرحيم[٣].

والمحصل أن المؤمن المتذكر يكون فى حصن الله فلاينفذاليه الشيطان لانه لا يستطيع ان يظهر عليه ولايستطيع له نقبا حيث ان الشيطان مرجوم من الحصن ومبعدعن السدالذى بناه الله سبحانه من قدرته فاذا لم يكن للشيطان عليه سبيل ولالقبيله اليه طريق ولاخيله ورجله اليه مسيرولالجنوده اليه مسلك اصلاً يكون جميع ما يشاهده بالقلب ويسمع بالصدرويرى بالبصيرة حقا ويكون جميع ما يتمثّل له فى المنام اواليقظة ربانيا اوملكيا لانفسانيا ولاشيطانياً اذالمفترض انه قدافلح بتزكية نفسه وذكر ربه ونجاعن الخيبة بَتَدْسِيَتها وراض نفسه بالتقوى وهذبها بالطاعة وحذرها عن الطغوى فعرف جميع حبائل النفس الامارة بالسوء اوالمسولة كما وعرف جميع مصائد وشرك الشيطان وقبيله واتقى من ذلك كله، اذًا فلابضاعة ورأسمال للشيطان ولاسلاح ولاعدة له حتى

١ـ الاعراف /٢٠٠.

٢ـ الكهف /٢٧.

٣ـ يونس /١٠٧.

یداخل به فی شهوده کمالم یکن له ذلک بالنسبة الی فکره الذهنی وعلمه الحصولی. والی ذلک یوعز قوله تعالی:

کلالو تعلمون علم الیقین لترون الجحیم، ثم لترونها عین الیقین...[۱].

ولا انحصار بذلک لرؤیة الجحیم اذالمؤمن المتقی الذی جعل الله له نورا کمایری النار ویسمع عوا اهلها کذلک یری الجنة ودعوی اهلها وهی التسبیح والحمد وتحیة اهلها وهو السلام. والسرفی ذکر الجحیم هوان الغالب علی الناس هوالخوف من النار وان الموثر فی طباع اکثرهم هوالانذار لاالتبشیر ولذلک نلاحظ القرآن الحکیم یحصرشأن الرسول فیه رغم انه کان مبشرا کما کان منذرا:

قل یا ایها الناس انما انالکم نذیر مبین[۲].

فمن اخلص لله یشاهد الحق شهودا لایشوبه الباطل ویری الاسماء الحسنی ومظاهرها من الرضا والرحمة و مظهرها وهی الجنة و من السخط والغضب و مظهره وهی النارو من القیض والبسط و مظاهرها ومن الاضلال و الهدایة ومرایا هما وهکذا... والسبب فی ذلک کله هوما مرمسبقا من ان الله سبحانه نور لاحجاب له اصلا وکذا اسمائه الحسنی لاکنان لها ولاغطاء علیها انما الغطاء هوالمسدول علی اعین الکفار والمنافقین بالذنب، کما یفصح عنه قوله تعالی:

وعرضنا جهنم یومئذ للکافرین عرضا، الذین کانت اعینهم فی غطاء عن ذکری وکانوالا یستطیعون سمعا[۳].

۱- التکاثر /۷- ۵.

۲- احج /۴۹.

۳- الکهف / ۱۰۱ - ۱۰۰.

لظهوره فى ان أعين الكفار فى غطاء عن ذكرالله لاان ذكرالله فى غطاء فالقصور انماهو فى اعينهم لافى ذكره تعالى، وهكذا قوله:

لقد كنت فى غفلة من هذا فكشفنا عنك غطائك فبصرك اليوم حديد[١].

لأنّ له دلالة على ان القيامة ومشاهدها موجودة بالفعل وانها مصونة عن الغطاء، بيد انها مسدولة على بصر الكافر و سيكشف يوم القيمة فيصير حديدًا، ذاحدة نافذة يرى مظاهر الغضب ويسمع مشاهد السخط رغم كونه اعمى عن مظاهر الرحمة و مشاهدالرضا وبيان ذلک كمايلى:

ان الذنب رين ينطبع به القلب فيصير محجوباعن رؤية آيات الله فى الانفس والافاق فيصير اعمى كما قال مولى العارفين سيدالشهداء الحسين بن على (ع):

عميت عين لا تراک عليها رقيبا[٢].

فلايرى شيئا من اسمائه الحسنى الجمالية ولاالجلالية، فبموته وانتقاله الى الدار التى تبلى فيها السرائر و كانت سريرته اعمى... يظهر باطنته و يحشر -يومئذ- اعمى، كما قال سبحانه:

ونحشره يوم القيمة اعمى[٣].

يعنى اعمى عن الحق وجماله ورحمته الخاصة، لذلک قال:

انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون[٤].

---

١ - ق/٢٢.

٢ - مفاتيح الجنان: دعاء الحسين(ع) يوم عرفه ص ٤٩٦ (ط. علمى ١٣٨٣ هـ).

٣ - طه/٢٤. ٤ - المطففين /١٥.

وحيث إن الاعمال تصير هناك قلائد في الاعناق[١] وسلاسل في الارجل وان الظالمين يصيرون حطبا للنار، كماقال:

واما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً[٢].

وقوداً للنار، لذلك يرون انفسهم يسجرون في النار، قائلاحينذاك:

ربنا أبصرنا وسمعنا فارجعنا نعمل صالحا[٣].

فهم رغم كونهم عميًا عن شهود الجمال والرحمة يصبحون مبصرين للنار ولهيبها وبالرغم من صممهم عن سماع كلمة الحق يبيتون سامعين لتغيظ النار و زفيرها، كماقال تعالى:

اذا رأتهم من مكان بعيد سمعوالها تغيّظا وزفيرا[٤].

وقال:

اذاالقوافيها سمعوا لها شهيقاوهي تفور[٥].

وذلك لانهم كانوا في الدنيا يستمعون هتاف الشيطان فقط وماكانوا يستطيعون سمع الحق ولم يكونوا يبصرونه. فتطهرهذه الحالة لهم يوم القيمة فلا يشاهدون جمال الرحمة ولايسمعون كلام الله اذ لايكلمهم الله ذلك اليوم تكليم عناية وتشريف ولاينظر اليهم نظرة رأفة ورحمه لأن الله حرم الكلام والنظر الخاصين على الكفار العُمى عن الحق والصُم عنه، كماحرم الماء وغيره من

١- الصحيفه السجاديه، دعاء ختم القرآن.

٢- الجن /١٥.

٣- السجدة /١٢.

٤- الفرقان /١٢.

٥- الملک/٧.

ارزاق الجنة عليهم، كما قال سبحانه:

ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة أن افيضوا علينا من الماء او ممارزقكم الله قالوا ان الله حرمهما على الكافرين.[١]

والمراد من التحريم هنا هوالمنع التكوينى دون النهى التشريعى، اذلا تشريع فى دارالجزاء و نشأة الحساب. وبهذا التحليل يظهر عدم التنافى بين مايدل على ان هؤلاء الطغاة اللئام يحشرون يوم القيمة عميا صما، وبين الذى يدل على رؤيتهم النار وسمعهم شهيقا لها وهى تفور، لما مرمسبقا من ان يوم القيمة هو يوم ظهور الملكات والاخلاق و قدكانوا فى الدنيا بالقياس الى الحق عميا صما و مقيسا الى الباطل مبصرين و مستمعين فتبلى هذه السريرة الخاصة لهم ذلك اليوم وقد كانوا فى الدنيا كما حكى الله تعالى عنهم:

وان يروا كل آية لايومنوا بها وان يرواسبيل الرشد لايتخذوه سبيلا وان يرواسبيل الغىّ يتخذوه سبيلا ذلك با نهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين والذين كذبوا بآياتنا ولقاء الاخرة حبطت اعمالهم هل يجزون الاما كانوا يعملون.[٢]

ولاغرو فى هذا التفكيك فى العلم الشهودى بان يشاهد الانسان شيئا ولايشاهد شيئاً آخر و يسمع صوتا ولايسمع صوتا آخر وهكذا كما لاغرابة فى ذلك بالنسبة الى العلم الحصولى بأن يفهم الانسان شيئاً ولايفهم شيئاً آخر مقابلاله -مثلا- ان الذى استقر و عشش فى قلبه بعض المبانى المادية فانه لايفهم الاالذى له صلة و مساس بالمادة، واما ماهو خارج عنها فلايفهم منه شيئابل يراه اسطورة لاواقعية لها كما حكاه الله عنهم فى قوله:

---

١ ـ الاعراف / ٥٠.

٢ ـ الأعراف / ٧ ـ ١٤٧.

قالوا يا شعيب ما نفقه كثيرا مما تقول...[١]

وفي قوله تعالى:

لهم قلوب لايفقهون بهاولهم اعين لايبصرون بها ولهم آذان لايسمعون بها اولئك كالانعام بل هم اضل اولئك هم الغافلون[٢]

ومنهم من يستمع اليك حتى اذاخرجوا من عندك قالوالذين اوتوا العلم ماذا قال آنفااولئك الذين طبع الله على قلوبهم واتبعوا اهوائهم[٣].

وفي قوله:

واذا تتلى عليهم آياتنا قالوا قدسمعنا لونشاء لقلنا مثل هذا ان هذا الااساطير الاولين[٤].

الى غير ذلك من الايات الحاكية عدم فقههم ما هو الخارج عن نطاق الحسّ والفائق على إطار المادة وان كانوا يدركون المحسوسات و مالها من الا ثار المادية الداثرة وكذايدركون المعانى الخيالية التى لاواقعية لها فى الخارج من التشبيهات والاستعارات والكنايات الشعرية التى احسنها اكذبها. وهولاء نوع من الناس عبّر القرآن الحكيم عن مثلهم بالمختال اى الذى يحوم حول الخيال ولايدور مدار العقل الذى هوالحق، حيث قال سبحانه:

ولا تصعر خدّك للنّاس ولا تمش فى الارض مرحا ان الله لايحب كل مختال فخور[٥].

فهولاء يدركون الاوهام المنسوجة بايدى الوهم والخيال ولايدركون

١ـ هود /٩١.
٢ـ الاعراف /١٧٩.
٣ـ محمد(ص) /١٦.
٤ـ الانفال /٣١.
٥ـ لقمان /١٨.

الحقائق التي صنعها الله الذي بيده ملكوت كل شئ، فان حكم في مورد بانهم لايفقهون شيئا فان المراد من العموم المستفاد من وقوع النكرة في سياق النفي هوالشئ المعقول لاالاعم منه ومن الموهوم والمتخيل. فبذلك يستبان ماهوالمقصود من قوله تعالى:

فما لهؤلاء القوم لايكادون يفقهون حديثا[1].

اذالمرادمن الحديث الذي لايفقهه هولاء هو الحديث العقلي المؤسس بنيانه على البرهان اليقيني دون الاعم منه و من القائم على شفا جرف الوهم والخيال. ومن هذا القبيل قوله تعالى:

هم الذين يقولون لا تنفقوا على من عندرسول الله حتى ينفضوا ولله خزائن السموات والارض ولكن المنافقين لايفقهون[2].

وذلك لأن هولاء رغم بلوغهم من الدهاء والنكراء حدا «اذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا انومن كما آمن السفهاء» حيث انهم يحسبون انفسهم عقلاء ويزعمون ان المومنين بالله واليوم الاخرهم السفهاء، ولكنهم -في ذات الوقت- لايفقهون الحقائق الغيبيّة ولايدركون ماهوخارج عن مصاف الحسّ ومنال الخيال ومدهم الوهم.

والمحصل انه كما ان التفكيك في العلم الحصولي امرممكن بل واقع، كذلك التفكيك في العلم الشهودي جائزبل واقع ضروري، لانه عبارة عن ظهور سريرة التفكيك الحصولي الذي كان في الدنيا محققا لأن هذه الدار الداثرة دارعمل ولاحساب والدار الاخرة التي هي الحيوان دارجزاء وحساب

١- النساء /٧٨.

٢- المنافقون /٧.

لاعمل فيها فجميع ماكان الانسان قداجترحه فى الدنيا يظهر بنفسه فى الاخرة ولا امكان هنالك لكسب شى لم يجترحه، فاذا كانت باطنة الانسان فى الدنيا اعمى عن الحق و بصيرا بالباطل يظهر هذا الباطن يوم القيمة ويظهر الحق الذى كان مرعوبا عنه له بصورة الجنة التى تجرى من تحتها الانهار او اعلى منها كجنة اللّقاء، ويظهر الباطل الذى كان مرغوبا فيه له بصورة النارالتى تطّلع على الافئدة أدلى منها كالنار الجسمانية التى تحرق الجلود التى كلما نضجت بدلت جلودا غيرها ليذوق صاحبها العذاب.

وهذا هوالذى يستفاد من قوله تعالى:

ومن كان فى هذه اعمى فهوفى الاخرة اعمى واضل سبيلا[1].

اذليس المراد من العمى هنا هوالعمى الحسى لأن الذى لايغض بصره عن المحارم ولايتحرّزعن خائنة العين فهو بصير لااعمى، بل المراد منه هوالعمى العقلى لأن الذى لايفقه ان لله خزائن السموات والارض، ولايفهم ان بيده ملكوت كل شى، وان الله يحيى ويميت، وانه تعالى يأتى بالشمس من المشرق، وانه فالق الحب والنوى، وانه يعز و يذل،وانه يقبض ويبسط، وانه خالق كل شئ وعلى كل شيئ وكيل. فهو اعمى عن الحقائق رغم ابصاره المحسوسات، وحيث ان الاخرة باطن الدنيا وانّ باطنة كل انسان فانها تظهر هنالك، فمن كانت باطنته اعمى فى الدنيا يظهر عماه فى الاخرة كما تقدم عن مولينا الرضا(ع) فى قوله:

... ولكن القوم تاهوا وعموا وصموا عن الحق من حيث لايعلمون وذلك قوله عزوجل: ومن كان فى هذه اعمى فهوفى الاخرة اعمى واضل سبيلا يعنى اعمى عن الحقائق[2].

---

١ ـ الاسراء/٧٢.

٢ ـ التوحيد ص ٤٣٨.

ثم انه قد مرمنا مسبقا ان الحق سبحانه نورلاحجاب له ذاتا ولايعتريه الخافية عرضا وان النفس الانسانية موجود مجرد لاحجاب له بالذات وان يطرء عليه الغطاء بالعرض.

وان شهود النفس متقوم بشهود الحق سبحانه كما ان وجودها متقوم بوجوده تعالى.

وان شهود الحق موجب لشهود اسمائه الحسنى ومظاهره العليا.

وان الحاجب عن الشهود لكونه عرضيا يزول لامحالة وهو يوم ظهور الحق ظهورا تاما لايبقى معه مجال للريب و موقع للحجاب كما قال سبحانه:

يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق ويعلمون ان الله هوالحق المبين[1].

وان شهود الحقائق الخارجية ميسور للأنسان الذى يشاهد نفسه ولا يغفل عنها بلااختصاص لذلک بالانبياء، اذا النبوة وان كانت موهبة خاصة لا تنال غيرهم بها، وان الرسالة وان كانت عطية مخصوصة لا تنال سائر الناس حيث ان ذلک عهد الهى وهو تعالىٰ: «اعلم حيث يجعل رسالته» كما وانها ايضا محدّدة زمانا ومنقطعة امدامع بقاء شريعة الخاتم(ص) الا ان الولاية موهبة عامة لاانقطاع لامدها ولانهاية لعددها لان الله سبحانه هوالولى ولهذا الاسم مظهرفى كل جيل وعصرومصر.

وان الطريقة المثلى التى هى أقوم انّما هى معرفة النفس شهودا وأن الذى يبغيها عوجاًيتيه فى الارض وانّ الذى يسلكها بلا اعوجاج لايضل ولايغوى. وان الحجاب المانع عن شهود النفس الملازم لشهود الرب هوالذنب لاغير، وقد وعدنا بيان ماهوالحجاب الاصيل و بيان ماهو الفلاح عن ذلک الحجاب فلزام علينا انجاز الوعد

---

١ ـ النور/٢٥.

وعليه فنقول: إن حب الدنيا الذى هورأس كل خطيئة هوالحجاب عن ذكرالله والغطاء عن معرفة النفس وشهودها بحيث لايجتمع حبها مع ذكرالله وكذامع معرفة الله. حيث قال سبحانه:

فاعرض عن من تولى عن ذكرناولم يرد الاالحيوة الدنيا، ذلك مبلغهم من العلم ان ربك هواعلم بمن ضل عن سبيله وهواعلم بمن اهتدى[١].

لدلالته على ان ارادة زهرة الحيوة الدنيا تحجب عن ذكرالله، فالدنيا مصداق للذهول فطالبها ذاهل ليس بذاكرفإرادتها مساوقة للذهول عن ذكرالله فكل من ارادها فقد ذهل عن الله ونسيه وكل من نسى الله انساه الله نفسه كماقال سبحانه:

...نسواالله فانساهم انفسهم اولئك هم الفاسقون[٢].

فكل مريد للحيوة الدنيا فهوذاهل عن نفسه وناسيها، وهكذا كل من نسى الله ينساه الله سبحانه عن الذهول والسهو، كماقال تعالى:

...نسوا الله فنسيهم ان المنافقين هم الفاسقون[٣].

وحيث ان النسيان لايتطرق الى من لايعزب عن علمه مثقال ذرة فى الارض ولافى السماء كماقال سبحانه:

...وما كان ربك نسيا[٤].

فلابد من ان ينتزع النسيان المنسوب اليه سبحانه من مقام الفعل لاالذات

١ـ النجم / ٣ ـ ٢٩.
٢ـ الحشر /١٩.
٣ـ التوبة /٦٧.
٤ـ مريم /٦٤.

ولا الوصف الذاتي، ولما كان النسيان امرا عدميّا فان منشأه امر عدمي ـ لا محالة ـ اذ لا ينتزع الامر العدمي من متن الامر الوجودي بما انه وجودي، بل ان كان ولا بد فمن حيثية عدميّة هو امساك الفيض الخاص وعدم ارساله حسبما تقدم بيانه، فاذا امسك الله فيضه الخاص ولم يرسله الى من اعرض عن ذكره واراد الحيوة الدنيا والمفترض انه لا مرسل غيره تعالى فيصير ذلك الغافل الناسي الساهي عن ذكره فاقداً لكمال وجودي. وقد بين القرآن بصراح انّ فقد ذلك الكمال الوجودي هو العمى عن شهود الحق، كما قال تعالى:

ومن اعرض عن ذكرى فان له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيمة اعمى، قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا، قال كذلك اتتك آياتنا فنسيتها فكذلك اليوم تنسى[1].

لظهوره في ان كون المعرض عن ذكر الله اعمى انما هو مصداق لنسيان الله وانه لو ذكره الله لصار بصيراً شاهدا، كما وان المعرض عن الدنيا والذاكر لله يصير مذكورا لله سبحانه. وحيث ان الذكر والنسيان متقابلان، فاذا كان العمى منشاء لانتزاع النسيان يكون البصيرة منشاء لإنتزاع ذكر الله عبده وبما ان المراد من العمى هنا هو عمى القلب يكون المراد من البصيرة هيهنا هو بصر القلب، فقلب الذاكر شاهد بصير، كما ان قلب الغافل الناسي اعمى فيدور الشهود القلبي مدار ذكر الله وحبه ويدور العمى القلبي مدار ذكر الدنيا وحبها المساوق لنسيان الله ونسيان النفس فيترتب على حيثيته العدميّة وهو النسيان امر عدمي هو العمى والصم وما الى ذلك، ويترتب على حيثيته الوجودية وهو ذكر الدنيا وحبها والحنين اليها امر وجودي هو العذاب يوم القيمة كما قال تعالى:

---

١ ـ طه /٦ ـ ١٢٤

فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا انا نسيناكم وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون[١]

وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا ومأواكم النار ومالكم من ناصرين ذلكم بانكم اتخذتم آيات الله هزوا وغرتكم الحيوة الدنيا فاليوم لا يخرجون منها ولا هم يستعتبون[٢].

لظهور هذه الآيات في أنّ منشأ العذاب هو نسيان المعاد وهو الرجوع الى الله الذي هو المبدء. وفي أنّ منشاء النسيان هو الاغترار بالدنيا واشراب حبها في القلب، وهذا هو الامر الوجودي الذي يظهر بصورة العذاب يوم القيمة، كما وان ذكر الله وحبّه امر وجودي يترتب عليه عدا الأمر الوجودي المتقدم وهو الشهود القلبي امر وجودي آخر هو الرّفاه والتنعم في جنة عرضها السموات والارض وفي أنّ منشاء الاستهزاء بآيات الله هو الولع بذكر الدنيا الغرور و حبها الذي هو رأس كل خطيئة في الدنيا ومنشأ كل عذاب في الاخرة، كما ان حب الله رأس كل صواب في الدنيا ومنشاء كل تنعم في الآخرة... وإلى ذلك كله يوعز قوله تعالى:

ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون، قال اخسئوا فيها ولا تكلمون، انه كان فريق من عبادي يقولون ربنا آمنا فاغفرلنا وارحمنا وانت خير الراحمين، فاتخذتموهم سخريا حتى انسوكم ذكري وكنتم منهم تضحكون، اني جزيتهم اليوم بما صبروا انهم هم الفائزون[٣].

لظهور هذه الآيات في بيان مبادي تلك الاوصاف في الدنيا والاخرة... وحيث ان الدنيا وزينتها وزهرتها وزبارجها... حبالة الشيطان وانه بها يقتبض الانسان، كما قال:

---

١ ـ السجدة /١٤.

٢ ـ الجاثية/ ٥ ـ ٣٤.

٣ ـ المومنون / ١١١ ـ ١٠٧.

...لازينن لهم فى الارض[١].

فلا بد وان يستند نسيان الله والغفلة عن ذكره والإعراض عن تولية الوجه شطره الى الشيطان، اذ النفس الأمارة والمسولة وسائر شؤن النفس المعرضة عن ذكر الله تحت تدبير الشيطان الذى اتخذه الانسان المغتر بالدنيا وليا له وولى وجهه شطره و بايع معه، كما قال سبحانه:

استحوذ عليهم الشيطان فانساهم ذكر الله اولئک حزب الشيطان الا ان حزب الشيطان هم الخاسرون[٢].

فبتبيين ما مر بكله يتبين هيهنا اصل آخر هو: ان المعرض عن ذكر الله الغافل عنه المولع بذكر الدنيا والمحب لها هو تحت ولاية الشيطان. كما ان المعرض عن الدنيا المطلّق لها المتذكر لله والمحب له تعالى تحت ولائه. كما قال:

الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور...[٣].

وقال:

ان وليى الله الذى نزل الكتاب وهو يتولى الصالحين[٤].

وقال تعالى:

تالله لقد ارسلنا الى امم من قبلک فزين لهم الشيطان اعمالهم فهو وليهم اليوم ولهم عذاب اليم[٥].

وحيث ان الامور الأُخروية نتائج الملكات الدنيا وية فكون الشيطان وليّا لهؤلاء

١ـ الحج /٣٩.
٢ـ المجادلة /١٩.
٣ـ البقرة /٢٥٧.
٤ـ الاعراف /١٩٦.
٥ـ النحل /٦٣.

فی الاخرة انما هولکونه ولیا لهم فی الدنیا و بیده زمام ناصیتهم الخاطئة وهوالمسیطر علیهم والمعبود لهم.

ولیس المراد من ولایة الشیطان علی الذین نبذوا کتاب الله وراء ظهورهم واخذوا آیات الله هزواً واتخذوا المؤمنین سخریا هوالولایة المستقلة اذلا استقلال لشئ فی دار التحقق الا الله الذی هوالحق بذاته ومنه الحق فی فعاله، بل المراد ان الشیطان الذی هو بنفسه جند من جنود القهر الإلهی والاضلال الجزائی دون الاضلال البدائی المنزه منه الله: «الذی اعطی کل شی ء خلقه ثم هدی» هذا الشیطان یصیر مامور الإغوائهم ولازاغة قلوبهم وتعمیة صدورهم واخراجهم من نورالفطرة الی ظلمة الکفر والنفاق، بعدان زاغوا بسوء اختیارهم وضلوا عن سبیل الله بسوء فعالهم واقبلوا الی الدّنیا مدبرین عن الآخرة بسوء نیاتهم واشتروا الضلالة بالهدی فما ربحت تجارتهم الکاسدة بسوء اعمالهم فعندئذ یسلط الله الشیطان علیهم لیزداد سقم قلوبهم، کما قال سبحانه:

انا جعلنا الشیاطین اولیاء للذین لایومنون[1].

وقال:

انا ارسلنا الشیاطین علی الکافرین تؤزّهم ازّا[2].

فالغرض هوان التوحید الافعالی والربوبیة المطلقة التی لله رب العالمین لا تدع مجالا لان یستقل شیئ فی امره سواء فی ذلک الشیطان وغیره، بل جمیع ما فی السموات والارض عبد داخر له تعالی وجند خاضع لدیه ولکن الله سبحانه قدیرسل ملکا لیخرج عبده الصالح من ای ظلمة محتملة الی النوردفعا اورفعا. وقدیرسل شیطانا

۱ - الاعراف /۲۷.

۲ - مریم /۸۳.

ليتولى أمر عبده الطالح بعدما امهل له غير مرة وفتح لوجهه ابوابا من التوبة والانابة والاسلام....

والمحصّل أنّ الولى المطلق الذى لاشبيه له فى ولايته ولاشريك له فى سلطنته ولاندّ له فى سيطرته ولامثيل له فى هيمنته ـ وعلى الجملة ـ الولى الذى ليس كمثله شيئ بالضرورة الازلية... انما هوالله سبحانه وأنّ محور التولية ومدار السيطرة هوالنفس لاغيرفالله وليها ليخرجها من الظلمات إلى النوربالتزكية، والشيطان وليها كى يخرجها من النور الى الظلمات بالتدسيس والتخييب وأنّ اس رقى النفس هوشهودها القلبى، الطاهرعن دنس التمثل الشيطانى وبنيان هبوطها وهويها هوالعمى القلبى المشوب بالمغالطة الفكرية اوالتمثل الشيطانى فى المثال المتحصل بها وأنّ الموعد الوحيد للتضارب والسباق والانتصاربين الحق والباطل هومسرح النفس ولا همّ وشأن للشيطان سوى اغوائها، كما وان العناية الخاصة الالهية إنما هى منعطفة نحوهدايتها وتزكيتها وعليه فان الاساس والقطب هوالنفس لاغيرلان جميع الشئون المدركة والمحركة تابعة لها، كما وان جميع ماهوخارج عنها تابع لها.

وحيث أن النفس هى النقطة المركزية للسعادة والشقاوة.. حث القرآن العلمى والقرآن العينى على معرفتها ومعرفة مايصلحها ومايفسدها وحرّضا على تهذيبها وتجريدها عن التعلق والرباط بالطبيعة وحذراها عن الذهول والنسيان وانذراها عن الطغوى والعصيان وأمراها بالتقوى والايمان.. واليك جانبا مما فى القرآن العلمى وبعضاً مما عن القرآن العينى ذى النفس المطمئنة الراضية المرضية الراجعة الى لقاء بارئها الدخيلة فى عباده المخلصين وفى جنته الخاصة، لكى يستبان بذلك لزوم الاهتمام بمعرفة النفس ويمتاز به الشهود القلبى الحق المرغوب اليه عن التمثل الشيطانى الباطل المرغوب عنه. قال سبحانه:

يا ايها الذين آمنوا عليكم انفسكم لايضركم من ضل اذا اهتديتم الى الله

مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون[١].

فالذى تفيدنا الآية الكريمة هوان الانسان سالك الى الله وصائر اليه ولابد للسالك من الطريق، كماولابد له من الغاية والهدف. اما الطريق فهى النفس. واما الغاية فهى جنة اللقاء ولاطريق لها الامعرفة النفس وتزكيتها ولاغاية للنفس الّالقاء بارئها، ولذا اهتم به المحققون من القدامى وغيرهم فى كتبهم الممتّعة المرموقة وكذا فى سيرهم الطاهرة عن رجس الطبيعة.

ولقد كفانا فى العرض لهذا الموضوع القيّم سيدنا الاستاذ العلامة الطباطبائى (قده) فى كتابه الممتع «الميزان فى تفسير القرآن» فى موارد عديدة سيما فيما ذيّله لآيتنا المبحوث عنها وكذافى سائر تصانيفه الثمينة لاسيما رسالته المعمولة فى الولاية... ومعه لامجال للإسهاب فى ذلك، عدانقل بعض ماورد فى النفس مما لم تتح الفرصة لسيدنا الاستاد (قده) لان يتعرض له اوانه (ره) راى فيما نقله غنيةً عما لم ينقله. ومهما كان الأمر فان القرآن العينى ـ اى الانسان الكامل المعصوم ـ لما كان بنفسه قد سلك هذه الطريقة الوعرة التى هى احدّ من اىّ سيف قاطع وادقّ من ادقّ الشعريات والمناثير وبلغ بغيته وصار بنفسه إماماً لاىّ سالك رَامَ ان يسلك طريق النفس وقدوة لاىّ سائر عزم ان يسير مسيرها واسوةً لاىّ مرتاض اراد ان يروض نفسه بالتقوى...

فانه لزام علينا نقل جانب مما صدر عن صدره المنشرح وقلبه الشاهد ولسانه الناطق بالحق... فقد قال مولينا الرضا (ع):

من حاسب نفسه ربح، ومن غفل عنها خسر، ومن خاف امن، ومن اعتبر ابصر، ومن ابصر فهم، ومن فهم علم. وصديق الجاهل فى تعب. وافضل العقل معرفة الانسان نفسه[٢].

١ـ المائدة /١٠٥.

٢ـ مسند الامام الرضا(ع) ١/٣٠٤ ـ ٣٠٢، عن البحار ٧٨/٣٤٥ ـ ٣٥٠

وفي «الغرر والدرر» للآمدي عن مولينا امير المومنين (ع):

الاشتغال بتهذيب النفس اصلح، من لم يهذب نفسه لم ينتفع بالعقل، من لم يهذب نفسه فضحه سوء العادة[١].

الغفلة اضر الاعداء، الغفلة شيمة النوكى، دوام الغفلة يعمى البصيرة، بينكم وبين الموعظة حجاب من الغفلة والغرة، من غلبت عليه الغفلات مات قلبه، ويل لمن غلبت عليه الغفلة فنسى الرحلة ولم يستعد[٢].

الفكر عبادة، الفكر جلاء العقول، التفكر في ملكوت السموات والارض عبادة المخلصين، بالفكر تنجلي غياهب الامور، صيام القلب عن الفكر في الآثام افضل من صيام البطن عن الطعام، من اسهر عين فكرته بلغ كنه همته، لا بصيرة لمن لا فكر له[٣].

الهوى شريك العمى، الهوى اله معبود، ان طاعة النفس ومتابعة اهويتها اسّ كل محنة وراس كل غواية، ان اَطَعْتَ هواك اصمك واعماك وافسد منقلبك وارداك، دواء النفس الصوم عن الهوى والحمية عن لذات الدنيا، صلاح النفس مجاهدة الهوى، ردع النفس عن تسويل الهوى ثمرة النبل، ردع النفس عن الهوى الجهاد الاكبر، كم من عقل اسير تحت هوى امير، كيف يجد لذة العبادة من لا يصوم عن الهوى، لو ارتفع الهوى لانف غير المخلص من عمله، مغلوب الهوى دائم الشقاء موبد الرق، نظام الدين مخالفة الهوى والتنزه عن الدنيا[٤].

اليقظة نور، لا تنجع الرياضة الا في نفس يقظة، اليقين نور، سبب الاخلاص اليقين، كفى باليقين عبادة ما اعظم سعادة من بوشر قلبه ببرد اليقين، اليقين يثمر الزهد[٥].

الاخلاص اعلى فوز، العمل كله هباء الا ما اخلص فيه، عند تحقيق الاخلاص

---

١ ـ الغرر والدرر للآمدي ـ ٧/٤٢٢.

٢ ـ الغرر والدرر للآمدي ٧/٩ ـ ٣٩٨

٣ـ الغرر والدرر للآمدي ٧/ ٦ ـ ٣١٣

٤. المصدر ٤٢٩ ـ ٤٢٥

٥ـ الغرر والدرر للآمدي ٧/ ٤ ـ ٤٣٢.

تستنير البصائر، من اخلص النية تنزة عن الدّنية[١].

حسن النية جمال السرائر، سوء النية داء دفين[٢].

الثقة بالنفس من اوثق فرص الشيطان، الثقة بالله افضل عمل[٣].

الذكر نور العقل وحياة النفوس وجلاء الصدور، استديموا الذكر فانه ينير القلب وهوافضل العبادة، ذكر الله جلاء الصدوروطمأنينة القلوب، عليك بذكر الله فانه نور القلب، من ذكر الله سبحانه احيى الله قلبه ونور عقله ولبه[٤].

لا عمل كالتحقيق ولاينفع اجتهاد بغير تحقيق، لا سنة افضل من التحقيق[٥].

الدنيا مصرع العقول، اياك وحب الدنيا فانها اصل كل خطيئة ومعدن كل بلية، ان النفس التي تطلب الرغائب الفانية لتهلك في طلبها وتشق في منقلبها، ان من هوان الدنيا على الله ان لايعصى الافيها، ان الدنيا منتهى بصرالاعمى لايبصر مما ورائها، انك لن تلق الله سبحانه بعمل اضر عليك من حب الدنيا، آفة النفس الوله بالدنيا، حب الدنيا يفسد العقل ويصم القلب عن سماع الحكمة، طلاق الدنيا مهرالجنة، عجبت لمن عرف نفسه كيف يأنس بدار الفناء، كما ان الشمس والليل لايجتمعان كذلك حب الله وحب الدنيا لايجتمعان، لحب الدنيا صُمَّتِ الاسماع عن سماع الحكمة وعَميَت القلوب عن نورالبصيرة، من غلبت الدنيا عليه عمى مما بين يديه، هلك من استنام الى الدنيا وامهرها دينه فهوحيثما مالت مال اليها، ينبغي لمن علم شرف نفسه ان ينزهها عن دنائة الدنيا، المؤمن من طهر قلبه من الدنية[٦].

الشريعة رياضة النفس، لقاح الرياضة دراسة الحكمة وغلبة العادة، من استدام رياضة نفسه انتفع[٧].

اذا احب الله عبدا الهمه حسن العبادة، دوام العبادة برهان الظفر بالسعادة،

---

١ ـ الغرر والدرر للآمدي ٣/٧ ـ ٩١.

٢ ـ الغرر والدرر للآمدي ٩/٧ ـ ٣٩٨.

٣ ـ الغرر و الدرر للآمدي ٣٩٩/٧.

٤ ـ الغرر والدرر للآمدي ٥/٧ ـ ١٢٣.

٥ ـ الغرر والدرر للآمدي ٧٧/٧.

٦ ـ الغرر والدر للآمدي ١١٧/٧ ـ ١٠٥.

٧ ـ المصدر ١٤٦/٧.

من قام بشرائط العبودية اهّل للعتق[١].

العلم يهتف بالعمل فان اجابه والا ارتحل، جمال العالم عمله بعلمه[٢].

الصمت روضة الفكر، طوبى لمن صمت الآمن ذكر الله، قد افلح التقي الصموت، كن صموتا من غير عيّ فان الصمت زينة العالم وستر الجاهل[٣].

الصمت بغير تفكر خرس[٤].

افضل الجهاد جهاد النفس عن الهوى وقطامها عن لذات الدنيا، جهاد النفس مهر الجنة، حاربوا هذه القلوب فانها سريعة العثار، ذروة الغايات لاينالها الاذووا لتهذيب والمجاهدات، من عرف نفسه جاهدها[٥].

البطنة تحجب الفطنة، اذا ملى البطن من المباح عمى القلب عن الصلاح، كيف تصفو فكرة من يستديم الشبع، لافطنة مع بطنة، لايجتمع الشبع والقيام بالمفترض[٦].

التجوع انفع الدواء، تأدم بالجوع وتادب بالخضوع، نعم العون على اسر النفس وكسر عادتها التجوع، نعم عون الورع التجوع[٧].

عين المحب عمية عن معايب المحبوب واذنه صماء[٨].

من نسى الله انساه الله نفسه واعمى قلبه[٩].

افضل الذكر القرآن به تشرح الصدور وتستنير السرائر، ليكن سميرك القرآن[١٠].

الأمل سلطان الشياطين على قلوب الغافلين[١١]

المؤمن نفسه اصلب من الصلد وهو اذل من العبد[١٢].

البكاء من خيفة الله للبعد عن الله عبادة العارفين، البكاء من خشية الله ينير

١- الغرر والدرر للآمدي

٢- المصدر ٧/ ٢٨٠.

٣- المصدر ٧/ ٦ - ٢٠٥.

٤- المصدر ٧/ ٣١٣.

٥- المصدر

٦- المصدر ٧/ ٣٧ - ٣٦.

٧- المصدر ٧/ ٥٠ - ٤٩.

٨- المصدر ٧/ ٥٧.

٩- المصدر ٧/ ٣٨٠.

١٠- المصدر ٧/ ٣٢٢ - ٣٢٠.

١١- المصدر ٧/ ٢١.

١٢- المصدر ٧/ ٢٦.

القلب و يعصم من معاودة الذنب[١].

الحازم يقظان، الغافل وَسْنان، انما الحزم طاعة الله ومعصية النفس[٢].

من طال حزنه على نفسه فى الدنيا اقر الله عينه يوم القيامة[٣].

ثمرة المحاسبة صلاح النفس[٤]

القلب مصحف الفكر، انتباه العيون لا ينفع مع غفلة القلوب، اصل صلاح القلب اشتغاله بذكر الله، تكاد ضمائر القلوب تطلع على سرائر الغيوب، صوم القلب خير من صيام اللسان وصيام اللسان خير من صيام البطن، فالصورة صورة انسان والقلب قلب حيوان، قلوب العباد الطاهرة مواضع نظر الله سبحانه فمن طهر قلبه نظر اليه، لا يصدر عن القلب السليم الا المعنى المستقيم[٥].

رضاء المرء عن نفسه برهان سخافة عقله، رضا العبد عن نفسه مقرون بسخط ربه[٦].

ازهد فى الدنيا يبصرك الله عيوبها ولا تغفل فلست بمغفول عنك، ان عقلت امرك اواصبت معرفة نفسك فاعرض عن الدنيا وازهد فيها، بالزهد تثمر الحكمة، سبب صلاح النفس العزوف عن الدنيا، من زهد فى الدنيا اعتق نفسه وارضى ربه[٧].

شر الفقر فقر النفس[٨].

اعجاب المرء بنفسه حمق، اعجاب المرء بنفسه برهان نقصه وعنوان ضعف عقله[٩].

العقل رقى الى علّيين، بالعقل كمال النفس، بالعقل يستخرج غور الحكمة، بالعقول تنال ذروة العلوم، حد العقل الانفصال عن الفانى والاتصال بالباقى، خير المواهب العقل، لا يزكو عند الله سبحانه الا عقل عارف ونفس عزوف، من عقل تيقّظ من غفلته وتأهب لرحلته وعمر دار اقامته[١٠].

الخوف جلباب العارفين، الخوف سجن النفس عن الذنوب ورادعها

١- الغرر والدرر للآمدى ٧/٣٧.
٢- المصدر ٧/٦٤.
٣- المصدر ٧/٦٥.
٤- المصدر ٧/٦٦.
٥- المصدر ٧/٣٢٦ - ٣٢٥.
٦- المصدر ٧/١٣٩.
٧- المصدر ٧/٣١٢.
٨- المصدر ٧/٢٣٢.
٩- المصدر ٧/١٥١ - ١٥٠.
١٠- المصدر ٧/٢٦٣ - ٢٥٦.

عن المعاصي[١].

السجود النفساني فراغ القلب من الفانيات[٢].

صلاح السرائر برهان صحة البصائر[٣].

من عرف قدر نفسه لم يهنها بالفانيات[٤].

النفس الكريمة لا تؤثر فيها النكبات، من كرمت نفسه صغرت الدنيا في عينه[٥]

نزّهوا انفسكم عن دنس اللذات وتبعات الشهوات، ولوع النفس باللذات يغوي ويردي[٦].

المكور شيطان في صورة انسان[٧].

سياسة النفس افضل سياسة ورياسة العلم اشرف رياسة، صوم النفس امساك الحواس الخمس عن سائر المآثم، كلما ازداد علم الرجل زادت عنايته بنفسه وبذل في رياضتها وصلاحها جهدة ليس على وجه الارض اكرم على الله سبحانه من النفس المطيعة لامره، إن النفس لجوهرة ثمينة من صانها رفعها ومن ابتذلها وضعها، ان الحازم من قيد نفسه بالمحاسبة وملكها بالمغاضبة وقتلها بالمجاهدة، خيرالامراء من كان على نفسه اميرا، ينبغي ان يكون الرجل مهيمنا على نفسه مراقبا حافظا لسانه[٨].

التوحيد حياة النفس[٩].

سوسوا انفسكم بالورع[١٠].

المواعظ صقال النفوس وجلاء القلوب[١١].

اجعل لنفسك فيما بينك وبين الله سبحانه افضل المواقيت والاقسام[١٢].

١- الغرر والدرر للآمدي ٧/٩٧.

٢- المصدر ٧/١٥٤.

٣- المصدر ٧/١٥٨.

٤- المصدر ٧/٣١٩.

٥- المصدر ٧/٣٤٦.

٦- المصدر ٧/٣٥٨.

٧- المصدر ٧/٣٦٥.

٨- المصدر ٧/٣٩٣-٣٨٩.

٩- المصدر ٧/٤٠١.

١٠- المصدر ٧/٤٠٣.

١١- المصدر ٧/٤٠٧.

١٢- المصدر ٧/٤١١.

حرام على كل قلب متوله بالدنيا ان يسكنه التقوى، خلو القلب من التقوى يملأه من فتن الدنيا، ملاك التقوى رفض الدنيا [١].
لاتجعلن لنفسك توكلا الا على الله ولايكن لك رجاء الا الله [٢].

والمتحصل من هذه النصوص النورية هو: أنَّ النفس الانسانية جوهر مجرد ذاتا عن المادة. وأنَّ لها الرقي الى ذروة الملكوت وشهود الغيب... وأنَّ الفكر الصافي الذي هو من شئون قوتها النظرية جلائها. وأنَّ الاخلاص والتقوى والزهد وما الى ذلك من الملكات الفاضلة التي هي من شئون قوتها العملية صقالها وصفائها... وأنَّ توحيد الله ذاتا وصفة وفعلا حياتها وأنَّ ذكر الله آناء الليل و اطراف النهار وكذا عند اقبال الليل وادبار النهار وعند طلوع الكواكب وادبار النجوم نورها وسبب طمأنينتها... و أنَّ التحقيق في المعارف والاصول والتحرز عن التقليد والجمود سنة فاضلة لاافضل منها ولاينفع اجتهاد ومكابدة بدونها. وأنَّ معرفة النفس انفع المعارف وشرط لمؤنة غيرها... وأنَّ الشريعة السمحة السهلة باوامرها ونواهيها و بعزائمها ورخصها وبفرائضها ونوافلها وبحلالها وحرامها وبآدابها وسننها وبحدودها وثغورها وبعباداتها ومعاملاتها واحكامها وسياساتها وباصولها وفروعها... كلها جميعا رياضة للنفس،ومالها من رياضة بلاحاجة الى بدعة ولافاقة الى ابتداع ولااحتياج الى تشريع لان الله الذي جعل شريعته رياضة للنفس صرح بكمالها وتمامها، حيث قال تعالى:

اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الاسلام دينا [٣].

١- الغرر والدرر للآمدي ٧/٤١٦-٤١٥.

٢- المصدر ٧/٤١٩.

٣- المائدة /٣.

قال سيدنا الاستاذ العلامة الطباطبائي (قده): لقد سمعت بعض مشايخي وقد سئل عن طريق معرفة النفس لِمَ لَمْ يبين شرعا وهو اقرب الطرق الى الله سبحانه، فقال -مدظله-: واىّ بيان فى الشرع لايروم هذا المقصد ولايشرح هذا الطريق[١].

وقال (قده) ايضا: «ونعم ماقال بعض اهل الكمال ان الميل من متابعة الشرع الى الرياضات الشاقة فرار من الاشق الى الاسهل فان اتباع الشرع قتل مستمر للنفس دائمى مادامت موجودة والرياضة الشاقة قتل دفعى وهو اسهل ايثارا»[٢].

وانَّ تطليقة الدنيا وهى مايشغل النفس عن لقاءالله مهر الجنة وثمن لقائه تعالى، وآنَّ الصمت والجوع والسهر والذكر والخلوة المندوب اليها فى الشرع معدات للنفس، لان يدفع الرين اويرفعه لتصير مرآة صافية يتجلى فيها الغيب وان جهادها والظفر عليها وتملك زمامها والتأمر عليها واسرها تحت قيد العقل الذى به يعبد الرحمن ويكتسب الجنان، هوالفوز الاكبر وآنَّ الغفلة عن الله والإعراض عن ذكره سبحانه حجاب يمنع عن مشاهدة الحق واسمائه الحسنى وآنَّ للقلب المتذكر بصرا وسمعا وذوقا يبصر ويسمع ويذوق بذلك ماهو الغائب عن الحواس. وآنَّ للقلب الساهى حواس خيالية يستخدمها الشيطان ويتصرف فيها ويدرك او يحرك بها. كما قال اميرالمومنين(ع):

اتخذوا الشيطان لامرهم ملاكا واتخذهم له اشراكا فباض وفرخ فى صدورهم ودب ودرج فى حجورهم فنظر باعينهم ونطق بالسنتهم[٣].

والى بعض ماتقدم قداشار مولينا الرضا(ع):

١ـ رسالة الولاية، الفصل الرابع.

٢ـ رسالة الولاية، الفصل الرابع.

٣ـ نهج البلاغة، الخطبة ٧.

ان للقلوب اقبالا وادبارا ونشاطا وفتورا فاذا اقبلت بصرت وفهمت واذا ادبرت كلت وملت، فخذوها عند اقبالها ونشاطها واتركوها عند ادبارها وفتورها[١].

وأنَّ للقلب التطلع على الغيب وما استتر في ضمير الغير كما قال مولينا الرضا (ع) لحسن بن الجهم لما قال له (ع) لا تنسني من الدعاء قال (ع):

اوتعلم انى انساك؟ قال فتفكرت فى نفسى وقلت هو يدعو لشيعته وانا من شيعته. قلت: لا. لا تنسانى. قال (ع): وكيف علمت ذلك؟ قلت: انى من شيعتك وانك لتدعو لهم فقال (ع) هل علمت بشيئ غير هذا؟ قال: قلت: لا، قال (ع): اذا اردت ان تعلم مالك عندى فانظر الى مالى عندك[٢].

وأنَّ الانعتاق عن رقّية الدنيا والتحرر عن زيّ عبوديتها انما يتحصل بالعبادة لله. وأنَّ افضل انحاء العبادة مايكون حباالله لاخوفا من النار ولاطمعا في الجنة. وأنَّ حب الله كالشمس المضيئة وحب الدنيا كالليل المظلمة لايجتمعان اصلا.

وأنَّ الهوى مانع عن الالتذاذ بالعبادة وحاجب عن الاتعاظ بالموعظة الحسنة.

وأنَّ الذى قال ربى الله ثم استقام على التوحيد الربوبى تتنزل عليه الملائكه وتبشره اما بالتمثل الملكى او بالقاء الفكر فى نفسه، وان الشياطين انما تتنزل على كل افاك اثيم اما بالتمثل الشيطانى او بالقاء الفكر الحصولى فى ذهنه. ويجمع كل ذلك قوله تعالى:

...وان الشياطين ليوحون الى اوليائهم ليجادلوكم[٣].

١- مسند الامام الرضا (ع) ١/٣٠٣. عن البحار ٧٨/٣٥٣.

٢- مسند الامام الرضا (ع) ١/٣٠١.

٣- الانعام/١٢١.

وآنَّ الميزان المقسط الفارق بين الشهود القلبي الصحيح والتمثل الشيطاني بالباطل هوالقرآن العلمي والقرآن العيني، اعني الثقلين الذين لايفترقان في مورد اصلا ويدوران مدار الحق حيثمادار، بل الحق هو ماحققاه والباطل هوما ابطلاه، وآنَّ طريق وصول القلب الى الحق ومسير نزول الحق على القلب هوالعبادة والا ستغفار، كماهو المستفاد من قول مولينا الرضا (ع) لابن اسباط:

ائت المسجد في غيروقت صلاة فريضة فصل ركعتين واستغفر الله مأة مرة ثم انظر اى شيئ يقع في قلبك فاعمل به[1].

لان ظاهرة كلامه ان القلب الطاهر يتطلع على الغيب وهوالخير الذى سيقع بعد ذلك وان طريق عثوره هو الصلاة وطلب الخير من الله تعالى اذلايوجد الخير الامن عند الله كماقال مولينا السجاد (ع) في دعاء السحر.

وآنَّ العثور على الغيب تارة يتحصل في النوم واخرى في اليقظة، كما كان رسول الله (ص):

اذا اصبح قال لاصحابه «هل من مبشرات»؟ يعني به الرؤيا[2].

وآنَّ رؤيا غير المعصوم كيقظته بحاجة الى الميزان، لاحتمال الخطاء في ذلك كله... وان رؤيا المعصوم (ع) كيقظته حق و قسط مصون عن تطرق الخطاء وتمثل الشيطان، كماقال مولينا الرضا (ع) للوشاء:

رايت ابى (ع) في المنام قال (ع): يابنى اذاكنت في شدة فاكثر ان تقول يارؤف يارحيم، والذى نراه في المنام كمانراه في اليقظة[3].

١ـ مسند الامام الرضا (ع) ٢/٣١٤ و ١٨٠، عن التهذيب ٣/٣١١.

٢ـ الكافي ٨/٩٠.

٣ـ مسند الامام الرضا (ع) ٢/٦٦.

وکما قال ایضا مولینا الرضا (ع) لحسن بن علی:

ان ابی کان عندی البارحة. قال قلت: ابوک؟ قال (ع): ابی. قلت ابوک؟ قال (ع): ابی قلت: ابوک؟ قال (ع): فی المنام ان جعفرا کان یجیئ الی ابی فیقول یابنی افعل کذا یابنی افعل کذا. قال فد خلت علیه بعد ذلک قال (ع) یا حسن ان منامنا و یقظتنا واحدة[1].

وأنَّ الاخرة غیب عن الحس والطبیعة لایشاهدها الاالذی تنزه عن الدنیا واخرج حبها من قلبه وطهره من درنها وقدسه عن رینها، کما و ان النائل بالجنة والواصل الیها لایکون الامن لایرید علوا فی الارض ولافسادا. وأنَّ طلب الجمع بین الدنیا والاخرة من خداع النفس وأنَّ شهودها لایتیسر الالمن تتزودلها علما بتحصیل الیقین وعملا بتحصیل التقوی الذین هما الزادان للمعاد... وأنَّ العدوان علی العباد بئس الزاد له. فلذا کان امیرالمومنین (ع) ینادی بقوله:

الا متزود لاخره قبل ازوف رحلته[2].

مشیراً إلی دنو القیامة وضیق وقتها، ولذا یقال لها الآزفة، کما نقرئه فی قوله تعالی:

ازفت الآزفة[3].

کما ویعبر عنها بالساعة ایضا اذ من الطبیعی ان المسافر الذی ینزل فی طریقه و مسیره لیتروح لحظات لوعلم اقتراب الترحال وضیق وقته استعدلها بکل جد... ولعلّه لذلک قال سبحانه:

اتی امرالله[4].

---

۱ ـ مسندالامام الرضا (ع) ۱۵۸/۱.

۲ ـ الغرروالدرر للآمدی ۴/۷.

۳ ـ النجم /۵۷.

۴ ـ النحل /۱.

حيث عبر عن القيامة بلفظة الماضى لقربها وضيق وقتها، كما افاده الراغب فى مفرداته... وانَّ شهود المعارف الالهية لااختصاص له بالانبياء(ع) الآفيما يرجع الى التشريع. اذلكل ممن آمن بماجاء به النبى(ص) وعمل به واتقى واخلص لله ينكشف له الحقائق على قدر ايمانه وانشراح صدره. نأخذ مثالا: حارثة بن مالك، حيث قال رسول الله(ص) فى حقه: «عبد نورالله قلبه». وكما ان الانسان اذامات بالموتة الطبيعية يتجلى له غيرواحد من الحقايق، كذلك اذامات بالموتة الارادية وامات ذكر الدنيا عن قلبه واحيى عقله وامات نفسه و احيى قلبه بالعظة وامات هواه المردى و نفسه المسولة بالزهادة واسمع دعوة الموت... اذن قلبه قبل ان يدعى به وكان بالنسبة الى الموت كقارب ورد وطالب وجد، وذلل نفسه بذكرى الموت... يجعل الله سبحانه له فرقانا يفرق به بين الحق والباطل، وبين الجنة والنار، وبين الولى والعدو. ويتمثل له ذلك تمثل عيان لايقتدر على شرحه البيان و ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء. ومثل هذا العبد الصالح المتاسى بالعترة الطاهرة فى سيرته هوالحرى المؤهل لأن يكون مصداقا لصالحى مواليه، على حد تعبير امامنا الرضا(ع) بقوله:

من لم يقدر على صلتنا فليصل على صالحى موالينا يكتب له ثواب صلتنا ومن لم يقدر على زيارتنا فليزر صالحى موالينا يكتب له ثواب زيارتنا [1].

وانّ للمعارف الالهية اسراراً محجوبة تحت حجاب الظواهر لاينالها الآ الذى ارتاض بالشريعة الغرّاء بلانقص ولازيادة وحفظ ظواهرها و جعلها قنطرة اليها وممرّاً لها، فانه يصل اليها بما هو الميسورله. لان الانبياء(ع) وكذلك العترة الطاهرة(ع) يكلّمون الناس على قدر عقولهم،وليس المعنى انهم(ع) يقتصرون

---

١ ـ مسندالامام الرضا(ع) ٢/٢٥٤، عن كامل الزيارات ٣١٩.

فی بیان تلک المعارف بقدرخاص ویزهدون فی النصح بل بمعنی انهم یبیّنون جمیع مایقرّب العباد الی الله وإلی الجنة ویأمرونهم بها، کماو یبیّنون جمیع مایبعدّهم عن الله ویقرّبهم الی النار و ینهونهم عنها.

فالمراد کما افاده سیدنا الاستاد العلامة الطباطبائی(قده)[1]. هوانّ هناک اموراً لایبلغها فهم السامعین من الناس حیث قال (ره)... التعبیر ناظر الی الکیف دون الکم فیدل علی انّ هذه المعارف حقیقتها التی هی علیها وراء هذه العقول التی تسیر فی المعارف بالبرهان والجدل والخطابة... ومن هنایظهر انّ نحو ادراک هذه المعارف بحقائقها غیر نحو ادراک العقول وهو الادراک الفکری... ثم نقل (ره) الاحادیث الناطقة بان حدیثهم (ع) صعب مستصعب لایحتمله الاملک مقرّب اونبی مرسل اوعبد مؤمن امتحن الله قلبه بالایمان وانّ الصعب هوالذی لم یرکب بعد وانّ المستصعب هوالذی یهرب منه اذا روی، وللمتتبّع ان یعثر علی المزید منه سیما برجوعه الی «بصائر الدرجات» ولنأت فیما یلی بنموذج له:

روی ابوالصلت الهروی قال، قال المأمون یوماً للرضا(ع):

یا اباالحسن أخبرنی عن جدّک امیرالمؤمنین(ع) باتی وجه هوقسیم الجنّة والنار وباتی معنی فقد کثر فکری فی ذلک؟فقال له الرضا(ع):یا امیرالمؤمنین ألم تروعن ابیک عن آبائه عن عبدالله بن العباس انه قال سمعت رسول الله(ص) یقول: حبّ علیّ ایمان وبغضه کفر؟ فقال: بلی، فقال الرضا(ع): فقسمة الجنة والنار اذا کانت علی حبه وبغضه فهوقسیم الجنة والنار. فقال المامون:لاابقانی الله بعدک یا اباالحسن. اشهد انک وارث علم رسول الله(ص). فقال ابوالصلت الهروی: فلما انصرف الرضا(ع) الی منزله اتیته فقلت له:یابن رسول الله(ص) ما احسن ما احببت به امیرالمؤمنین. فقال

---

۱ ـ الفصل الاول من رسالة الولایة.

الرضا(ع): يا ابا الصلت انما كلمته من حيث هو ولقد سمعت ابى يحدث عن آبائه عن على (ع) انه قال رسول الله(ص): يا على انت قسيم الجنة يوم القيامة تقول للنار هذا لى وهذا لك[1].

لظهوره فى ان الكلام الواحد وهو كلمة الرسول الاعظم (ص) لعلى (ع): «انت قسيم الجنة والنار» يبين لكل شخص على حسب استعداده. فالكلام واحد والافهام شتى، لان الناس معادن كمعادن الذهب والفضة. فكل من اخلد الى الارض واتبع هواه فانه محجوب عن نيل البغية، وكل من تجافى عن دار الغرور وناب الى دار الخلود واستعد للموت قبل حلوله ورآه بعين يقينه فرآه قريبا دون ان يراه بعين أمله حتى يراه بعيدا، فهو الذى يشهد الملكوت ويرى المَلَك النازل عليه يسدوه ويؤيده ويبشره بالأمن من الخوف ولايكذب فؤاده مارأى ولايزيغ بصره ولايطغى كل ذلك بما هو ميسر له.

حيث ان الله سبحانه:

يرفع الذين آمنوا والذين اوتوا العلم من المؤمنين درجات.

فلايتيسر لكل احد ان يشاهد مايشاهده ذلك الاخر الذى هومظهر الرفعة. كما انه ليس لاحد ان يشاهد ماشاهده النبى (ص) فيما اوحى اليه ما اوحى، ولكن لكل من طهر قلبه من ارجاس الرذايل كما اوصى بذلك مولينا اميرالمومنين (ع) فى قوله (ع):

طهروا قلوبكم من الحسد فانه مكمد مضنى[2].

و:

طهروا قلوبكم من الحقد فانه داء....[3]

١ـ عيون الاخبار ٢/٨٦.

٢و٣ـ الغرر و الدرر للآمدى ٧/٧٣ و ٦٨.

وخلاه عن الادناس وحلاه بالفضائل... فان له ان يشاهد الغيب ويراه شهودا مصونا عن الخطاء، رؤية طاهرة عن الختل. وكل من لم يحصل له هذا النصاب فان شهوده مشوب بالتمثل النفسانى وروئيته ممتزجة بالتمثل الشيطانى والمائز هوالثقلان اللذان لايحوم حومهما هاجس نفسانى ولاوسواس شيطانى لان سمائها ملآنة بالحرس الشديد والشهب الثاقبة، فاىّ شيطان رام الاستماع والإستراق فانه يجدله شهابا رصدا. فاىّ تمثل لايوازيها فهو مدسوس واىّ شهود لايطابقها فانه موضوع وحاشاهما ان لايصححا شهودا هوحصيل التقوى ولايمضيا كشفاهو وليد الهدى ولايصوبا الهاما هوثمر الجهاد فى الله حق جهاده. لأنهما هما اللذان وعدا السالكين بالشهود والسائرين بالكشف والمجاهدين بالالهام. فهما اولى بانجازما وعداه، واحق بتحقيق مابشرا به واحرى بتصديق ما اخبرا به.

ولعل الى بعض مامر من معنى الرؤية وان لنصوص اهل البيت(ع) كالقرآن اسرارًا محجوبة عن افهام الاوساط من الناس وان جهادالنفس نعم العون على كشفها وان طلاق الدنيا مهر شهودها... اشار شيخ مشايخنا الامامية محمدبن على بن بابويه القمى (قده) فى كتابه القيّم المدون فى التوحيد ونفى التشبيه والجبر، باب ماجاء فى الرؤية، حيث قال(ره):

«والأخبارالتى رويت فى هذا المعنى واخرجها مشايخنا -رضى الله عنهم- فى مصنفاتهم عندى صحيحة. وانما تركت ايرادها فى هذاالباب خشية ان يقرأها جاهل بمعانيها فيكذب بها فيكفر بالله عزوجل وهولايعلم، والاخبار التى ذكرها احمدبن محمدبن عيسى فى نوادره والتى اوردها محمدبن احمدبن يحيى فى جامعه فى معنى الروية صحيحة،لايردها الا مكذّب بالحق اوجاهل به والفاظها الفاظ القرآن ولكل خبر منها معنى ينفى التشبيه والتعطيل ويثبت التوحيد،وقد امرنا

الائمة ـ صلوات الله عليهم اجمعين ـ ان لانكلم الناس الا على قدر عقولهم ومعنى الرؤية الواردة فى الاخبار العلم وذلك ان الدنيا دارشكوك وارتياب وخطرات فاذا كان يوم القيمة كشف للعباد من ايات الله واموره فى ثوابه وعقابه مايزول به الشكوك ويعلم حقيقة قدرة الله عزوجلّ و تصديق ذلك فى كتاب الله عزوجل:

ولقد كنت فى غفلة من هذا فكشفنا عنك غطائك فبصرك اليوم حديد[1].

فمعنى ماروى فى الحديث انه يُرى اى يعلم علما يقينا. كقوله عزوجل:

الم ترالى ربك كيف مدالظل[2].

وقوله تعالى:

الم ترالى الذى حاج ابراهيم فى ربه[3].

وقوله تعالى:

الم ترالى الذين خرجوا منهم ديارهم وهم الوف حذرالموت[4].

وقوله تعالى:

الم تركيف فعل ربك باصحاب الفيل[5].

واشباه ذلك من رؤية القلب وليست من رؤية العين واما قول الله عزوجل:

فلما تجلى ربه للجبل[6].

١ـ ق/٢٢.
٢ـ الفرقان/٤٤.
٣ـ البقرة/٢٥٧.
٤ـ البقرة/٢٤٢.
٥ـ الفيل/١.
٦ـ الاعراف/١٤٢.

فمعناه: لماظهر عزوجل بآية من آيات الاخرة التى يكون بها الجبال سرابا والتى ينسف بها الجبال نسفاً تدكدك الجبل فصار ترابا لانه لم يطق حمل تلك الاية. وقد قيل انه بدا له من نور العرش[١].

والمستفاد من كلامه (قده) هو ان الرؤية فى تلك النصوص المعتبرة ليست هى رؤية العين الحاسة المادّية، لنزاهة المرئى من المادة ولوازمها، كما و انها ليست هى العلم الحصولى الذهنى، لانه مشوب بالشكوك والخطرات، حيث انه من وراء حجاب المفهوم وغيم المعنى الذهنى، بل المراد هى الرؤية القلبية المنزّهة عن اىّ حجاب حاجب، المبرأة عن اىّ تشكيك، المصونة عن اىّ ارتياب، المعصومة عن اى خطر. ثم قال (ره): ولو اوردت الاخبار التى رويت فى معنى الرؤية لطال الكتاب بذكرها وشرحها واثبات صحتها، ومن وفقه الله -تعالى ذكره- للرشاد آمن بجميع مايرد عن الائمة(ع) بالاسانيد الصحيحة وسلم لهم و رد الأمر فيما اشتبه عليه اليهم اذكان قولهم قول الله -عزوجل- وامرهم امره، وهم اقرب الخلق الى الله عزوجل واعلمهم به -صلوات الله عليهم اجمعين[٢].

وانت -ايها القارئ الكريم- بعد التأمل فيما قدمنا من استحالة تعلق الرؤية الحسية بالله سبحانه مطلقا ومن امتناع العلم الحقيق به سبحانه من وراء حجاب المفهوم اوغمام الصورة الذهنية وما الى ذلك اذليس شيئ من ذلك شبيها به تعالى ولا مثيلا له سبحانه حتى يحكيه ويطابق عليه كماهو المعتبر فى العلم الحصولى ولايمكن نيل ذاته بهذا العلم الذهنى والّايلزم انقلاب الذهن

---

١ - التوحيد، ص١٢٠ - ١١٩.

٢ - التوحيد، ص ١٢٢.

خارجا او الخارج ذهنا والكل ممتنع، فلا يتمكن من العلم الحقيق به تعالى من وراء حجاب الاستدلال وسحابة القياس الحصولى... وهكذا بعد التنبه بما مر من استحالة احاطة العلم الشهودى به سبحانه مع امكان اصله بل ضرورته...

تعرف حقيقة المراد من كلام مولينا الرضا (ع) حين قال له (ع) ذوالرياستين:

جعلت فداك اخبرنى عما اختلف فيه الناس من الرؤية... **فقال بعضهم يرى وقال بعضهم لايرى. فقال(ع): يا اباالعباس من وصف الله بخلاف ماوصف به نفسه فقد اعظم الفرية على الله. قال الله تعالى: «لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصار وهو اللطيف الخبير» هذه الابصار ليست هى الاعين انما هى الابصار التى فى القلب لايقع عليه الاوهام ولايدرك كيف هو**[1].

اذالمراد من الرؤية المنفيّة هناهى الرؤية الحسيه والوهميه دون الشهودية القلبية وان عبرفى بيانه (ع) بالابصار التى فى القلب.

ويؤيد ذلك مارواه محمدبن الفضيل قال سألت اباالحسن (ع):

هل رأى رسول الله ربه عزوجل؟ فقال: نعم، بقلبه **رآه اما سمعت الله عزوجل يقول ماكذب الفؤاد مارأى، اى لم يره بالبصر، ولكن رآه بالفواد**[2].

وهذا لاينافى مع ماروى عنهم (ع) من تفسير رؤية الفؤاد برؤية نورالعظمة تارة و رؤية الايات تارة اخرى بعد ما اسلفنا من انهم (ع) كانوا يكلمون الرواة والسائلين على قدر عقولهم (مضافا) الى ان نورالعظمة انما هو نورالذات، لان

١ـ مسند الامام الرضا (ع) ١/٣٣٢. عن تفسير العياشى ١/٣٧٢.

٢ـ التوحيد، ص ١٢٢.

العظمة من شؤن القدرة التى هى عين الذات.

ومما يصحّح الرؤية القلبية بالمقدار الميسور هوماروا ابوبصير عن ابى عبدالله (ع) قال: قلت له:

اخبرنى عن الله عزوجل هل يراه المؤمنون يوم القيامة؟ قال: نعم وقد رأوه قبل يوم القيامة. فقلت: متى؟ قال: حين قال لهم الست بربكم، قالوا بلى، ثم سكت ساعة. ثم قال: وان المؤمنين ليرونه فى الدنيا قبل يوم القيامة الست تراه فى وقتك هذا؟ قال ابوبصير: فقلت له: جعلت فداك فاحدث بهذا عنك؟ فقال لا، فانك اذا حدثت به فانكره منكر جاهل بمعنى ماتقوله ثم قدر ان ذلك تشبيه كفر وليست الرؤية بالقلب كالروية بالعين تعالى الله عمايصفه المشبهون والملحدون[1].

وبالجملة إن القلب لتجرده عن المادة صالح لشهود الملكوت لولا ان يحوم الشيطان حومه فاذا حام حومه اعماه واصمه و اخرسه، لأنه قرين سوء مأمورمن القهر الالهى لان يسدى الغطاء على عين قلب كل متكبر جبار لايؤمن بيوم الحساب، حيث ان الذى يتعامى عن شهود الايات المبصرة التى لاحجاب عليها، ويتعاشى عن رؤية البينات التى لاسترة لها، وكذا يتصنع الصمّ والخرس، يخرج بسوء اختياره عن الاسماء الجمالية، ويحرم منها ويدخل تحت الاسماء الجلالية الحاكمة على من اشترى الضلالة بالهدى، فيصير مقرونا بوليه المضل له وهوالشيطان، كما قال سبحانه:

ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيّض له شيطانا فهوله قرين[2].

فيزيده العمى والعشا باجتراح الذنوب. اذ العصيان موجب للعمى والاصرار عليه موجب لزيادته.

١- التوحيد ص ١١٧. ٢- الزخرف /٣٦.

وقد ذكر مولينا الرضا (ع) بعض مصاديق الذنوب الموجبة للعمى في قوله (ع) جوابا عن سؤال محمدبن الفضيل، سئله عن قول الله تعالى:

ومن كان في هذه اعمى فهو في الاخرة اعمى واضل سبيلا، فقال (ع): ذاك الذي يسوف الحج، يعني حجة الاسلام، يقول العام احج العام احج حتى يجيئه الموت[١].

وقد تقدم منه (ع) تطبيق ذلك على من كان اعمى عن الحقائق الموجودة. فالمستفاد من ذلك كله هو ان اي عمل لايرضاه الله ورسوله فهو موجب للعشاء لانه مصداق تعاش عمدي و تعام قهري عن ذكرالله فلا خصيصة لتسويف الحج، بل المدار هوالتعاشي عن ذكر الله الذي يندرج تحته الاعتقاد والخلق النفساني والعمل الجارحي. فلذا قديطلق الذكر على الصلاة، كمافي قوله تعالى:

واذانودي للصلوة من يوم الجمعة فاسعوا الى ذكرالله[٢].

اذا لصلاة بماهي عبادة خاصة مصداق لذكره تعالى وسبب لحفظه ولعله لذا قال تعالى لموسى عند ابتداء الوحي:

إني أناربک فاخلع نعليک انک بالواد المقدس طوى، وانا اخترتک فاستمع لمايوحى، انني انا الله لااله الا انا فاعبدوني واقم الصلاة لذكرى[٣].

وقال تعالى:

قد افلح من تزكى وذكر اسم ربه فصلى[٤].

١- مسندالامام (ع)، عن تفسير العياشي ٣٠٥/٢.

٢- الجمعة /٩.

٣- طه/ ١٤ - ١٢.

٤- الأعلى /١٥.

وحيث انهم (ع) كانوا يكلمون الناس على مبلغ عقولهم و قلوبهم التى هى الاوعية للعلوم والمعارف وخيرها اوعاها، نراهم (ع) (تارة) يتكلمون بامكان رؤية الله سبحانه قلبيا (واخرى) يصارحون بأن الرؤية إنما هى تتعلق بالثواب، ليس الا... كما وان الحجاب ايضا قد يفسر بالنسبة الى الثواب. لذلك فقد قال مولينا الرضا (ع) فى قوله تعالى:

وجوه يومئذ ناضرة الى ربها ناظرة[1] : يعنى مشرقة تنظر ثواب ربها[2].

وقال (ع) فى قوله تعالى:

كلا انهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون: ان الله تبارك وتعالى لايوصف بمكان يحل فيه فيحجب عنه فيه عباده ولكنه يعنى انهم عن ثواب ربهم لمحجوبون[3].

وقد مرمسبقا منهم (ع) انه لاحجاب اصلا بين الله سبحانه وبين خلقه الّا الخلق نفسه وليس وزان شهود الله بالقلب المنزه عن غيره هو وزان المجئ والذهاب وماالى ذلك مما يتصل بالانتقال او الانفعال. فلذا قال مولينا الرضا (ع): فى تفسيرقوله تعالى:

وجاء ربك والملك صفا صفا: ان الله تعالى لايوصف بالمجئ والذهاب تعالى عن الانتقال، انما يعنى بذلك: وجاء امر ربك والملك صفا صفا. وقال (ع) فى قوله تعالى: سخرالله منهم. وقوله تعالى: الله يستهزء بهم. وقوله تعالى: ومكروا ومكرالله، وقوله تعالى: يخادعون الله وهو خادعهم ـ قال ـ: ان الله تعالى لايسخر ولايستهزء ولايمكر ولايخادع، ولكنه تعالى يجازيهم جزاء السخرية وجزاء الاستهزاء وجزاء المكر والخديعة تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا[4].

١ـ القيامة /٢٣ ـ ٢٢.

٢ـ عيون الأخبار ١/١١٥.

٣ـ التوحيد ص ١٦٢.

٤ـ عيون الاخبار ١/١٢٦.

فاىّ وصف يلازم التنقل اويصاحبه الانفعال فلابد وان ينتزع من فعل الحق سبحانه، لافارق فى ذلک بين الانفعال المادى، كما فى الحادث الزمانى وبين الانفعال الذّاتى، كما فى الحادث الذاتى المستوعب لجميع ماسواه تعالى، وذلک لان الانفعال انما يتحصل فى مورد الفقر الذاتى، اذالغنى المحض لايتأثر عن الغير اصلا، فلاانفعال، فلاشيئ من الغنى الصرف بمنفعل، فلاشيئ -اذًا- من المنفعل بغنى، وعليه فلابد وان يكون فقيرًا ليكون له حاجة الى غيره وينفعل عن ذلک الغير -بطبيعته-....

0379

VETVS
TESTA-
NOVVM
MENTVM
DEI·SVB·NVMINE·VIGET
PRINCETON
UNIVERSITY
LIBRARY

WERT
BOOKBINDING
Grantville Pa.
JAN FEB 199

(NEC)
BP193
.18
.A3
J383
1987

Ali Ibn Musa al- Reza
and
the Holy Quran

Ayattollah Jawadi Amoli

World Congress of Imam Reza (p.b.u.h)